



اختزنا لك - ٨٧

تاريخ بغاسرائيل

من اسفارهم

بقلم
محمد عزة دروزة

الجزء
الثالث

إخترناك ٨٧

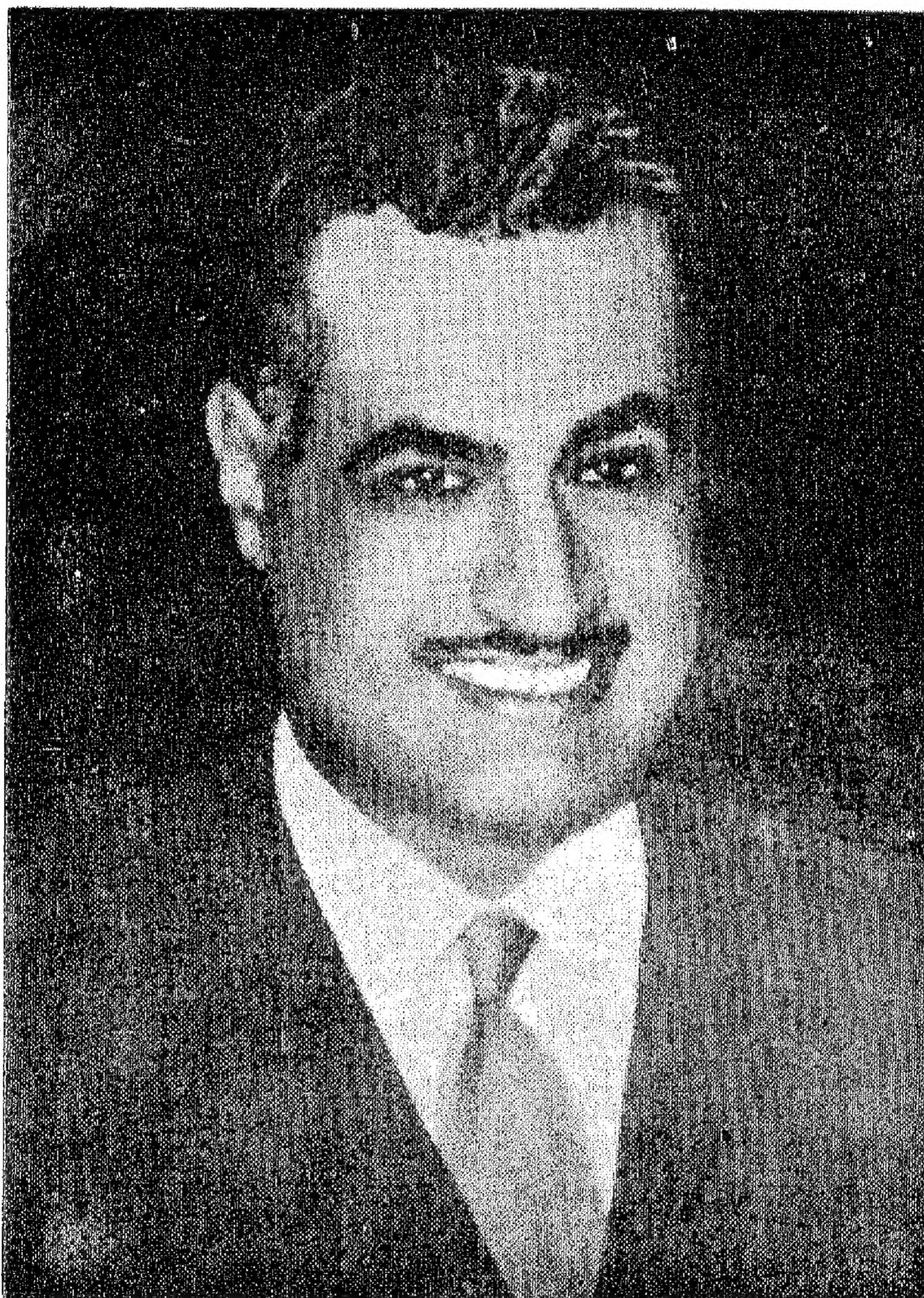
تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم

بقلم

محمد عزه دروزة

الجزء الثالث

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



الرئيس جمال عبد الناصر

تاريخ بنى اسرائيل بعد السبى

الى دور المكابيين

- ١ -

والآن نأتى الى تاريخ بنى اسرائيل بعد سبى اورشليم
وتدميرها .

وفى آخر اصحاحات سفر الملوك الثانى نبذة تحتوى ما جرى
عقب هذا التدمير . وفى سفر ارميا فصول عديدة فيها بيانات أوفى
فى صدد ذلك لان ارميا شهد حادث التدمير وعاش بعده أمدًا ،
فى فلسطين ومصر . ثم هناك أسفار عديدة منسوبة الى أشخاص
عاشوا فى حقبة السبى وبعدها واحتوت أشياء كثيرة عنها . وهى
أسفار عزرا ونحميا واستير وحزقيال ودانيال ويوئيل وحجسى
وزكريا ويهوديت وطوبيا وباروك والمكابيين . والاربعة الاخيرة
هى من زوائد النسخة الكاثوليكية .

وأسفار عزرا ونحميا واستير ويهوديت وطوبيا تغلب عليها
السمة التاريخية دون البقية التى هى رؤى وتنبؤات وتجليات
وتشديدات بما كانت عليه حالة اليهود فى هذه الحقبة وقبلها وما

كان من غضب الله عليهم وضربهم وتشتيتهم ، ومواعظ وبشارات
لهم بالعودة واستئناف الحياة ثانية في أرض كنعان ، وتقريعات
للأمم الاخرى التي كانت تغزو وتزعج دولتي يهوذا واسرائيل
واليهود عامة وتسيطر عليهم وتستعبدهم وتذلهم وتذكيرات بسا
جل بها من دمار وبلاء مما ينسحب عليه ما قلناه قبل من التناقض
مع منطق الاسفار والروح التعصبيه الضيقة وما بعثته العودة من
السبى في نفوس بنى اسرائيل من آمال وجددته من آلام وأحقاد
وفي خلال ذلك بعض بيانات وصور قوية عن حالة اليهود في حقبة
السبى وما بعده والمتبادر ان ما جاء في هذه الاسفار عن حالة
بنى اسرائيل وتاريخهم قبل السبى مستمد من أسفار اخرى ، وفيها
تطابق لما جاء في أسفار اخبار الايام والملوك . وسنورد العبارة
اذا اقتضى الامر بصيغتها الواردة في النسخة الكاثوليكية كما فعلنا
قبل لأنها كما قلنا أقوى تشيلا وأشد صلة للزمن الذي تذكر
أحداثه وتعطى صورته .

ولقد جاء في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الملوك
الثاني - الرابع وهو آخر اصحاحاته أن نبوخذنصر ولي على من
بقى من شعب يهوذا جدليا بن أحقيان بن شافان - وهو من بنى
اسرائيل - وأن رؤساء الجيوش وهم اسماعيل بن تنيا ويوحانان
ابن قاريح وسرايا بن تنحومت النطوفي ويازنيا بن المعكى لما
سمعوا بذلك أتوا مع رجالهم الى جدليا في المصفاة - موقع في

غور أريحا - فحلف هذا لهم وقال لا تخافوا من عبودية الكلدانيين . اسكنوا الارض وتعبدوا للملك بابل فيكون لكم خير ، وأنه في الشهر السابع جاء اسماعيل بن نتيا بن أليشاماع من النسل الملكي وعشرة رجال معه وضربوا جدليا فمات وضربوا اليهود والكلدانيين الذين معه في المصفاة فقام جميع الشعب من الصغير الى الكبير ورؤساء الجيوش وأتوا مصر لانهم خافوا من الكلدانيين .

ولقد جاء في الاصحاح الرابعين من سفر أرميا ان جدليا قال لرؤساء الجيوش المذكورة أسماؤهم ولرجالهم اني ساكن في المصفاة (١) لأقف أمام الكلدانيين الذين يأتون إلينا . أما اتسم فاستغلوا الخمر والحصيد والزيت وأوعوها في آئيتكم واسكنوا في مدنتكم التي أخذتموها . وكذلك جميع اليهود الذين في مؤاب وبين بني عمون وفي أدوم والذين في كل الأراضى ، لما سمعوا تولية جدليا رجعوا من جميع الأماكن التي دحروا إليها وأتوا الى أرض يهوذا وأخذوا يستغلون من الخمر والحصيد شيئا كثيرا . وجاء يوحانان بن قاريح وجميع رؤساء الجيوش الذين في الصحراء الى جدليا وقالوا له ان بعليس ملك بني عمون أرسل اسماعيل بن نتيا وطلب منه يوحانان أن يأذن له بقتله قائلا : لماذا

(١) المصفاة هي المكان الذي يقال له اليوم شعفاط في ضواحي القدس على ما ذكره المطران الدبسي .

يقتلك فيتبدد جميع اليهود المجتمعين اليك وتهلك بقية يهوذا
فأبى ولم يصدق وقال ليوحانان انك تتكلم على اسماعيل افتراء *
ولكن اسماعيل جاء في الشهر السابع مع عشرة رجال الى جدليا
في المصفاة وأكلوا على مائدته ثم ضربوه وقتلوه على ما جاء في
الاصحاح الحادي والاربعين وقتلوا جميع اليهود والكلدانيين
الذين كانوا معه ، وفي طريقهم صادفوا ثمانين رجلا محلقى اللحى
ممزقى الثياب وهم مخدشون وبأيديهم مقدمة ولبان ليقرّبوها
الى بيت الرب فذبحهم وألقاهم في وسط جب * وكان بينهم
عشرة رجال قالوا لاسماعيل لا تقتلنا فان لنا كنوزا في الصحراء
من حنطة وشعير وزيت وعسل فاستبقاهم * وسبى اسماعيل
جميع بقية الشعب الذين في المصفاة وبنات الملك الذين وكلهم
نبوز ردان رئيس شرط بابل الى جدليا وانطلق عابرا الى بنى
عمون * وسمع يوحانان وجميع رؤساء الجيوش بكل الشر الذي
صنعه اسماعيل فأخذوا جميع الرجال وانطلقوا ليقاقلوه ولكنه
استطاع أن يفلت منهم واضطر الى التخلي عن المسيبين فأخذ
يوحانان وجميع رؤساء الجيوش الذين معه ، كل بقية شعب
المصفاة الذين استردهم من اسماعيل واتجهوا صوب مصر فرارا
من وجه الكلدانيين لانهم خافوا منهم بسبب قتل اسماعيل لجدليا
ويقول الاصحاح الثاني والاربعون انهم تقدموا لارميا ليصلى
الى الرب لأجلهم ووعدوه بفعل كل ما يأمرهم به بلسان الرب *

فوعدهم بالصلاة • وبعد عشرة ايام دعاهم وقال لهم ان الرب يقول ان سكنتم في هذه الأرض فانا أبنيكم ولا أنقض وأغرسكم ولا أقلع لاني قد ندمت على الشر الذي صنعت بهكم • لا تخافوا من ملك بابل فاني معكم لاخلصكم واتقذك من يده • وان قلت لا نسكن في هذه الارض ولم تسمعوا لصوت الرب وثبتم وجوهكم لتذهبوا الى مصر فالسيف الذي تخافون منه يدرككم هناك والجوع الذي تخشونه يتعقبكم وهناك تموتون • ولا يبقى لمن يفعل ذلك شريد ولا مفلت وكما انصب غضبي وسخطي على سكان اورشليم ينصب سخطي عليكم اذا ذهبتم الى مصر فتكونون سبة ودهشا ولعنة وعارا ولا ترون هذا الموضع بعد • هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل •

ويقول الاصحاح الثالث والاربعون ان عزريا بن هوشعيا ويوحانان وجميع الرجال العتاة قالوا بعد ما فرغ من خطابه انك تكلمت افتراء على الرب وان باروك بن نيريا يغريك بنا لنجعل في أيدي الكلدانيين ونقتل ونجلى الى بابل • وأخذوا كل بقية يهوذا الرجال والنساء والاطفال وبنات الملك وانطلقوا الى مصر واتتهوا الى تحفيس احدى مدن مصر على ما يستفاد من سياق الكلام ولعلها من مدن الدلتا — ويظهر أن أرميا ذهب معهم لأن الاصحاح يقول ان الرب أمر أرميا في تحفيس بان يأخذ حجارة كبيرة ويطمرها في موضع التلپين عند مدخل بيت فرعون بتحفيس

على عيون رجال من اليهود ويقول لهم هكذا قال الرب هأنذا أرسل وأخذ نبوخذنصر ملك بابل عبي وأجعل عرشه فوق هذه الحجارة ويبسط ديباجه فوقها فيقبل ويضرب أرض مصر فيصير الذين للموت الى الموت والذين للسبي الى السبي والذين للسيف الى السيف وأضرم نارا في بيوت آلهة مصر وهو يحرقها ويسبيها ويلبس أرض مصر كما يلبس الراعى ثوبه ويخسرج من هناك بسلام ويكسر أصنام بيت الشمس التى فى أرض مصر ويحسرق بيوت آلهة مصر بالنار .

وهكذا تشرد جميع سكان يهوذا تشردا شاملا ، والذين نجوا من الموت أجلوا الى بابل والذين لم يجلوا نرحوا الى مصر . ويظهر أن النازحين الى مصر لم يلبثوا ان انصرفوا الى الديانة المصرية . فقد جاء فى الإصحاح الرابع والاربعين من سفر أرميا أن أرميا خاطب جميع اليهود الساكنين فى أرض مصر الذين يسكنون مجدول وتحفيس ونوف وأرض فتروس بلسان الرب قائلا : يقول رب الجنود قد رأيتم كل الشر الذى جلبته على أورشليم ومدن يهوذا وهى الآن خربة لا ساكن فيها بسبب شرهم الذى صنعوه يسخطوننى اذ ذهبوا ليقطروا ويعبدوا آلهة اخرى . وقد أرسلت اليهم عبيدى الانبياء ، قائلا لا تصنعوا رجسا مثل هذا فانى أمقته فلم يسمعوا فانصب سخطى وغضبى عليهم فلماذا تصنعون هذا الشر العظيم العائد عليكم لينقرض منكم الرجل

والمرأة والبصبي والمرضع ولتسخطوني بأعمال ايديكم مقترين
 لآلهة أخرى في أرض مصر التي آتيتموها لتتغربوا فيها وتقرضوا
 وتصيروا لعنة وعارا في جميع أمم الأرض . أنسيتم شرور آبائكم
 وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائهم ونسائكم التي صنعت في
 أرض يهوذا وفي شوارع أورشليم فهأنذا أجعل وجهي عليكم
 للشر ولا تقراض جميع يهوذا الذين انطلقوا الى أرض مصر
 فيسقطون بالسيف والجوع ويفنون من الصغير الى الكبير
 ويصيرون سبة ودهشا ولعنة وعارا . فأجاب الرجال العارفين أرميا
 أن الكلام الذي كلمتنا به باسم الرب لا نسمع لك فيه بل نعمل
 بحسب كل كلام يخرج من أفواهنا مقترين لملكة السماء وسالكين
 لها كما عملنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا في مدن يهوذا
 وشوارع أورشليم فشبعنا خبزا وكنا بخير ولم نر شرا . ولكن
 منذ أهملنا التقدير لملكة السماء صرنا محتاجين الى كل شيء وفنينا
 بالسيف والجوع . فأجابهم أرميا : ان التقدير الذي قترتموه
 والذي حظره الرب عليكم جعله لا يستطيع الاحتمال فصارت
 أرضكم خرابا ودهشا ولعنة لا ساكن فيها كما هي اليوم فاسمعوا
 كلمة الرب ها أنا قد أقسمت باسمي العظيم أن اسمي لا يذكر من
 بعد في فهم أحد من يهوذا في جميع أرض مصر . هأنذا أسسهم
 عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين في أرض مصر
 بالسيف والجوع . اني سأفتقدكم في هذا الموضع لكي تعلموا

أن كلامي عليكم للشر يقوم ، هأنذا أجعل فرعون خفرع ملك
مصر في أيدي أعدائه كما جعلت صدقيا في يد نبوخذنصر ملك
بابل .

- ٢ -

وسفر نبوة باروك — وهو من زوائد النسخة الكاثوليكية
ستة اصحاحات في اثنتي عشرة صفحة ، ومحتوياته متصلة بحقبة
غزو الكلدانيين لاورشليم ، وكاتبه من قافلة المسييين الأولى من
أورشليم الى بابل على ما يستفاد منه . ويقول اصحاحه الأول
ان هذا كلام الكتاب الذي كتبه باروك بن نيريا بن معسيا بن
صدقيا بن حسديا بن حلقيا في بابل ، في السنة الخامسة حين
أخذ الكلدانيون أورشليم وأحرقوها بالنار وتلا باروك كلام هذا
الكتاب على مسامع يكيئا بن يواقيم ملك يهوذا وبنى السلوك
والشيوخ وجميع الشعب من الصغار الى الكبار الساكنين في
بابل على نهر سود ، فبكوا وصاموا وصلوا أمام الرب وجمعوا
من الفضة قدر ما استطاعت يد كل واحد وبعثوها الى يواقيم بن
حلقيا بن شلوم الكاهن والكهنة والشعب الذين معه في أورشليم ،
وقالوا انا ارسلنا اليكم فضة فابتاعوا بها محرقات وذبائح للخطية

ولبانا واصنعوا تقادم وقدموها على مذبح الرب الهنا وصلوا من
 أجل حياة نبوخذنصر ملك بابل وحياة ييلشصر ابنه لكي تكون
 أيامهما كأيام السماء الارض فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونجيا
 تحت ظل نبوخذنصر ملك بابل وظل ييلشصر ابنه وتعبدا لهما
 أياما كثيرة ونحن نأثلون لديهما حظوة وصلوا من أجلنا الى الرب
 الهنا فانا قد خطئنا اليه ولم يرتد سخطه وغضبه عنا الى هذا اليوم
 واتلوا هذا الكتاب الذي أرسلناه اليكم لينادي به في بيت الرب
 في يوم العيد وفي أيام المحفل • وقولوا للرب الهنا العدل ولنا
 خزي الوجوه كما في هذا اليوم لرجال يهوذا وسكان اورشليم
 وملوكنا ورؤسائنا وكهنتنا وأنبيائنا وآبائنا ، من يوم أخرج الرب
 آباءنا من أرض مصر الى هذا اليوم ما زلنا نعصى الرب الهنا
 ونعرض عن استماع صوته فلحق بنا الشر واللعنة اللذان أمر
 الرب موسى عبده أن يوعده بهما يوم أخرج آباءنا من أرض مصر
 ليعطينا أرضا تدر لبنا وعسلا فلم نسمع لصوت الرب الهنا ولا
 لجميع كلام الانبياء الذين أرسلهم الينا ومضينا كل واحد على
 اضرار قلبه الشرير عابدين آلهة أخر صانعين الشر أمام عيني
 الرب الهنا •

وتستمر حكاية كلام بني اسرائيل لآخوانهم في اورشليم
 في الاصحاح الثاني حيث جاء فيه : فأقام الرب كلامه الذي تكلم
 به علينا وعلى قضائنا الذين يقضون في اسرائيل وعلى ملوكنا

ورؤسائنا وعلى رجال اسرائيل ويهوذا ؛ جالبا علينا شرا عظيما بحيث لم يحدث تحت السماء بأسرها مثل ما أحدثه في اورشليم على حسب ما كتب في شريعة موسى ، حتى أكل بعضنا لحم ابنه والآخر لحم بنته وأخضعهم تحت أيدي جميع الممالك التي حولنا وجعلهم عارا ودهشا في جميع الشعوب الذين شتمهم الرب بينهم .

ثم يتغير سياق الكلام في الاصحاح حيث يحكى خطايا الاسرائيليين أصحاب الكلام السابق الى الرب فيعترفون بما كان منهم من خطأ وتفاق واثم ومخالفة لكل رسوم الشريعة ويلتمسون منه الاصغاء لصلاتهم وتضرعهم لينقذهم وينيلهم الحظوة أمام الذين أجلوهم ، ويقولون انهم يرفعون تضرعهم أمام الرب لا لأجل بر آبائهم وملوكهم بل لانه أرسل سنخطه وغضبه عليهم وفقا لما تكلم به على السنة عبيده الانبياء حيث قال : احنوا مناكبكم وتعبدوا لملك بابل فتسكنوا في الارض التي أعطيتها لآبائكم وان لم تسمعوا لصوت الرب بأن تتعبدوا لملك بابل فاني أبطل من مدن يهوذا ومن شوارع اورشليم صوت الطرب وصوت الفرح صوت العروس والعروسة وتكون كل الارض مستوحشة لا ساكن فيها . فلم نسمع لصوتك بأن تتعبد لملك بابل فأقميت كلامك الذي تكلمت به على السنة عبيدك الانبياء أن تخرج عظام ملوكنا وعظام آبائنا من مواضعها

وها انها مطروحة لحر النهار وقرس الليل وقد ماتوا في أوجاع
 أليمة بالجوع والسيف والطرْد وجعلت البيت الذي دعى باسمك
 كما في هذا اليوم لاجل شر آل اسرائيل وآل يهوذا (١) ، وقد
 عاملتنا أيها الرب بكل رأفتك ورحمتك العظيمة وتكلمت على
 لسان عبدك موسى يوم أمرته أن يكتب شريعتك قائلا ان لم
 تسمعوا لصوتي فان هذا الجمع العظيم الكثير يصير نفرا قليلا
 في الامم الذين أشتتهم بينهم ، فاني عالم بأنهم لا يسمعون لي
 لانهم شعب قساة الرقاب لكنهم سيرجعون الى قلوبهم في أرض
 جلائهم ويعلمون اني أنا الرب الههم وأعطيهم قلوبا وآذانا سامعة
 فيسجوني في أرض جلائهم ويذكرون اسمي ويتوبون عن صلابه
 رقابهم وشر أعمالهم لانهم يتذكرون طريق آبائهم الذين خطئوا
 أمام الرب وأعيدهم الى الارض التي خلقت عليها آباءهم . وأقيم
 لهم عهدا أبديا فأكون لهم الها ويكونون لي شعبا ولا أعود أزعر
 شعبي اسرائيل من الارض التي أعطيتها لهم .

والمتبادر أن العبارة الاخيرة متأثرة بما كان من واقع العودة
 وما أثارته في نفوس بني اسرائيل من آمال . ولا سيما أن هذا

(١) هذا الكلام في معرض التذكير بما كان من فزوة لبرنخداصر الاولى وخضوع
 ملك يهوذا له ثم تمرده المرة بعد المرة حتى يجعله يأتي ويدمر اورشليم كما نسيو

العهد الابدى الذى ذكره الاصحاح باسم الرب قد انتقض بما كان من تدمير اورشليم تدميرا شاملا أكثر من تدمير نبوخذ نصر وتشريد من كان فيها من بقايا اليهود من قبل الرومان على ما سوف نشرحه بعد .

. وفى اصحاحات السفر الثالث والرابع والخامس تضرعات وصلوات للرب وهتاف له بالاصغاء اليهم ورحمتهم وعدم ذكر آثام آبائهم . ودعوة الى التوبة واتباع شريعة الرب ، وبشرى برحمة الله وتيسير العودة الى اورشليم ، وهتاف لهذه المدينة بأن تخلع حلة النوح والمذلة وتلبس بهاء المجد وتستقبل أبناءها العائدين الذين ذهبوا عنها راجلين يسوقهم الاعداء ثم يعيدهم الله راكين بكرامة كمن هو على عرش الملك .

والمتبادر كذلك أن هذا متأثر بما كان من واقسع العودة وآثارها .

أما الاصحاح السادس فانه نسخة الرسالة التى أرسلها أرميا الى الذين كان ملك بابل مزمعا أن يسوقهم فى الجلاء الى بابل يخبرهم بما أمره الله به ، مما يبدو أنه لا صلة بينه وبين السفر لان باروك كان فى الجلاء بينما هذه الرسالة موجهة الى بنى اسرائيل فى أرض يهوذا قبيل الجلاء ، الا أنه من المحتمل أن يكون باروك نفسه هو الذى ألحقها بما كتبه وسجله .

والرسالة طويلة استغرقت أربع صفحات ، وفيها تذكير بما
كان من آثام بنى اسرائيل وعقوبة الرب عليها باجلائهم الى بابل
ودعوة الى عبادة الله وحده وتحذير من السجود لآلهة البابليين
الذهبية والفضية والخشبية وعدم الخوف من أبهتها وما تثيره
زخارفها وملابسها وصناعاتها وما فى أيديها من سيوف
وصولجانات وما لها من كهان وهياكل ، فهى لا تستطيع أن
تفعل شيئا ولا تملك لاحد نفعا ولا ضرا ولا نجاة ولا حماية
ولا نصرا بل ولا تستطيع أن تحمى نفسها من سرقة اللصوص
وأخذهم ما عليها من ثياب وحلى الخ ، وكل هذا بعبارة قوية
متنوعة الصياغة .

— ٣ —

وسفر دانيال أربعة عشر اصحاحا فى خمس وثلاثين صفحة
وبعض مقاطع من بعض اصحاحاتها مفقودة على ما تذكره النسخة
الكاثوليكية .

ويستفاد منه أن صاحبه من انبياء بنى اسرائيل وانه كان فى
قافلة المسيبين التى سبها نبوخذنصر الى بابل مع الملك يواكين
أو يواقيم أى قبل تدمير اورشليم النهائى وانه ظل فى المنفى الى

عهد كورش وداريوس بن أحشو بريش على ما جاء في اصحاحه
الاول .

وقد احتوى هذا السفر قصصا كثيرة فيما جرى له مع
نبوخذنصر وبيشصر ملكي بابل الكلدانيين وداريوس بن أحشو
بريش المادي وكورش الفارسي وما تعرض له مع بعض رفاقه من
بلاء وامتحانات بسبب امتناعهم عن السجود لغير الله رغم أمن
الملك وما كان من عناية الله بهم وانقاذهم من النار التي ألقوا
فيها والاسود التي طرحوا في جيبها عقوبة لهم وما كان من تأثير
ذلك في الملوك وحظوته عندهم وما كان من رؤى رآها في مصير
المملكة الكلدانية وقيام الدولة الفارسية المادية وما كان من
رؤى رآها الملوك وفسرها لهم بعد أن عجز المعبرون عن ذلك
الخ . . وفي ما احتواه من ذلك كثير من الخيال والمفارقات
والخلط التاريخي ، مثل جعل داريوس هو الذي قتل آخر
ملوك الكلدانيين واستولى على مملكته ونعته بالمادي وجعل
كورش يأتي بعده ونعته بالمادي ، حيث يسوغ ذلك كله أن يكون
السفر مما كتب مؤخرا من مذكرات أو ذكريات أو قصص
معزوة الى دانيال وليس فيها مع ذلك شيء ذو بال مما يتصل
بتاريخ اليهود وحالتهم . غير أن الاصحاح التاسع من السفر
احتوى تضرعات ودعوات لدانيال موجهة للرب لانقاذ شعبه
وحكاية ظهور جبريل له مبشرا مشجعا مطمئنا معلما .

وقد احتوى الاصحاح وصفا لآثام بنى اسرائيل التى سببت
لهم السبى والخزى .

وجاء فيه فيما جاء فى سياق اِتهالات دانيال وتضرعاته : أيها
السيد الاله العظيم الرهيب ، حافظ العهد والرحمة للذين
يحبونك ويحفظون وصاياك . انا خطئنا وأثمنا وناقضنا وتمردنا
وزغنا عن وصاياك وأحكامك . ولم نسمع لعبيدك الانبياء
الذين كلموا باسمك ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وجميع شعب
الارض . لك أيها السيد العدل ولنا خزي الوجوه كما فى هذا
اليوم لرجال يهوذا وسكان اورشليم ولجميع اسرائيل لدانيهم
وقاصيهم فى جميع الاراضى التى دحرتهم اليها لاجل تعسديهم
الذى تعدوا عليك وللسيد الهنا الرحمة والمغفرة لانا تمردنا
عليه . فتعدى جميع اسرائيل شريعتك وزاغوا غير سنامعين
لصوتك فأنصبت علينا اللعنة والحلف المكتوب فى توراة موسى
عبد الله لانا خطئنا اليه . فأقام كلامه الذى تكلم به علينا وعلى
قضاتنا الذين قضوا بيننا جالبا علينا شرا عظيما بحيث لم يحدث
تحت السماء بأسرها مثل ما حدث فى اورشليم . وكما كتب فى
شريعة موسى حل علينا جميع هذا الشر ونحن لم نستعطف وجه
الرب الهنا تائبين عن آثامنا وفاهمين حقك . فسر الرب على
الشر وجلبه علينا لان الرب الهنا عادل فى جميع أعماله التى عملها

ونحن لم نسمع لصوته • والآن أيها السيد الهنا الذي أخرج
شعبه من أرض مصر بيد قديرة وأقام له اسما • أيها السيد
لينصرف عضبك وحنقك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك فانه
لخطايانا وآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع
الذين حولنا • فالآن اسمع يا الهنا صلاة عبدك وتضرعاته وانظر
أخربتنا والمدينة التي دعى اسمك عليها فانا لسنا لاجل برنا تلقى
تضرعاتنا أمامك بل لاجل مراحمك الكثيرة • أيها السيد اسمع •
أيها السيد اغفر • أيها السيد اصنع واصنع ••

- (ع) -

وسفر حزقيال ثمانية وأربعون اصحاحا في أربع وثمانين
صفحة • ويستفاد منه أنه هو الآخر من أنبياء بنى اسرائيل وأنه
كان من المسييين ، وكان يقيم عند نهر خابور •
وقد احتوى سفره قصصا عديدة عن تجلى الله وملاكه له
ورؤى عديدة رآها في حالة ومصير بنى اسرائيل وغيرهم من
الامم ، وفي وصف ما كانت عليه حالة بنى اسرائيل قبل السبي
وفي أثناءه ، وفي ارساله من قبل الرب الى بنى اسرائيل في الجلاء
منذرا وواعظا ومنندا بما ظلوا عليه من انحراف وقسوة قلب

وتمرّد وعصيان وفيه مواعظ وأمثال ونصائح دينية وخلقيّة واجتماعية •

ومما جاء في اصحاحه الثانی : أن الرب قال له يا ابن البشر اني مرسلك الى بني اسرائيل الذين تمرّدوا على وعصوني هم وآباؤهم الى هذا اليوم • اني مرسلك الى البنين الصلاب الوجوه القساة القلوب فتقول لهم هكذا قال الرب لعلمهم يسمعون ويكفون ويعلمون أن بينهم نبيا •

ومما جاء في اصحاحه الثالث أن الرب قال له يا بن البشر انطلق الى آل اسرائيل وكلمهم بكلامي ، لست مرسلا اياك الى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان بل الى آل اسرائيل ولو أني أرسلتك الى غيرهم لسمعوا لك ولكن آل اسرائيل يابون أن يسمعوا • ثم رفعني الروح وذهب بي الجاهل الى الساكنين على نهر كبار ، ثم كلمني الرب قائلا اني جعلتك رقيبا عليهم فاسمع كلمتي وأنذرهم عني اذا قلت للمنافق انك تموت موتا ولم تنذره فانه يموت في اثمه ولكني من يدك أطلب دمه • أما اذا أنذرته ولم يتب من نفاقه ومن طريقه الشرير فهو يموت في اثمه ولكنك تكون قد خلصت نفسك •

ومما جاء في اصحاحه الخامس : هكذا قال السيد الرب هذه اورشليم قد جعلتها وسط الامم ومن حولها الارض •

ونصت أحكامي بنفاقها أكثر من الأمم ورسومي أكثر من
الاراضي التي من حولها . نبدوا أحكامي ولم يسلكوا رسومي
لذلك هكذا قال الرب بما أنكم تدمرتم أكثر من الأمم التي من
حولكم ولم تسلكوا في رسومي ولم تعملوا حسب أحكامي
فها أنذا عليك وسأجرى أحكاما في وسطك أمام عيون الأمم
وأفعل بك ما لم أفعله وما لا أعود أفعل مثله لاجل جميع
أرجاسك . فالآباء يأكلون البنين في وسطك والبنون يأكلون
آباءهم ، وأجرى فيك أحكاما ، وأذرى جميع بقيتك لكل ريح
بما أنك نجست مقدسي بجميع مقوتاتك وجميع أرجاسك فأنا
أيضا أقطع ولا ترثي عيني ولا أشفق . فقلت يسوتون بالوباء
ويفضون بالجوع في وسطك وثلك يسقطون بالسيف من حولك
وثلك أذريهم لكل ريح واستل السيف وراءهم فيتم غضبي
وأريح حنقي منهم وأتعزى . وأجعلك خرابا وعارا ولعنة وعبرة
ودهشا للأمم التي من حولك .

وفي اصحاحاته من السابع الى السابع عشر رؤيا رآها
حزقيال تجلى فيها الرب له وأراه ما كان ارتكس فيه بنو اسرائيل
من الوثنية والرجاسات في المعبد وفي الخلوات مما كان السبب
في ثوران غضب الله وسخطه عليهم وما كان من تسليطه ملك
بابل عليهم وجعله يوغل فيهم تدميرا وفتكا ونهبا وسبيا .

ثم احتوى الاصحاح الثامن عشر كلاما بمثابة التعقيب جاء فيه فيما جاء ما بالكم تتمثلون بالمثل قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان البنين ضرست • ان جميع النفوس هي لى • النفس التى تخطىء هي التى تموت • فالانسان اذا كان صديقا وأجرى الحكم والعدل ولم يأكل على الجبال ولم يرفع طرفه الى أصنام آل اسرائيل ولم ينجس امرأة قريبة ولم يدن من امرأة طامث ولم يعسف أحدا ورد على المديون رهنه ولم يختلس خلسة وأعطى خبزه للجائع وكسا العريان ثوبا ولم يعط بالربى ولم يأخذ ربحا وكف يده عن الاثم وأجرى قضاء الحق بين الانسان والانسان وسلك فى رسومي وحفظ أحكامى عاملا بالحق ، يحيا حياة • فان ولد ابنا لصا سفاكا للدماء يصنع ضد جميع ما ذكر فانه يموت موتا ويكون دمه عليه • فاذا هو ولد ابنا فرأى جميع خطايا أبيه التى صنعها لكنه لم يصنع مثلها فانه لا يموت باثم أبيه بل يحيا حياة • اذ ارتد البار عن بره وصنع الاثم وعمسل جميع الارجاس فان جميع البر الذى صنعه لا يذكر وبتعديسه الذى تعدى وخطيئته التى خطىء يموت • ستقولون ان طريق السيد ليس بمستقيم • أليست طرقكم التى هي غير المستقيمة لذلك أدينكم يا آل اسرائيل كل واحد عن طريقه • توبوا واستتيبوا عن معاصيكم فلا يكون الاثم معثرة لكم • انيذوا

عتكم جميع معاصيكم واصنعوا لكم قلوبا جديدة وروحا جديدة
فلا تموتون .

ومما جاء في الاصحاح التاسع عشر :

وانت فارشد برثاء على رؤساء اسرائيل . وقل كيف امك
اللبوة ربضت بين الاسود وربت جراءها في وسط الاشبال ،
وأعلت واحدا من جرائها فصار شبلا وتعلم افتراس الفريسة
وأكل الناس فسمعت به الامم فأخذ في هوتهم فقادوه بيرة الى
أرض مصر فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها أخذت
آخر من جرائها وأقامته شبلا فتعلم افتراس الفريسة وأكل
الناس وعرف أراملهم وخرب مدائنهم ، فاستوحشت الأرض
وملئها من صوت زئيره فخرجت عليه الامم بما حوله من البلاد
وبسطوا عليه شركهم فأخذ في هوتهم فجعلوه في قفص بيرة وأتوا
به الى ملك بابل وطرحوه في الحصون لئلا يسمع صوته من بعد
على جبال اسرائيل .

ومما جاء في الاصحاح العشرين :

أتى رجال من شيوخ اسرائيل ليسألوا الرب فجلسوا أمامي
فكانت الى كلمة الرب قائلا عرفهم أرجاس آبائهم وقل لهم قال
الرب انى يوم اخترت اسرائيل ورفعت يدي لذرية آل يعقوب

وتعرفهم اليهم في أرض مصر ورفعت يدي لهم قائلاً أنا الرب
 الهكم ورفعت يدي لهم على أن أخرجهم من أرض مصر الى
 الارض التي ارتدتها لكم التي تدر لبنا وعسلا وهي فخر جميع
 الاراضى فقلت لهم انبذوا كل واحد أرجاس عينيه ولا تتنجسوا
 بأصنام مصر فتمردوا على وأبوا أن يسمعوا الى فقلت انى أصب
 حنقى عليهم وأتم غضبى فيهم في أرض مصر لكنى عملت لئلا
 يتدنس اسمى على عيون الامم الذين هم بينهم فأخرجتهم وأتيت
 بهم الى البرية وأعطيتهم رسومي وأعلمتهم أحكامى لكنهم
 تمردوا على في البرية فلم يسلكوا في رسومي ورفضوا أحكامى
 ودنسوا سبوتى فقلت انى أصب حنقى عليهم في البرية لكنى
 عملت لاجل اسمى لئلا يتدنس على عيون الامم وأشفقت عيني
 عليهم من التدمير فلم أفنهم في البرية فقلت لبنيهم فيها لا
 تسلكوا في رسوم آبائكم ولا تحفظوا أحكامهم ولا تتنجسوا
 بأصنامهم لكن البنين تمردوا على ولم يسلكوا في رسومي
 وأحكامى ودنسوا سبوتى فقلت انى أصب حنقى عليهم لاتم
 غضبى عليهم في البرية لكنى رددت يدي وعملت لاجل اسمى
 ورفعت يدي لهم في البرية على أن أشتتهم بين الامم وأذريهم في
 الاراضى لانهم لم يعملوا بأحكامى ورفضوا رسومي ودنسوا
 سبوتى وما كانت عيونهم وراء أصنام آبائهم • لذلك قل لبني

اسرائيل اتكونون تتنجسون بطريق آبائكم وتزنون باتباع
 ارجاسهم وبتقديم عطاياكم واجازة بينكم في النار وتتنجسون
 مع جميع اصنامكم الى اليوم واجيب عن سؤالكم يا آل اسرائيل
 حى انا ، يقول السيد الرب لا اجيب عن سؤالكم وما خطر على
 قلوبكم لا يكون البتة .

ومما جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين :

يا ابن البشر اجعل وجهك الى اورشليم وافض نحو مقدسهم
 وتنبأ نحو أرض اسرائيل وقل لها هكذا قال الرب هاانذا اجرد
 سيفى من غمده واقرض منك الصديق والمنافق . وانت ايها
 النجس المنافق رئيس اسرائيل الذى اتى يومه عند بلوغ الاثم
 غايته انى انزع العمامة وارفع التاج واجعل انقلابا على انقلاب .

ومما جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين :

وانت يا ابن البشر هلا تدين مدينة الدماء وتعلمها بجميع
 ارجاسها . قل ايتها المدينة التى تسفك الدم فى وسطها لياثى
 وقتها وتضر نفسها بصنع اصنام تتنجس بها . لقد اثمت بدمك
 الذى سفكته وتنجست باصنامك التى صنعتها فادنيت ايامك
 ايامك ولذلك قد جعلتك عارا للامم وسخرة لجميع الاراضى
 الدانيات منك والقاصيات عنك يسخرن منك ايتها المنحوسة

الاسم الكثيرة الهرج ، فيك أهانوا أبا وأما وفي وسطك عاملوا
 القريب بالجور وفيك اعسفوا اليتيم والارملة، لقد ازدريت أقداسى
 ودنست سبوتى رجال نعمة كانوا فيك لسفك الدم وفيك أكلوا
 على الجبال وفي وسطك صنعوا الفجور . فيك من كشف سوءة
 أبيه وفيك أذلت المتنجسة بطمئتها . واحد صنع مع امرأة قريبة
 ما هو زجس وواحد نجس كنته بفجور . وواحد أذل فيك
 أخته بنت أبيه . فيك أخذت الرشوة لسفك الدم . وأنت أخذت
 الربا والربح وجرت على قريبك بالسحت ونسيتنى . فهأنذا
 ضربت كفى على سحتك الذى اتخذته وعلى الدم المسفوك فى
 وسطك . فهل يثبت قلبك أو تقوى يداك أيام أجرى معك أمرى
 أنا الرب تكلمت وسأفعل . أشتك بين الأمم وأذكرك فى الاراضى
 فتعلمن انى أنا الرب . يا بن البشر ان آل اسرائيل قد صاروا
 لى خبثا فجميعهم نحاس وقصدير وحديد ورصاص فى الكور
 وهم خبث فضة . لذلك قال الرب هأنذا أجمعكم فى وسط
 اورشليم فى غضبى وحنقى وأدعكم هناك وأنفخ عليكم نار
 وغرى . فتعلمون انى أنا الرب صببت حنقى عليكم . يا بن
 البشر قل لها انك أرض غير مطهرة لم تمطر فى يوم السخط . فى
 داخلها فتنة أنبيائها كأسدزائر مفترس فريسة قد التهموا النفوس
 وأخذوا المال والنفيس وكثروا الأراامل فى وسطها . كهنتها تعدوا

شريعتي ودنسوا أقداسي ولم يميزوا بين المقدس والمدنس ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر وحجبوا عيونهم عن سبوتي فتدنست في وسطهم • رؤسائوها في وسطها كالذئاب المفترسة الفريسة سافكين الدم مهلكين النفوس لكي يكسبوا سحتنا وأنبيائها طينوا لهم بردىء الملائكة برؤياهم الباطل وعرافتهم لهم بالكذب قائلين هكذا قال الرب والرب لم يتكلم • جاوروا جورا على شعب الارض واختلسوا خلسة وأعسفوا البسائس والمسكين وجاروا على الغريب بغير حق • وقد طلبت من بينهم رجلا يشيد جدارا ويقف على الثلثة أمامي مدافعا عن الارض لكي لا أدمرها فلم أجده • فصبيت عليهم سخطي وأفنيتهم بنار وغري وجعلت طريقهم على روسهم •

وفي الاصحاحين الثالث والعشرين والرابع والعشرين اشارة الى ما كان من تسلط آشور وبابل على دولتي يهوذا واسرائيل بسبب ما كان منهما من انحراف وما كان من تدميرهما بأسلوب آخر فيه تكرار للمعاني السابقة •

وفي الاصحاحات الخامس والعشرين والسادس والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين والحادى والثلاثين والثانى والثلاثين والخامس والثلاثين خطاب لحزقيال بوصفه ابن البشر يأمره بأن يجعل وجهه نحو

بنى عمون وصور وفرعون مصر وجبل سعين والادوميين
والفلسطينيين ويتنسأ بما سوف يحل فيهم من خراب ونكال وذل
لأنهم تشامخوا واستكروا ومنهم من أظهر الشماتة بنى اسرائيل
لما حل بهم من بلاء وشتات وحل بأرضهم من خراب وتدمير ، مما
فيه مناقضة لما ذكرته الاصحاحات السابقة . ومما نرجح أنه من
جهة ترديد لما حل فعلا في هذه الاقوام وبلادها من غزو نوحذ نصر
ونكاله وسيطرته به ، ومن جهة نتيجة لما بعثته عودة بنى اسرائيل
في نفوسهم من آمال وأحقاد على مذكراته قبل .

وفي الاصحاح الثالث والثلاثين عسود على بدء في صدد
التنديد باليهود وحالتهم قبل السبي وانذار المسيبين ووعظهم
به وغالبه تكرار لعبارة الاصحاح الثامن عشر . وفيه الى هذا
عبارة تفيد أنه كان يأتي الى بلاد الكلدانيين أحيانا أشخاص
من الذين بقوا في اورشليم حيث جاء فيه : في السنة الثانية عشرة
من جلائنا أتى الى المفلة من اورشليم قائلا قد ضربت المدينة ،
مما يمكن أن يفيد أن حركة تمردية قامت فيها فقمعها الوالى
بضربة شديدة . ويقول الاصحاح بعد هذه العبارة بلسان حرقيا :
وقد كانت على يد الرب في المساء قبل أن أتى المفلة وفتح الرب
فمى وكانت كلمته لى يا بن البشر ان سكان تلك الاخرة فى
أرض اسرائيل يتكلمون قائلين كان ابراهيم واحدا وورث الارض

ونحن كثيرون فقد أعطيت الارض لنا ميراثا . فقل لهم انكم
تأكلون بدم وترفعون طرفكم الى أصنامكم وتسفكون الدم ،
أفترثون الارض ؟ انكم اعتمدتم على سيوفكم وصنعتم الرجس
ونجستم كل رجل . امرأة قريية أفترثون الارض ؟ قل لهم قال
السيد الرب ان الذين في الاخربة يستعلون في السبق والذي على
وجه الصحراء جعلته مأكلا للوحش والذين في الحصون والمغاور
يموتون بالوباء . وأجعل الارض خربة ومستوحشة وأنسخ
كبرياء عزتها فتصير جبال اسرائيل لا عابر فيها (١) .

وأنت يا ابن البشر ان بنى شعبى يتناولون عليك بجسائب
الجدران وفي أبواب البيوت ويتكلم الواحد مع الآخر والرجل
مع أخيه قائلاً :

هلموا فاسمعوا الكلمة الخارجة من لدن الرب . ويدخلون
اليك ويجلسون أمامك ويسمعون كلامك لكنهم لا يعملون به
لأنهم بأفواههم يبدون حبا لكن قلوبهم تتبع السحت (٢) .

وفي الاصحاحات الرابع والثلاثين ثم السادس والثلاثين الى
الثامن والاربعين وهو آخرها تنبؤات ورؤى فيها بشبارات
بالعودة والبعث ومواعظ بها يجب أن يسير عليه بنو اسرائيل

(١) في لمبارة مدورة لما كانت عليه فلسطين من تخراب وتدمير كما هو المبادر .

(٢) الكلام يعنى اليهود المسيحيين كما هو المتبادر .

حيث يتم ذلك سواء في صدر الهيكل والطقوس أو السيرة والسلوك وتوزيع البلاد على الاسباط الخ . . مما فيه تناقض عجيب مع ما سبقهما من الاصحاحات التي تستبعد أن يرثوا الأرض مع ما كان منهم من انحرافات شديدة خلقية ودينية .
ومما فري أنه هو الآخر نتيجة لما بعثته عودة بني اسرائيل فيهم من آمال .

وسفر يوشع ثلاثة اصحاحات في خمس صفحات . ولا يعرف منه ما اذا كان صاحبه من المسييين أم كان من جملة من بقى في فلسطين . واصحاحاته تتضمن هتافات لبني اسرائيل بالتبوية والتدم وبشرى العودة من السبي . وفي بعضها تقريع بصور وصيدون وبقية بقاع فلسطين ومصر وأدوم وإنذار لهم بسوء المصير لانهم أخذوا فضة الرب وذهب . وأدخلوا نفائسه الفاخرة الى مياكله وباعوا بني يهوذا وبني اورشليم لبني اليساوانيين ليقصوهم الى تخمهم وأعسفوا بني يهوذا وسفكوا الدم الزكى في أراضيتهم ، مما فيه هو الآخر أثر من آثار ما بعثته عودة بني اسرائيل فيهم من آمال وأحقاد .

وسفر عزرا يقص قصة عودة بعض المسييين من بابل الى

أورشليم في زمن الملك كورش وما جرى معهم • وهو عشر
اصحاحات في ثمانى عشرة صفحة • ويبدو أن فيه حقائق تاريخية
كثيرة مشوبة مع ذلك بكثير من الخيال والمفارقات •
وقد جاء في اصحاحه الاول أن الرب نبه روح كورش ملك
فارس فأطلق نداء في مملكته كلها قائلاً ان الرب اله السموات
أعطانى جميع ممالك الارض وأوصانى بأن أبني له بيتاً في أورشليم
التي يهوذا فمن كان منكم من شعبه فليصعد الى أورشليم
ويبنى بيت الرب اله اسرائيل • وكل من بقى في أحد المواضع
حيث هو متغرب فليمدده أهل موضعه بالفضة والذهب والمال
والبهائم فضلاً عما يتطوعون به لبيت الله الذى فى أورشليم • فقام
رؤساء آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله
وروحه ليصعدوا لبناء البيت فى أورشليم وأمدهم من كان حولهم
بآنية من الفضة وبالذهب والمال والبهائم وأشياء ثمينة فضلاً عن كل
ما تطوعوا به وأخرج الملك كورش آنية بيت الرب التى كان
أخرجها نبوخذنصر من أورشليم ووضعها فى بيت آلهته وسلمها
لشليمناصر رئيس يهوذا بواسطة الخازن متردات • وكان عددها
ثلاثون طستا من الذهب وألف طست من الفضة وتسعة وعشرون
سكينا وثلاثون جاما من الذهب وأربعمائة وعشرة جامات من
الفضة من الرتبة الثانية وألف آنية أخرى مما بلغ مجموعه خمسة
آلاف وأربعمائة •

وفي الاصحاح الثاني احصاء للصاعدين العائدين حسب
 عشائرتهم وأسباطهم • ولم نر ضرورة لذكر الانساب والاسماء •
 وقد بلغ عددهم ٤٢٣٦٠ غير عبيدهم وامائهم الذين كان عددهم
 ٧٣٢٧ وغير المغنين والمغنيات الذين بلغ عددهم مائتين • وكان
 معهم من الخيل ٧٢٦ والبغال ٢٤٥ والجمال ٤٣٥ والحمير ٦٧٢٠
 وقد صعد من تل مبصيح وتل حرشاكروب وادان وامير بعض
 عشائر بلغ عدد أفرادها ٦٥٢ لم يشبتوا أنسابهم في اسرائيل
 فخلعوا من الكهنوت وأمروا بألا يأكلوا من قدس الاقداس
 الى أن يقوم كاهن للنور والحق (١) •

وفي نهاية الاصحاح أن بعض رؤساء الآباء لما وفدوا الى بيت
 الرب تطوعوا ليشيدوه مكانه وأعطوا لخزينة العمل واحدا
 وستين ألف درهم من الذهب وخمسة آلاف منا من الفضة
 ومئة قميص للكهنة وسكن الكهنة واللاويون وبعض من الشعب
 والمغنون والبوابون والنتينيون في مدنها واسرائيل كافة في
 مدنها •

وعبارة الاصحاح تفيد أن كثيرين من المسييين تخلفوا عن
 الصعود ويقوا حيث هم •

(١) في النسخة البروتستانتية بدل كلمتي للنور والحق كلمتا «اللاويين والقميص»
 ويبدو انهما اسماء للطوائف العربية التي اعتنقت اليهودية •

ولما كان الشهر السابع اجتمع الشعب كرجل واحد في
 اورشليم على ما جاء في الاصحاح الثالث وبنى يشوع بن يوصاداق
 الكاهن واخوته وزربابل (١) ابن شالنيل واخوته ، مذبحا للرب
 وأصعدوا عليه المحرقات - الذبائح - وعملوا عيد المغالة *
 وذلك قبل تأسيس هيكل الرب ثم أعطوا المنحائين والنجسارين
 فضة وطعاما وشرابا وزيتا للصيدين والصوريين ليأتوا بخشب
 الارز من لبنان الى بحر يافا وفي السنة الثالثة شرعوا في البناء
 باحتفال ديني عظيم وهتافات متصاعدة الى عنان السماء بتسبيح
 الرب وتسجيده *

وقد جاء في الاصحاح الرابع أن أعداء يهوذا وبنيامين سمعوا
 أن بنى الجلاء - المسيبين العائدين - يبنون بيثا للرب فأقبلوا
 على زربابل ورؤساء الآباء وقالوا لهم نحن بنى معكم لانا نطلب
 - نعبد - الهكم مثلكم ونذبح له من أيام أسر حدون الذي
 صيرنا الى هنا ، حيث يبدو أن هؤلاء هم الجباغات التي أرسلت
 من العراق وأسكنت في مساكن المسيبين من بلاد دولة اسرائيل
 وأنهم تدينوا بالديانة اليهودية بواسطة الكهنة اللاويين الذين
 أرسلهم ملك آشور على ما ذكره الاصحاح السابع عشر من سفر
 الملوك الثاني - الرابع وأوردناه سابقا * غير أن زربابل وسائر

(١) في الاصحاح الثاني من سفر حجى وصف زربابل هذا بأنه حاكم يهوذا
 ويظهر انه كان واليا من قبل الفرس وأنه كان من بنى اسرائيل *

رؤساء آباء اسرائيل رفضوا وقالوا ليس البيت الذى نبنيه
بأمر كورش لكم ولنا وانما نبنيه للرب اله اسرائيل . وهكذا
بلغت الانانية فيهم الى أن لا يرضوا بمشاركة من يدين بدينهم
من غير جنسهم فى بناء معبد للاله المشترك يدعوى أن الرب رب
اسرائيل والمعبد معبدهم الخاص ! وهذه من عقدهم الرئيسية
التي كانت وظلت تعقد حياتهم على ما نبهنا عليه أكثر من مرة .
ونقول استطرادا ان موقف بنى اسرائيل العجيب مسن
هؤلاء الشعوب المتهودة التي عرفت فى التاريخ باسم السامريين ،
أدى الى توطد القطيعة والعداء بينهما على طول الزمن وكثيرا ما
كان يؤدى الى اشتباكات دموية بينهما فى سسياق ما كان يلم
بفلسطين من أحداث سياسية وحرية ذهب فيها أرواح الالوف
المؤلفة منهما . وقد تكونت للسامريين نتيجة لذلك شخصية
دينية موسوية خاصة . فهم لا يعترفون الا بأسفار موسى الخمسة
كتب مقدسة ولا يسيرون وفق التفسيرات التلمودية كما
أنهم متحفظون ازاء ما كان من تطورات دينية عند بنى اسرائيل
ومتزمتون فى المحافظة على التقاليد التوراتية القديمة . وقد
أنشأوا معبدا فى جبل جرزيم وهو جبل نابلس الجنوبى يقيمون
عنده طقوسهم وأعيادهم الكبرى . وما تزال بقية قليلة ضعيفة
منهم الى اليوم فى نابلس يحتفظون بكل هذه المظاهر والتقاليد
والشخصية الموسوية الخاصة .

وهكذا قدر لليهود أن يكونوا منقسمين دينيسا شماليين وجنوبيين في أيام دولتي يهوذا واسرائيل ثم بعد السبي وان اختلفت البواعث • والباعث في الفرقة الاخيرة أنانية بنى اسرائيل وفكرتهم الاختصاصية بأن الاله الههم وحدهم واليهودية دينهم وحدهم والمعبد معبدهم وحدهم • والباعث على الفرقة الاولى سياسية شخصية وبالتالي أنانية كذلك حيث اجتهد يربعام وخلفاؤه ملوك دولة اسرائيل بأن الوحدة الدينية والطقسية قد تقضى على دولتهم وتؤدي الى وحدة اليهود تحت حكم ملوك يهوذا الذين كان الهيكل في عاصمتهم وقد تابعهم الاسباط العشرة في اجتهادهم •

ونعود الى السياق فنقول ان عودة بنى اسرائيل ونشاطهم في سبيل استئناف حياتهم واقامة هيكلهم في اورشليم جعلت شعوب البلاد القدماء يتحركون ويتألبون ويبدلون جهودهم في احباط حركتهم وازعاج بنى اسرائيل على ما جاء في الاصحاح الرابع ، مما فيه تكرار لشعور التوجس الذي ساور أهل البلاد حينما جاء بنو اسرائيل اليها من مصر وجعلهم يثقون منهم موقف التجهم والعداء والمناوأة ، مع فارق واحد ، وهو أن الشعور الاول كان حسا قبل الوقوع أو مستندا الى السماع عما انطوت عليه روح بنى اسرائيل من بغى وعدوان وشره الى ما في يد الغير وقصد الى قلع جذور أهل البلاد والحلول محلهم في حين أن الشعور

الجديد كان منبعثا عن تجربة واقعية وذكريات مريرة لكل هذه الصفات وقد استأجروا مشيرين ضدهم وظلوا يرفعون شكواهم وتحذيراتهم جميع أيام كورش واستطاعوا أن يمنعوه من البناء وأن يوقفوا نشاطهم ثم تابعوا مساعيهم في أيام الملك أرتخشستا وكانت الشكوى الى هذا جماعية باسم واشتراك رحوم صاحب القضاء وشمشاي الكاتب وسائر صحابتهما الدينيين والافرستيكيين والطرفليين والافرسيين والاركويين والبابليين والشوشنكيين والدهاويين والعيلاميين وسائر الامم الذين جلاهم ملك آشور وجعلهم في مدن السامرة وبقية الذين في عبر النهر وقالوا فيها ان اليهود الذين وفدوا من عندكم الى اورشليم المدينة المتمردة الشقية يبنون ويرممون أسوارا وقد رمموا أساسها وانهم اذا بنوا هذه المدينة وتمت أسوارها سوف لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الضريبة المعتادة .

فيتضرر الملك ، وعليه أن يبحث في سفر آثار آبائه حيث يعرف ان هذه المدينة مدينة متمردة مسيئة الى الملوك والاقاليم وان اليهود قد أثاروا فيها شغبا في قديم الدهر ولذلك خربت فاذا بنيت وتمت أسوارها لا يكون للملك نصيب في عبر النهر هذا ، حيث يفيد هذا أن سكان شرق الاردن وغربه الاصليين أظهروا لبنى اسرائيل العائدين العداء وتحالفوا على ازعاجهم

والحد من نشاطهم مما مرده على ما هو المتبادر ، ما توارثه الأبناء
من الآباء من ذكريات سوء سيرة بنى اسرائيل .

وقد أرسل الملك اليهم جوابا قال فيه انه أمر بالبحث فوجد
أن هذه المدينة قامت على الملوك وكان فيها تسرد وفتنة وانه كان
عليها ملوك تسلطوا على جميع عبر النهر — غرب الاردن —
ورفع اليهم الخراج والجزية والضريبة وانه يجب اعلان أمره
بالكف عن البناء وبالتحذير من التهاون في هذا الصدد لتسار
يتفاد الفساد .

ولما وصل الجواب بادر رحوم وششاي وصحابتهما السن
الذهاب الى اورشليم ومنعوا اليهود بالذراع والقوة عن البناء
وظل العمل منقطعا الى السنة الثانية من ملك داروس . وفي هذه
السنة عادوا فشرعوا بالبناء بتحريض أنبيائهم حجاي وزكريا
وباشراف زربابل بن شالنيل ويشوع بن يوصاداق على ما ذكره
الأصحاح الخامس فجاءهم الوالى تثناي وزعيم آخر اسمه
شتربرزناي وأصحابهما يسألونها عن سماع لهم بالبناء ثم
اتفقوا على الكتابة الى داريوس وكانت الرسالة من الوالى
والزعيم وأصحابهما . وقد قال فيها ان اليهود يبنون بيتا لله
بحجارة ضخمة وانهم يرممون أسوار اورشليم بسرعة وقسوة
استنادا الى أمر كووش الذى سمح لهم بالعودة والبناء وطلبوا

منه الامر بما يلزم . وحينئذ أمر بالبحث في بيت الاسفار حيث كانت الخزائن موضوعة في بابل فوجد درج كتب فيه أن الملك كورش أبرز أمرا في السنة الاولى من ملكه ببناء بيت الله في اورشليم في مكانه القديم يكون سمك أسسه ستين ذراعا وعرضها ستين ذراعا بثلاثة صفوف من الحجارة العظيمة وصف من خشب جديد وتكون النفقة على بيت الملك ، ويرد آنية بيت الله الذهب والفضة التي أخرجها نبوخذنصر من الهيكل الى اورشليم لتوضع في بيت الله ، وحينئذ أصدر أمرا الى الوالى وأصحابه بالكف عن المعارضة حتى يبنى اليهود بيت الله في مكانه وباعطائهم نفقة البناء وما يحتاج اليه القائسون عليه من عجول وكباش وحمالان وحنطة وملح وخمر من خراج عبر النهر يوما فيوما حتى لا يفتروا عن تقريب ذبائح رضى لاله السسوات ويصلوا لاجل حياة الملك وبنيه ، وبقلع الخشب من بيت كل من يخالف الامر وتعليقه مصلوبا .

فنفذ الوالى الامر وأطلق يد اليهود حتى أكملوا البناء ودشنوه في السنة السادسة من ملك داريوس باحتفال عظيم على ما جاء في الاصحاح السادس .

ولا يذكر الاصحاح صفة داريوس هذا مع انه تولى العرش في زمن خضوع بلاد الشام ومن جملتها فلسطين للحكم الفارسي

ثلاثة بهذا الاسم . ولما كان أرتحشتا الاول وأحشوبريش الاول قد ملكا بعد داريوس الاول واحشو بريش هو الذى أمر بمنع اليهود من البناء فىكون الذى سمح لهم به هو داريوس الثانى .

ومما جاء فى الاصحاح السابع من السفر أن عزرا الذى يتصل نسبه بهرون والذى نشأ فى المنفى وكان كاتباً ماهراً فى توراة موسى صعد من بابل الى أورشليم باذن الملك ارتحشتا ورضاه ومعه قوم من بنى اسرائيل من الكهنة واللاويين والمغنين والبوايين والنتيين ، وكان يحمل معه رسالة من الملك موجهة اليه يقول فيها ان لكل من شاء من شعب اسرائيل وكهنته فى مملكته الرجوع الى أورشليم معه الاذن بذلك . وانه قد أرسله مع مشيريه الى أورشليم ليرشد يهودا أورشليم حسب شريعة الهه التى بيده ، ويأخذ معه الفضة والذهب الذين تطوع بهسا لمسكنه فى أورشليم ويأخذ كل ما يتطوع به الشعب فى بلاد بابل أيضا من ذهب وفضة ليشتري بذلك ثيرانا وكباشا وحملانا مع تقادما وسكبا ويقربها على مذبح بيت الهه . وانه يسمح له بعمل كل ما يحسن عنده وعند اخواته أن يعملوه بسا يفضل من الفضة والذهب معه لأجل الههم ، وله أن ينفق كل ما يحتاج اليه من بيت خزائن الملك ، وانه يأمر جميع الخزان الذين فى عبر النهر باعطائه كل ما يطلبه منهم عاجلا الى مائة قنطار فضة ومائة

كر قمح ومائة بث خمر ومائة بث زيت • وانه يأمر بعدم ضرب خراج ولا جزية ولا ضريبة على أى واحد من الكهنة واللاويين والمغنين والبوايين والنتيين وخدام بيت الله ، وانه يأذن له أن يقيم قضاة وحكاما يقضون بين جميع الشعب الذين فى عبر النهر من العالمين بشريعة الهه ، وان كل من لا يعمل بهذه الشريعة يقضى عليه عاجلا اما بالموت أو النفى أو غرامة مال أو حبس •

والمبتادر أن ارتحشستا هذا هو الثانى أو الثالث ، والثانى .
ولى بعد داريوس الثانى والثالث ولى بعد ارتحشستا الثانى •

وفى الاصحاح الثامن احصاء للذين صعدوا مع عزرا الى اورشليم وأسماء رؤسائهم وعشائهم وقد بلغ مجموع ذكورهم الفا وثمانمائة • وعبرة الاصحاح تفيد أنه ظل كثير من سبى اسرائيل ويهوذا حيث هم فى المنفى ولم يعودوا الى اورشليم مع العائدين ، والغالب انهم اندمجوا فى حياة العراق الدينية والاقتصادية والاجتماعية •

ثم يقص الاصحاح ما فعله عزرا فحكى عنه أنه استحيى أن يطلب من الملك جيشا وفرسانا لخفر الصاعدين فى الطريق لانه قال له ان يد الهه على جميع طالبيه للخير وبأسه وسخطه على جميع تاركيه ، وانه نادى بصوم عند نهر أهوى وتذللوا أمام الله ليجعل الطريق مستقيما لهم ولصغارهم وأموالهم ، ثم فرز اثنى عشر

كاهنا من رؤساء الكهنة وسلمهم ما تجمع معه من الملك ومشيريه
والمتطوعين من بنى اسرائيل من فضة وذهب وآنية مما بلغ وزنه
٦٥٠ قنطارا فضة ومائة قنطار من أواني الفضة ومائة قنطار من
الذهب وعشرين جاما من الذهب وزنها ألف درهم واثناين مسن
نحاس أصفر ثمين كالذهب وطلب منهم السهر عليها وحفظها الى
أن يصلوا اورشليم ويضعوها في مخادع بيت الرب على مرأى من
رؤساء الكهنة واللاويين ورؤساء آباء اسرائيل . وإن يد الههم
كانت عليهم فألقدهم من يد العدو الكامن في طريقهم حتى وصلوا
الى اورشليم .

ثم ذكر الاصحاح التاسع أن رؤساء اليهود تقدموا الى عزرا
قائلين ان شعب اسرائيل والكهنة اللاويين لم ينفصلوا عن شعوب
الارض من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليوسيين والعمونيين
والمؤابيين والمصريين والآموريين وانهم اتخذوا من بناتهم لانفسهم
ولبنيتهم زوجات واختلط النسل الطاهر بأمم الارض بل وكانت
يد الرؤساء والعظماء في ذلك الاولى ، مما ينطوى فيه دلالة
على استمرار فكرة التعالي والاختصاص في بنى اسرائيل ضد
الشعوب الاخرى مهما كانت حالتهم من الضعف والهوان ورغبتهم
عن التعامل والتمازج معهم ومما كان وظل يثير عليهم ثائرة هذه
الشعوب ويدفعهم الى الوقوف منهم موقف العداء والحقد ؛

ويدل في الوقت ذاته على أن سكان فلسطين الأصليين ظلوا يحتفظون بكيفياتهم في أثناء السبي وبعده كما كانوا قبله أيضا كأصحاب البلاد وسكانها . ثم على أن بنى إسرائيل العائدين رغم ذلك لم يلبثوا أن وقعوا تحت تأثيرهم ثانية كما كان شأن آبائهم من قبل .

والراجح أن هذا كان شأن البقية الضعيفة التي لم يشملها السبي . وإذا كان الفلسطينيون لم يذكروا في السلسلة هنا فقد ذكروا في سفر زكريا بأسلوب يدل على أنهم كانوا ذوي قوة وكبرياء في زمنه أي في عهد دارا كما ذكروا في سفر نحميا باسم الأشدوديين على ما سوف نوردّه بعد .

وفي الأصحاح التاسع الذي يذكر هذا حكاية عن عزرا جاء فيها أني حينما سمعت هذا الكلام مزقت ثوبي وردائي وتفتت شعر رأسي ولحيتي ولبثت متحيرا فاجتمع الى كل من جزع من اله اسرائيل من أجل تعدى أهل الجلاء وفي المساء جثوت على ركبتى بعد التقديمة وبسّطت يدي الى الله قائلا اني لمستح خجلا أن أرفع اليك وجهي لان ذنوبنا تكاثرت وتفاقم اثمنا . انا من أيام آبائنا نحن في اثم عظيم الى هذا اليوم ولاجل ذلك أسلمنا نحن وملوكنا وكهنتنا الى أيدي ملوك الارض للسيف والجلاء والنهب والغزى . فماذا نقول يا الهنا الآن بعد اذ أهملنا وصاياك التي أمرت بها على السنة عيدك الانبياء

بأن لا تعطوا بناتكم لابناء شعوب الارض ولا تأخذوا بناتهم لبنيتكم
ولا تطلبوا سلمهم ولا خيرهم الى الابد لكي تسكنوا وتأكلوا خبز
الارض وتورثوا أعقابكم مدى الدهر . وقد عاقبتنا بعد كل اثمنا
العظيم بأقل من ذنوبنا وآتيتنا نجاة فكيف نعود وتنقص وصاياك
ونصاهر أمم هذه الرجاسات ولا تغضب علينا ولا تكون بقية ولا
نجاة ؟ وكان عزرا يدعو ، وجمع كثير جدا من الرجال والنساء
والاولاد يستمعون ، فبكوا بكاء شديدا واعترفوا بذنوبهم ثم عاهد
الرؤساء والكهنة عزرا على العمل حسب الشريعة فأطلقوا لداء في
يهوذا وأورشليم الى جميع بنى الجلاء ليجتمعوا في أورشليم وان كل
من يتخلف تبسل أمواله ويفرز عن أهل الجلاء فجاءوا مسرعين
مرتعدين على ما حكاها الاصحاح العاشر واحتشدوا في ساحة المعبد
فندد بهم عزرا وطلب منهم التوبة واعتزال أمم الارض والنساء
الغريبات لنيل مرضاة الرب اله آبائهم فقالوا له بصوت واحد نفعل
كما قلت وطلبوا منه المهلة وتوكيل الرؤساء والقضاة في كل مدينة
لتنفذ ذلك وقد تفذوه فعلا وظهر أن كثيرا من العائدين وفي جملتهم
بنو الكهنة وقد اتخذوا نساء غريبات ومنهن من أنجبن اولادا .

- ٧ -

ومن أسفار حقبة السبي وبعدها سفر نحميا ، وصاحبه من الذين تخلفوا عن العودة وكان ساقيا للملك أرتحشستا الذي نرجح أنه الثاني أو الثالث . والسفر ثلاثة عشر اصحاحا في خمس وعشرين صفحة .

وقد جاء في اصحاحه الاول أن أحد اخوته قدم هو ورجال من يهوذا فاستخبرهم عن اليهود الذين نجوا ومن بقى بعد الجلاء عن اورشليم فقالوا لى أن البقية التى بقيت هناك فى ضنك شديد وأن سور اورشليم مهدوم وأبوابها أحرقت بالنار فحزن وتاجى ربه واعترف بما كان من قومه من مخالفات لوصاياه وطلب الصلح عنهم والهام الملك خيرا بحقهم . وجاء فى اصحاحه الثانى أنه لما وقف أمام الملك كئيبا وهو فى خدمته سأله عن كتابته فحكى له حالة اورشليم ويهودها وطلب منه السماح بالسفر لترميمها واعطاه رسائل للولادة لمساعدته على ذلك فأجابه الى ما طلب وأرسل معه قوادا وفرسانا . ولما جاء الى فلسطين وأخذ يسعى فى انجاز المهمة وقد التف حوله الكهنة والاشراف . وسمع بذلك سنبط الحورونى وطويا العبد العمونى وجاشم العربى فاستاءوا مساءة عظيمة وجاءوا اليه يسخرون منه ويسألونه عماذا وعما اذا كانوا يريدون

التسرد على الملك فأجابهم نحن عبيد اله السموات نقوم ونبتى
وليس لهم من حظ ولا ذكر فى اورشليم .

وقد ذكر الاصحاح الثالث والاصحاح الرابع أن اليهود توزعوا
العمل فيما بينهم فى ترميم أسوار المدينة وساروا فيه بهمة ونشاط ،
حتى أنجزوا نصف السور . وسمع سنبلط وطوبيا والعسرب
والعمونيون والاشدوديون - والاخيرون من الفلسطينيين - بذلك
وحنقوا حنقا شديدا وتحالفوا بدا واحدة على الاتيان الى اورشليم
ومحاربتها وانزال الشر فيها ، وجاء الخبر الى نحميا فأخذ يث
الشجاعة والقوة فى النفوس . وقسم الرجال قسمين قسما مسلحهم
بالرماح والتروس والقسي والزرود وقسما جعلهم يستمرون على
البناء والعمل وظلوا يواصلون ليهم بنهارهم حتى لم يكن يجد
هو واخوته وغلمانه ورجال الحرس الذين وراءه وقتا لنزع الثياب
أو الاغتسال .

ومع ذلك فقد ذكر الاصحاح الخامس أنه ثارت ضجة عظيمة من
الشعب ونسائهم فمن داع الى امتياز الحنطة وقائل انا رهنا حقولنا
وكرومنا وبيوتنا لنمتار حنطة من الجوع ومن قائل انا اقترضنا فضة
لخراج الملك على حقولنا وكرومنا ونحن نبذل بنينا وبناتنا للعسودية
ولاسعة فى أيدينا ، وحقولنا وكرومنا أصبحت لغيرنا ، وأن نحميا
لما سمع صراخهم شق عليه الامر وأخذ يعنف العظماء والولاة لانهم

يأخذون الربا وقال لهم اننا اقتدبنا اخواتنا اليهود الذين بيعوا للامم
وانتم تبيعون اخوانكم وطلب منهم رد الحقول والكروم والزيتون
والبيوت الى اصحابها والتنازل عن الواحد من المائة الذي يطلبونه
منهم من الفضة والحنطة والخمر والزيت التي معهم فوعدوا بذلك،
فدعا الكهنة وحلفهم على أن يفعلوا بمقتضى هذا الكلام ثم نقض
حجره قال هكذا ينقض الله كل انسان لا يقوم بهذا الكلام فأمنت
الجماعة على قوله *

ويستفاد من عبارة جاءت في هذا الاصحاح أن نحميا كان يعتبر
نفسه قائدا في أرض يهوذا حيث جاء فيه أنى منذ يوم أمرت أن أكون
قائدا في أرض يهوذا من السنة العشرين الى السنة الثانية والثلاثين
لا ارتخشستنا لم أكل أنا ولا اخوتي خبز القائد - أى مخصصاته - وأما
القواد الاولون الذين كانوا قبلى فثقلوا على الشعب وكانوا يأخذون
منهم من الخبز والخمر والفضة ما يزيد على اربعين مثقالا من القضة
بل كان غلمانهم أيضا يظلمون الشعب * ولم أفعل مثل ذلك خشية
لله ولم أشتري حقلا وانما تعلقت على عمل السور وكان على مائدتي من
اليهود والولاة مائة وخمسون رجلا فضلا عن قدم اليثا من
الامم من حولنا وكان يهيا لى كل يوم ثور وستة من خيار الغنم ما
نحلا الطير ، وشيء كثير من جميع انواع الخمر فى كل عشرة أيام
ومع هذا لم أطلب خبز القائد لان العبودية قد ثقلت على الشعب

وطلب نحميا من الله في نهاية الاصحاح أن يذكره بالخير على
جميع ما صنعه الى الشعب •

وجاء في الاصحاح السادس أن سنبلط وطوبيا وجاشم العربي
وسائر الاعداء لما سمعوا أن نحميا بنى السور ولم يبق فيه ثلثة ولم
يكن بعد قد أقام المصاريع في الابواب بعث سنبلط وجاشم اليه يطلبان
اللقاء في قرى سهل أونو وقد أضمرآ له سوءا فلم يستجب اليهما
وأرسل فأخبرهما أنه مشغول ويخشى تعطل العمل، فعاودوا الطلب
أربع مرات وكان يرد بمثل جوابه • وحينئذ بعث سنبلط مع غلامه
رسالة مفتوحة مكتوبا فيها أنه قد سمع في الامم أنك - الخطاب
لنحميا - أنت واليهود مضمرون التمرد وأنت تبنى السور لتكون
ملكا عليهم وهذا الخبر سوف يسمع عند الملك فهم لنا تمر معاء فرد
نحميا عليه أنه يخلق هذا اختلافاً وبدأ الناس يخوفون نحميا من
العاقبة ويقولون ان أيديهم قد ضعفت عن العمل وقال له زعيم اسمه
شمصيا تعال لنجتمع في دار الهيكل ونغلق الابواب علينا لانهم
آتون ليقتلوك في الليل فرفض وقد ظهر له أن طوبيا وسنبلط قد
استأجرا هذا الزعيم لتخويف نحميا ولاسائة سمعته • وظل مشابرا
الى أن تم السور في اثنين وخمسين يوما وسمع جميع الاعداء ورأى
جميع الامم الذين حولهم ذلك ، فسقطوا في أعين أنفسهم • ومما
جاء في الاصحاح أن طوبيا كان يتبادل الرسائل مع عظماء يهوذا وكان
له فيهم خلفاء كثيرون لانه كان صهر شكيتا بن أرح ومتزوجا بابنته •

وكان حلفاؤه هؤلاء يشنون على حسناته أمام نحميا وينقلون كلامه اليه وكان يرسل رسائل لتخويله .

ومما جاء في الاصحاح السابع أن نحميا بعد أن بنى السور وأقام المصاريع ورتب البوابين عين أخاه حناني على أورشليم وجعل صفيا رئيس القصر مساعدا له . وأوصاهم بعدم فتح الابواب الا بعد أن تحمي الشمس وجعل حراسا من سكان أورشليم كل واحد في محرسه وكل واحد قبالة بيته . وكانت المدينة واسعة وعظيمة والشعب قليلا في وسطها ولم تكن البيوت قد بنيت ، وأنه جمع العظماء والولاة والشعب للالتساب بالهام الله ووجد سفر نسب الذين صعدوا أولا - من المنفى - ثم يأخذ الاصحاح بذكر أسماء وعشائر وأنساب واعداد الصاعدين لأول مرة حسب ما ذكر في سفر عزرا وأوردنا خلاصته قبل .

ومما جاء في الاصحاح الثامن أن الشعب كله اجتمع في ساحة المعبد وتكلموا مع عزرا الكاتب - وهذا يدل على أن مجيء نحميا كان بعد مجيء القافلة الثانية مع عزرا وفي حياة عزرا - باحضار سفر توراة موسى فأحضرها وأخذ يتلوها أمام الجماعة بعد أن سبح عزرا الرب ومجده وخر الشعب للرب بوجوههم خشوعا لسفر التوراة التي أمر بها الرب اسرائيل .

وكان نحميا وعزرا الكاهن الكاتب واللاويون يفهمون الشعب

معاني التوراة • ثم أقاموا عيد المظال حسب ما جاء في السفر وكان فرح عظيم واستمرت التلاوة والاحتفالات سبعة أيام •

ومما جاء في الاصحاح التاسع أن بنى اسرائيل بعد ذلك اجتمعوا ونادوا بصوم عام ولبسوا المسوح وانفرد نسلهم عن جميع بنى الغرباء ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وآثام آياتهم وأخذوا يسبحون الرب ويمجدونه ويذكرون ما كان من آياته لهم ونعمته عليهم وسعة صدره وعدم افتائه لهم لانه حنان رحيم ثم كتبوا ميثاقا على أنفسهم بالسير وفق شريعة الرب وحفظ جميع وصاياه وأحكامه •

وقد ذكر الاصحاح العاشر أسماء الزعماء والآباء الذين ختموا الميثاق وفي مقدمتهم نحميا الذي وصف بوصف الترثات وعزرا ودخل الشعب في العهد والميثاق •

ومما جاء في الاصحاح الحادى عشر أن رؤساء الشعب سكنوا فى اورشليم واتفقوا على أن يسكن عشر الشعب فيها كذلك ويسكن الاغشار التسعة الباقية فى المدن ، ثم ذكر الاصحاح أسماء وأنساب وأعداد الجماعات الذين سكنوا فى اورشليم والذين سكنوا المدن الاخرى وقراها •

ومما جاء فى الاصحاح الثالث عشر أنه حينما قرىء فى سفر موسى وجد فيه أن لا يدخل العمونيون ولا المؤابيون فى جماعة الله الى الابد لانهم لم يلقوا بنى اسرائيل بالخير والماء بل استأجروا

عليهم بلعام ليلعنهم . فلما سمع الشعب ذلك فرزوا كل دخيل من اسرائيل حيث يدل هذا على أنه كان قد اندمج في اليهودية طوائف من العمونيين والمؤابيين في حقة السبي وفي الجماعة الذين بقوا في الارض أو الذين عادوا من السبي .

وفي هذا الاصحاح ما يدل على أن نحميا عاد الى العراق بعد بناء السور ثم عاد ثانية الى اورشليم باذن الملك أرتخشستا حيث جاء فيه أنه وجد حين عودته الكاهن الياشيب قد هيا لنفسه مخدعا في مكان يوضع فيه التقدام واللبان والآنية وعشور الحنطة والخمر والزيت ، وكان هذا الكاهن ذا قرابة لطوبيا - العموني على الأرجح - فسأه ذلك نحميا وأمر بطرح آنية بيت طوبيا من المخدع وتطهير المخدع وإعادة ما كان فيها اليها ، وأنه وجد قوما في يهوذا يدوسون في المعاصر في السبت ويأتون بأكداس من العنب والتين والخمر فيبيعونها في السبت كما وجد الصوريين المقيمين في اورشليم يأتون بالسبت فيبيعونه لبنى يهوذا في السبت أيضا كما وجد يهوذا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات ومؤابيات حتى لقد كان أولادهن لا يحسنون التكلم باليهودية ، وقد حكى الاصحاح ما كان من حلق نحميا وغضبه على ذلك وتديده بالمخلين بالسبت وتذكره بما كان من غضب الرب على آبائهم لتدريسهم السبت ، وأمره بفتح أبواب اورشليم مساء الجمعة وعدم فتحها الا صباح الاحد وتهديده للذين يأتون لبيع السلع

يوم السبت بالحبس ولعنته الذين تزوجوا من النساء الغريبات وضربة
بعضهم وتنفه شعرهم واستخلافه الناس بأن لا يعطوا بناتهم لبنهم ،
ولا يأخذوا بناتهم لهم أو لبنهم وذكره بما كان من آثام آبائهم
وسليمان الملك في الجملة في هذا الباب وما سوف يجلبونه على
أنفسهم من شربه ، وطرده أحد بني يوياداع بن الياشيب الكاهن
العظيم لانه كان مصاهرا لسباط الحورونى ، حيث يدل هذا على
صرعة انحراف بني اسرائيل عن وصايا شريعتهم بعد تلك النسوبة
الطنانة والمواثيق والايمان المغلظة كما كان شأنهم في معظم حقب
تاريخهم •



ومن أسفار حقة السبى سفر أستير نسبة الى امرأة يهودية بهذا
الاسم وهو ستة عشر اصحاحا في ثلاث وعشرين صفحة في النسخة
الكاثوليكية وعشرة اصحاحات في تسع صفحات في النسخة
البروتستانتية • وقد ذكرت النسخة الكاثوليكية أن الزيادات التي
فيها هي في النسخة العامة وغير موجودة في النسخة العبرانية •
والسفر يقص قصة لاستير كان فيها نجاة اليهود وفوزهم أثناء السبى
بعد أن أحرق بهم خطر شديد •

ومما جاء في السفر الاول أن الملك أحشوبريش غضب على زوجته لرفضها تنفيذ أمره بالظهور أمام مجلس شرابه بزيتها وأخذ يبحث عن بديلة لها فسميت له فتاة من اليهود الذين تخلفوا عن العودة الى اورشليم وكانت في حضانة ابن عم لها اسمه مردخاي ولما رآها نالت حظوة لديه وغدت زوجة له وملكة . وقد كنت بجنسيتها عنه حسب توصية مردخاي . أخذ هذا يراقبها ويهتم لامرها ويلازم باب الملك بسبيل ذلك .

وقد وقف على مؤامرة لاغتيال الملك فأخبر بذلك أستير . أخبرت بدورها الملك وبحث هذا الامر فظهر صدق الخبر فأمر الملك بتسجيل اسم مردخاي في سجل الملك وعظم شأنه وشأن أستير في عينيه .

وفي هذه الاثناء برز هامان أحد رجال أحشوبريش على أقرانه بدهائه فنال حظوة الملك حتى وصى بأن يكون كرسيه فوق سائر الرؤساء وأن يسجد له الناس في خروجه ودخوله . غير أن مردخاي تمرد على هذا الامر فأثار غضب هامان وعزم على الانتقام منه ومن قومه الذين عرف حقيقتهم ، ثم استسبح مناسبة فقال للملك انه يوجد شعب مشتت في جميع بلاد مملكته ومنته مغايرة لجميع الشعوب ولا يعمل بوصاياه ، وطلب أن يكتب الى جميع الولاة بمطاردته وايداعه وتعهد له بتوريد عشرة آلاف وزنة من الفضة الى خزائنه من

هذه العملية فأجابته الملك وان الفضة والشعب لك فافعل فيهما ما يحسن
 بعينيك وحينئذ كتبت أوامر باسم الملك وأرسلت مع سعاة باهلا لك
 جميع اليهود في كل بلد من بلاد المملكة من الغلام الى الشيخ مسج
 الاطفال والنساء في يوم معين - وهو الثالث عشر من آذار -
 وبمصادرة أموالهم . وعلم مردخاي واليهود بالامر فعظم همهم
 وأخذوا يقيمون المناجات العظمى ويلبسون المسوح ويذرون عسل
 أنفسهم الرماد ويصومون ويبتهلون الى الله . وقد اهتم هامان بنوع
 خاص الامر فكالمردخاي الذي تكبر عليه فأمر بنصب مشنقة ارتفاعها
 خمسون ذراعا ليشنق عليها في اليوم المعين .

ووصل الخبر الى أستير فعظم همها كذلك واستشارت مردخاي
 فأشار عليها بالتكلم مع الملك وألح عليها بذلك ولو تعرضت لغضبه
 لانه لا يجوز لها أن تفكر بنفسها بينما يهلك جميع شعبها . فأطاعته
 وتعرضت للملك فحسنت في عينيه وطلب منها أن تسأله أي حاجة
 فتقضى ولو كانت نصف ملكه فكانت حاجتها أن يحضر وليمة أعدتها
 له ولهامان ، وأقيمت الوليمة . وقلق الملك في الليل فأمر باحضار
 سجل الاخبار وقراءته عليه فكان مما قرأ خبر مؤامرة اغتياله
 وكشفها من قبل مردخاي . وسأل عما فعل له فأجيب بأنه لم يفعل له
 شيء . ودخل هامان على الملك في هذه الاثناء فسأله الملك عما يجب
 عمله لرجل كان مسيا لحياة الملك فأشار بالباسه لباسا سلطانيا ووضع

تاج سلطاني على رأسه واشهار اسمه لتكريمه من قبل جميع الشعب
فأمره أن ينفذ ذلك لمردخاي

ودعت أستير الملك وهامان لوليمة أخرى فطلب الملك منها أن
تسأله أي حاجة ولو كانت نصف ملكه فطلبت منه الحياة لنفسها
ولشعبها وقالت له أنه قد تقرر قتله وإيادته فسألها عن فعل ذلك
فقالت له : انه هامان . فثارت ثائرة الملك فقال الى سرير الملكة
وظن الملك أن هامان يريد خيائته في زوجته فاشتد هياجه وقال له
وتريد أيضا أن تكبس الملكة معي في البيت؟ وأمر خصيانه فأخذوه
وصلبوه على المشنقة التي هياها لمردخاي ووهبت بيت هامان لاستيره .
وأخبرت أستير الملك بصلتها بمردخاي فأحضره وسلمه خاتمه الذي
أخذه من هامان . وطلب أستير ارسال أوامر مضادة للأوامر السابقة
في حق شعبها فأمر بذلك وأرسلت الرسائل الى جميع الاقطار والامصار
بالكف عن اليهود وبخويلهم قتل واهلاك كل شعب وكورة تضادهم
حتى الاطفال والنساء ومصادرة أموالهم . وخرج مردخاي من حضرة
الملك بلباس ملكي وتاج ذهبي . وكان لليهود نور وفرح وبهجة
وكرامة في شوشن العاصمة وفي كل بلد . وتهود كثير من شعوب
الارض لان رعب اليهود وقع عليهم . وأخذ اليهود يسلطون على
مبغضيههم ورؤساء البلاد والمرازمة والولاة الذين ساعدوهم عليهم
وضربوا جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وعمالوا بمبغضيهم ما أرادوا
وشنقوا أولاد وأقارب هامان .

وبلغ عدد من قتلهم اليهود من الاعداء في المملكة خمسة وسبعين ألفا وكان ذلك في نفس اليوم الذي عينه هامان لآبادة اليهود وصار اليوم التالي أى ١٤ آذار عيداً من أعياد اليهود الى اليوم .

وما أوردناه هو تلخيص للأسفار العشرة الاولى من سفر أستير التى تتفق فيها النسختان الكاثوليكية والبروتستانتية . وفي الزوائد على قصته وقصة أستير وهامان ، ثم نسخة من الامر العام الذى أرسل باسم الملك الى جميع أنحاء المملكة بشأن الشعب المشتت الذى يحتقر أوامر الملك ويفسد نظام الامم ويتشبت بشرائع خاصة مخالفة لعادات جميع الامم وأمره بإبادته بدون رحمة في الرابع عشر من الشهر الثانى عشر الذى هو آذار حتى يذهب هؤلاء الخبثاء الى الجحيم ويستقر السلام في المملكة ، ونسخة من أمر الملك الثانى المضاد للامر الاول الذى كتب بخداع ودسيسة وشنق الخادع الدساس وتمكين اليهود من قتل مضطهديهم في نفس اليوم المعين واعتبار هذا اليوم عيداً ، وتكرار بصيغة أخرى لما كان من ابتهالات مردخاى وأستير واليهود الى الرب وما كان من حزن أستير وتذليلها عبداً ومخاطبتها للملك النخ . .

ولا تخلو القصة التى احتواها السفر من صنعة وخيال ولكنها لا تخلو من حقيقة أيضاً فيما نرجح . وفي سلسلة ملوك الماديين الفرس اثنان يحملان اسم أحشوبريش . ولما كان الاول هو الذى منع

اليهود من انشاء الهيكل وأورشليم فالمرجح أنه الثانى • وليس من المستبعد أن أستير قد أنجبت أولادا وان لم يرد اشارة ما الى ذلك • ودارياش الثانى الذى أذن لليهود بانشاء الهيكل ، وأرتحشتا الثانى الذى ساعد نحميا على ما مر بيانه ، قد توليا بعد أحشو بريش الثانى • ومما يتبادر الى الذهن أن تكون أستير أما أو جدة لهما فجنحسا الى مساعدة اليهود وأبطلا أوامر الملوك السابقين •

ومما قد تفيد به القصة أن اليهود الذين تخلفوا عن العودة الى أورشليم كثيرون جدا وأنهم كانوا منتشرين فى أنحاء المملكة الواسعة التى كانت تضم مائة وسبعة وعشرين اقليما وتمتد من الهند الى الحبشة على ما ذكره الاصحاح السادس عشر من زوائد النسخة الكاثوليكية ، وأنه كان لهم أعداء ومبغضون كثيرون أينما وجدوا فكانوا يتحينون كل فرصة للإيقاع بهم واضطهادهم مما مرده روح الاثرة والشر والتعصب التى كانت مهيمنة عليهم ضد الغير على ما نبهنا عليه فى مناسبات سابقة • وتفيد كذلك أن كثيراً من شعوب المملكة تهود فى ظرف اقبال سسنيح لليهود ولم تبق اليهودية اسرائيلية الجنس والدم •

— ٩ —

ومن أسفار حقبة السبى وبعده سفر حجى أو حجاي وهو

اصحاحان في ثلاث صفحات • ويستفاد منه أنه من أنبياء بني اسرائيل
وأنه ظهر بعد مدة ما من عودة من عاد من السبي •

وقد جاء فيه أن الرب أمر حجابي ليكم زربابل بن شلتانيل حاكم
يهودا ويشوع بن يو صادق الكاهن الأكبر منددا ببقاء بيته خرابا
وبقولهم انه لم يحن وقت بنائه بينما هم صاروا يسكنون في بيوت
مسقفة ، وداعيا اياهم الى جعل قلوبهم مع الرب وقائلا لهم على سبيل
النبيكيت انهم زرعوا كثيرا وجنوا قليلا وأكلوا ولم يشبعوا وشربوا
ولم يروثوا واكنسوا ولم يدفأوا ، ومن أخذ منهم أجرا ألقاه في كيس
مثقوب ، وإن السماء قد امتنعت عن الندى والارض منعت خيراتها
بسبب حيدانهم عن طريق الرب ، وطالبا جعل قلوبهم معه وتهبته ما
يلزم من الخشب وبناء بيته حتى يرضى عنهم ، وقد نبه روح الرب
زربابل ويشوع وأرواح بقية الشعب فأخذوا يباشرون العمل لبناء
بيت الرب ، على ما جاء في اصحاح السفر الاول • أما في اصحاحه
الثاني فقد تكررت حكاية وحى الله لحجابي بتوجيه الخطاب الى
زربابل ويشوع وبقية الشعب بالاهتمام بالعمل ووعدهم بالتأييد
كما أيدهم منذ خروجهم من مصر وزلزلة جميع الأمم وملء البيت
بمجده اذا هم ساروا حسب وصاياهم وجعلوا قلوبهم معه ، وذكرهم
بما كان من ضرباته لهم بسبب انحرافاتهم وعدم توبتهم •

ومن هذه الاسفار سفر زكريا وهو أربعة عشر فصلا في خمس

عشرة صفحة • وصاحبه من أنبياء بنى اسرائيل وقد ظهر فى زمن ملك دارا الاول الذى سمح ببناء المعبد على ما شرحناه قبل على ما تفيد نصوص سفره •

وقد جاء فى اصحاحه الاول أنه فى الشهر الثامن من السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب الى زكريا قائلا : ان الرب غضب على آبائكم وقد ناداهم الانبياء فلم يسمعوا ولم يرتدعوا عن طرقهم وأعمالهم الشريرة فارجعوا الى ولا تكونوا مثلهم •

وفى الاصحاح الاول قصة رؤيا رآها زكريا سمع فيها حوارا بين الله وأحد ملائكته الذى سأل : الى متى يا رب لا ترحم اورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السنين السبعين (١) ؟ فأجابه بكلام خير وتعزية وقال الملاك لزكريا : ناد قائلا هكذا قال رب الجنود انى قد غرت على اورشليم وصهيون غيرة عظيمة وانى رجعت على اورشليم بالمراحم فيبنى فيها وان مدنى ستعود تفيض خيرا ، ويعود الرب فيعزى صهيون ويختار اورشليم • وتستمر قصة الرؤيا والحوار فى الاصحاح الثانى الى آخر الاصحاح السادس وفيها بشائر وتعليمات وصور لما سوف يكون عليه هيكل الرب من رواء

(١) تكرر ذكر السبعين سنة كمدة للسبى الذى بدأ فى عهد نبوخذ نصر مع ان هذا السبى كان سنة ٥٨٩ ق م انتهى سبيا فى السنة الثانية من قضاء كورش على مملكة بابل أى سنة ٥٣٨ ق م حيث أمر بالنداء فى مملكته بالأذن لمن يريد ان يعود الى اورشليم من اليهود فكانت عودة القافلة الاولى عقب ذلك •

وفخامة وما يكون عليه يهوشع بن يهو صادق الكاهن العظيم من منظر
فخيم وسلطان قوى .

وفى الاصحاح السابع أن كلمة الرب صارت لذكريا فى السنة
الرابعة لداريوس فى مناسبة سؤال أهل بيت ايل للكهنة عما اذا كان
يجب أن ينوحوا فى الشهر الخامس كما كانوا يفعلون طيلة سنى
السبى ، حيث أمره أن يقول للشعب والكهنة : حين كنتم تصومون
وتنوحون فى تلك السنين هل كان صيامكم لى أنا وحين تأكلون
وتشربون ألا تأكلون وتشربون لانفسكم ؟ أليس هذا هو ما نادى به
الرب على السنة الانبياء الاولين حين كانت اورشليم أهلة مطمئنة
هى ومدنها من حولها . احكموا حكم الحق واصنعوا الرأفة والمراحم
ولا تظلموا الارملة واليتيم والغريب والبائس ولا يفكر أحد بشر
على أخيه ، فأبوا أن يصفوا ووقروا آذانهم لئلا يسمعوا وجعلوا
قلوبهم كالسامور لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله الرب على
السنة الانبياء فكان غضب عظيم عليهم وكما ناداهم فلم يسمعوا نادونى
فلم أسمع بل فرقتهم كالزوبعة فى كل أمة لم يعرفوها فاستوحشت
الأرض من بعدهم لا جائز فيها ولا عائد وصارت الأرض الشهية
قفرا .

وفى الاصحاح الثامن بشرى بغيره الرب على صهيون ورجوعه
الى اورشليم وتخليص شعبه من أرض المشرق وأرض المغرب . وفى

الاصحاح التاسع انذار بسوء مصير الفلسطينيين ومدنهم غزة وأسقلون وعقرون واشدود وبشرى بحسن مصير اورشليم واسرائيل . ويستمر
الاصحاح العاشر والحادي عشر والثاني عشر ببشارات مما لاثت في صور
جميع متنوعة . وفي الاصحاح الثالث عشر تأكيد بقطع الاصنام
من الارض وازالة الروح النجس والانبياء الكاذبين منها . وفي
الاصحاح الرابع عشر انذار بمجيء يوم تجمع فيه الامم على حرب
اورشليم فيتمكنون من أخذها ونهبها وهتك أعراض نسائها وسبي
نصف سكانها ثم يخرج الرب ويحارب تلك الامم ويقف قدماه على
جبل الزيتون فينشق الجبل بدوى عظيم ولا يكون في ذلك اليوم نور
وبضرب الرب كل الشعوب التي تجندت على اورشليم وتحارب معه
يهودا وتتجمع في يدها ثروة كل الامم من ذهب وفضة وملابس
وخيل وبغال وجمال وحمير ، ويصعد كل من بقى من الامم على
اورشليم سنة بعد سنة ليسجدوا للملك رب الجنود ويعيدوا عيد
القال ولا ينزل مطر على من لم يصعد ويسجد .

وقد شاب اصحاحات هذا السفر خيال كثير وتأثرت فيما هو
المتبادر من واقع عودة من عاد من بنى اسرائيل من السبي ونجاحهم
في بناء المعبد وانبعاث النشاط والحيوية فيهم ثانية .

وبقى بضعة أسفار صغيرة ليس فيها شيء ذو بال في صدق تاريخ
بنى اسرائيل وسيرتهم . منها سفر ناحوم وهو ثلاثة اصحاحات في

خمس صفحات • ومن الممكن أن تدل بعض عباراته على أن صاحبه من سبى دولة اسرائيل الى آشور وأنه شهد سقوط المملكة الاشورية • ويبدأ بعبارة «وَقَر نِينوى بِسَفَر رُؤيا نَحوم الانفوشي (١)» • وقد حصل السفر على نينوى ووصفها بمدينة الدماء وتساءل عن يرثى لها ويعريها ، وعما اذا كانت خيرا من مدن أخرى دمرت وسبى أهلها وأطفالها ، وخاطب يهوذا بقوله يا يهوذا عبد أعيادك وأوف نذكرك فإنه لا يعود يمر بك بعد رجال بلعالم فقد انقضوا جميعا • حيث يبدو من هذه العبارات الاستبشار والتشائمة بما حل في نينوى وخلاص يهوذا من سلطانها •

ومنها سفر حبقوق وهو كذلك ثلاثة اصحاحات في خمس صفحات • ومن الممكن أن تدل بعض عباراته على أن صاحبه شهد غزوات الكلدانيين ليهوذا • ويبدأ اصحاحه الاول بعبارة «الوَقَر - أو الوحي - الذى رآه حبقوق النبى ، ثم يحكى مناجاة حبقوق لربه التى تساءل فيها : الى متى يا رب أستغيث ولا تستجيب وأضرع اليك من الظلم ولا تخلص • لماذا ترىنى الائم وتشهدنى الاصر ويجسرى قدامى الاغتصاب والظلم ويحدث الخصام ويقام النزاع • لذلك تفتقر الشريعة ولا يبرز الحكم فائزا لأن المنافق يحصر الصديق فيرز الحكم معوجا ، انظروا بين الامم وأبصروا • تعجبوا وتحيروا • فإن عملا

(١) هذه الجملة في النسخة البروتستانتية هكذا «وحى على نينوى بسفر رؤيا ناحوم الانفوشي» •

يعمل في أيامكم اذا حدث به لا تصدقونه • فهاذا أثير الكلدانيين
الامة المرة التي تسير في رحاب الارض لتراث مساكن ليست لها •
انها مرهوبة هائلة ومنها يبرز حكمها ووقرها • خيلها أخف من النمر
وأحد من ذئاب الماء وفرسانها ينتشرون ويزحفون من بعيد ويطيرون
كالنسر المسرع الى طعامه • يأتون كلهم للخطف وجملة وجوههم الى
قدام فيجمعون السبي كالرمل •

وفي اصحاحه الثاني اشارة الى رؤيا رآها حبقوق وأمر الرب
بكتابتها وفيها تنديد بالكثير مما ليس له وانذار للسالب بأن أمما كثيرة
ستسلبه ، وتقريع لمن يحرص على سجن شرير لبيته ليجعل عشه في
العلو ويسلم من قبضة الشر ، وانذار بالويل لمن يبنى مدينة بالدماء
ويؤسس قرية بالاثم ويسقى صاحبه ويسفح له مرارته ويسكره لينظر
الى سوائته • وفي اصحاحه الثالث صلاة وتسابيح وابتهالات من
حبقوق للرب •

ومنها سفر عوبيديا وهو اصحاح واحد في صفحتين ويوصف
في أوله بأنه رؤيا عوبيديا ويسجل خطايا للرب الى أدوم منددا بما كان
منها من تجبر ومنذرا بآبادة وقرض كل رجل من جبل عيسو لان
الادوميين أبناء عيسو جاروا على أبناء يعقوب - بنى اسرائيل - يوم
سباهم الغرباء ودخلوا عليهم بل كانوا كواحد منهم مع أنه كان
يجب عليهم أن لا يشمتوا بهم في يوم هلاكهم ، حيث يدل هذا على أن

الادوميين وربما جميع شعوب شرق الاردن وغسربه من مؤابيين وعمونيين وفلسطينيين وكنعانيين وغيرهم كانوا في موقف الشماتة بما حل في دولتي اسرائيل ويهوذا من نكال وتدمير * وهو ما احتسوت بعض الاسفار اشارات اليه أيضا على ما أوردناه قبل * وفي آخر اصحاح بشرى بنجاة آل يعقوب وارثهم للذين ورثوهم ويكونون نارا ولهيبا ويكون آل عيسو عصابة فيضرمونهم ويأكلونهم ولا تكون بقية منهم *

ومن هذه الاسفار سفر ملاخي * وهو أربعة اصحاحات في خمس صفحات وترتيبه في النسخة البروتستانتية آخر الاسفار وليس بعده في النسخة الكاثوليكية الا أسفار المكابيين التي هي من زوائد هذه النسخة * وليس في السفر ما يمكن الاستدلال به على الحقيقة التي كان فيها صاحبه * وفيه تنديدات بآثام اسرائيل ويهوذا وكهنة يهوذا وفيه انذار بيوم عظيم رهيب واخبار بأن الرب سيرسل النبي ايليا الى بني اسرائيل قبل مجيء هذا اليوم *

ويبدأ اصحاحه الاول بعبارة « وقر الرب الى اسرائيل على لسان ملاخي (١) » ثم يذكر بلسان الرب ما كان من عنايته باسرائيل وهو يعقوب وتفضيله على أخيه عيسو وغضبه على هذا الاخ وجعله يسكن الجبال المستوحشة ، ثم يندد بالكهنة لآزدرائهم اسمه لانهم يقربون

(١) في النسخة البروتستانتية عبارة « وحي الرب لاسرائيل من يد ملاخي »

على مذبحه المغصوب والاعرج والاعمى والسقيم . ولذلك فانه
غير راض عن تقدمهم .

وفي اصحاحه الثانى انذار للكهنة بأنهم ان لم يسمعوا ويجعلوا
مجد الرب فى قلوبهم فانه يرسل عليهم لعنته ويزجر عنهم الزرع
ويذرى فرث أعيادهم على وجوههم . ثم يقول لهم ان عهد الرب مع
لاوى كان للحياة والسلام والتقوى وشريعة الحق وسار هو على
ذلك . أما أنتم فعدلتم عن الطريق . وشككتكم كثيرين فى الشريعة .
وتقضتكم عهد لاوى معى . لذلك أنا أيضا جعلتكم مزدريين وأدنياء
عند جميع الشعب . لقد غدر يهوذا وصنع اسرائيل الرجس . ان
يهوذا دنس فى اورشليم قدس الرب الذى أحبه وتزوج بنت اله
غريب . فالرب يستأصل الذى يصنع هذه الآثام . لقد أسأتهم الرب
بقولكم : كل من يصنع الشر فهو صالح فى عينى الرب .

وفي اصحاحه الثالث بشارة بمجىء السيد الذى يلتمسونه والذى
سيكون ممحضا ومنتقيا ويكون الرب شاهدا حينئذ على الفاسقين
والمتفائلين والحالفين زورا والظالمين الاجيروا الارملة واليتيم والصيادين
الغريب ولا يخشوتنى ، يقول الرب : أنا الرب لا أغير يا بنى يعقوب .
وأنتم لا تفنون . من أيام آبائكم زغتم عن رسومى ولم تحفظوها .
توبوا الى آتئ عليكم . أيسلب البشر الله . تقولون ماذا سلبناك
العشور والقرايين ، قد لعنتم لعنا ثم أنتم تسلبوننى . أنتم الامة كلها

هاتوا جميع العشور الى بيت الخزانة لكون في بيتي طعام وجربوني،
 ألا أفصح لكم كوى السسما وأقبص عليكم بركة وأزجر الا كل ولا
 يفسد لكم ثمر الارض ولا يكون الكرم عقما • فتنبطكم جميع الامم
 لانكم تكونون أرضا شهية • لقد اشتدت على أفعالكم • تقولون به
 نكلمنا علبك • انكم فلم عبادة الله باطلة • وما المنفعة في حفظنا
 محفوظاته وفي مشينا بالحداد أمامه • الا ان نحن نعط المتكبرين •
 فان صانعي النفاق ابتنوا • جربوا الله وجحوا •

وهي اصحاحه الرابع اذار باليوم الانى المضطرم كالنور •
 فيكون به جميع المتكبرين وصانعي النفاق عصافة يحربون فيه ولا سقى
 لهم جرنومة ولا أفنان • وتشرق للمنقين لاسم الرب شمس البر
 والشفاء ويطاؤون المنافقين وهم رماد تحت أخامص أقدامهم يوم أعمال
 أنا • قال رب الجنود : اذكروا شريعة موسى عبي • أنا ارسلي
 اليكم ايها السبي قبل ان يجي يوم الرب العظيم الرمي •

وبسفر ملاخي تنتهى الاسفار الواردة فى النسخة الرومستاتة
 من أسفار العهد القديم • وفى النسخة الكانوييكية ياتى بعده سفر

المكابيين وهما من زوائد النسخة غير أنهما متصلان بحقبة مابعد الحكم الفارسي الذي خضعت له بلاد الشام ومصر ومن جملتها شرق الاردن وغربه منذ سنة ٥٣٨ الى سنة ٣٣٢ ق.م باستثناء فترات قصيرة كانت البلاد وخاصة مصر تتمرد عليه وتارس سيادتها فيها .

والمستفاد من نصوص الاسفار السابقة والمصادر التاريخية الاخرى التي أشرنا اليها في ثانيا فصول سيرة دولتي يهوذا واسرائيل أن المنفيين من بني اسرائيل الى آشور أولا من دولة اسرائيل والى بابل ثانيا في دولة يهوذا عقب نفس الدولتين لم يعودوا جميعهم الى فلسطين بل ان العائدين كانوا أقل من المتخلفين، وان معظم العائدين سكنوا في اورشليم ومنطقتها التي صارت تعرف باليهودية ، وأن منقلبة السامرة ظلت مشغولة بالاقوام الذين أرسلهم سنحاريب وأسرحدون الاشوريين وأسكناهم فيها مكان المسييين من دولة اسرائيل ، وان الفلسطينيين ظلوا يحتفظون بكياناتهم وممالكهم في الاقسام الجنوبية ، وأن أنسال الشعوب الاخرى العربية الجنس التي كانت موجودة قبل مجيء بني اسرائيل من مصر مسا سمتهم الاسفار الكنعانيين والاموريين والحيويين واليوسيين والفرزيين الخ ظلوا هم الآخرون يعيشون في مختلف أنحاء فلسطين محتفظين بشخصياتهم وتقاليدهم في أثناء قيام دولتي يهوذا واسرائيل وبعد انهيارهما ثم بعد عودة من عاد من بني اسرائيل من المنفى .

- ١١ -

وليس في أسفار العهد القديم شيء عن تاريخ بني إسرائيل تحت حكم الفرس إلا ما اقتبسناه وأوردناه من أسفار عزرا ونحميا وأستير من تنف تمتد الى عهد دارا الثاني وأرتخشستا الثاني ، ولما كان تاريخ بني إسرائيل في فلسطين استمر بعد عودتهم من السبي أمدا غير قصير أى نحو ستة قرون ٥٣٨ - ق ٥ م - ٧٠ ب م فإن تكملة سيرتهم ضرورية لربط لاحقها بسابقها . وليس من بد من التعويل في ذلك على مصادر تاريخية أخرى بالإضافة الى سفرى المكابيين اللذين يحتويان شيئا من هذا التاريخ عهد سلطان السلوقيين اليونانيين الذى امتد من أواخر القرن الرابع الى أواسط القرن الاول قبل الميلاد (٣١٢ - ٦٤ ق م)

وقد عولنا في ذلك بالدرجة الاولى على كتاب مقال فى العبرانيين للمطران الدبس ثم على كتابه الكبير تاريخ سورية ، ثم على تاريخ يوسفوس اليهودى . والدبس يستند فى كتابه الى مصادر يونانية ورومانية وانكليزية وفرنسية قديمة وحديثة بالإضافة الى تاريخ يوسفوس وأسفار المكابيين بالنسبة للحقبة التى نحن فى صدددها . وتاريخ يوسفوس مدون فى القرن الاول بعد الميلاد ومؤلفه من رجالات اليهود الذين لعبوا دورا على المسرح السياسى . ومع أنه

ثيب بكثير من الخيال والمفارقات فان فيه على ما هو المتبادر حقائق تاريخية كثيرة أيضا (١) .

ولقد تعاقبت على عرش مملكة الفرس خلال الحقبة التي كانت بلاد الشام ومصر ومن جملتها اليهودية خاضعة لحكم الفرس كورش وقمبيز وخومساتا ودرياش الاول « دارا » واحشوبريش الاول وارتخشستا الاول واحشوبريش الثاني وسقديان ودرياش الثاني وأرتخشستا الثالث وأرميس ودرياش الثالث (٢) .

وكانت هذه البلاد تدار من قبل ولاية عامين من الفرس يستندون في سيطرتهم الى حاميات فارسية . ويظهر أن الفرس كانوا يعينون ولاية أقاليم محليين من شعوب البلاد حيث عرف أن سنبلظ الذي من ذكره كان من أهل السامرة وواليا عليها (٣) وأن نحميا كان واليا على

(١) ان تاريخ يوسيفوس الذي في يدنا ترجمة عربية طبعها ونشرها مسليم صادر صاحب المكتبة العلمية ببيروت وليس عليها تاريخ وهي في ٣٢٨ صحيفة متوسطة . وقد ذكر الدبس في الجزء الثاني من كتابه تاريخ سورية احداثا كثيرة مروية عن يوسيفوس لم ترد في هذه الترجمة او وردت بزيادة او نقص . وقد قال الدبس (ص ٣٧٦) من كتابه المذكور ان يوسيفوس ولد سنة ٣٧ وتوفي سنة ١٠٠ ب م وانه كتب تاريخ أمته في عشرين كتابا (ولعلها عشرون فصلا) بالسريانية وترجمتها الى اليونانية ومنها ترجمة الى اللاتينية والفرنسية وغيرهما . وفي ترجمة صادر التي في يدنا نبذة طويلة في تاريخ اليهود واليونان السلوقيين في حقبة الدولة اكلابية استغرقت ثلثيها ونبذة في الحروب الرومانية اليهودية استغرقت ثلثها الثالث ، ولا ندرى هل الترجمة مختصرة عن الكتابين وان كان يبدو لنا ذلك . وحينئذ تكون زوائد الدبس من النسختين الاصليتين الطولتين اللتين لم نقدر على الحصول عليهما ، وما سوف نعزوه في هذه النبذة وما بعدها الى يوسيفوس هو مقتبس من ترجمة وطبعة صادر .

(٢) تاريخ كلدة واشور لادى شير ج ١ ص ١٥٣-١٦٣ .

(٣) مقال في العبرانيين للدبس ص ٦٢١ .

اليهودية • وهذا عرف من نصوص سفر نحميا التي أوردناها قبل
وكان يلقب بالترشانا •

ومما ذكره الدبس من سيرة بنى اسرائيل (١) في هذه الحقبة
نقلا عن مؤرخ اسمه كريتنس أنه كان عند اليهود بعد نحميا ندوة
شيوخ مؤلفة من سبعين عضوا وقضاة يقضون للشعب منهم يومى
الاثنين والخميس من كل أسبوع • وأن مهمة الندوة كانت مراقبة
تطبيق الشريعة وتفسير ما أشكل منها وكان لقب رئيسها أبتدين ، وأن
بنى اسرائيل ظلوا موالين للفرس وحيثادين فى ما كان ينشب فى
سورية وفينيقية ومصر من ثورات ضد الحكم الفارسى وفيما نشب
كذلك بين الفرس واليونان من حروب خلافا لسورية ومصر وفينيقية
مما مرده ما كانوا عليه من هوان وضعف حيوية أو مانالوهم من الفرس
من عطف وعناية • ومما رواه الدبس أيضا نقلا عن كريتنس
ويوسيفوس (٢) من أحداثهم أن كاهن اليهودى الأكبر يوياداع مات
فى زمن أرتخشستا الثالث وخلف ولدين فدفع أصغرهما يشوع
وشوة لوالى الفرس وقائدهم العام باغواس ليعينه مكان أبيه بدلا من
أخيه حنان الأكبر فوعده بذلك ، وأن الاخوين تنازعا على الرئاسة
فى الهيكل فقتل الأكبر أخاه الأصغر فيه فجاء باغواس وفرض على
اليهود ضريبة خمسين درهم على كل خـسـروف يذبح فى الهيكل
عقوبة لهم • • •

(١ و ٢) المصدر نفسه ص ٦٢٦ وما بعدها •

- ١٢ -

وفى الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد زحف الاسكندر
المكدونى الذى صار اليه ملك مكدونيا وبلاد اليونان بعد أبيه فيليب
نحو الشرق ليحاربة الفرس امتدادا لما كان من حروب بينهم وبين
اليونان فهزم جيوش دارا الثالث فى آسيا الصغرى ثم اسولى على
بلاد الشام ومصر بغير عناء كبير باستثناء صور وغزة اللتين امتنعتا عليه
فترة من الزمن ثم كر على العراق واشتبك بجيش دارا مرة ثانية
فى معركة حاسمة فى أربيل كتب له النصر فيها وكان دارا من جملة
ملاكها وبذلك استتب له السيطرة على مملكته وما كان فى سلطانه
من بلاد *

ومما ذكره الدبس ويوسيفوس (١) فى سياق امتزج بالخيال أن
الاسكندر أرسل فى جلب المؤن من الجليل والسامرة واليهودية أثناء
حصار صور فامتل السامريون ولبوا طلبه بل وأرسلوا اليه نجدة
مؤلفة من ثمانية آلاف وأبى اليهود الامتثال نمسكا بعهدهم وولائهم
للفرس فغضب عليهم وزحف على أورشليم للتكبل بهم فخرج الكاهن
الاكبر مع الكهنة والشعب واستقبلوه بموكب ديبى وفتحوا له المدينة

(١) المجلد الثالث الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس ص ٦٤ وما بعدها
وتاريخ يوسيفوس طبعة صادر ص ٢٤ وما بعدها *

وأن الاسكندر كف عن التكيل بهم وسجد الكاهن بتأثير رؤيا رآها
الاسكندر والكاهن فى الوقت نفسه ! ثم ذهب الاسكندر الى الهيكل
وقدم هداياه وطلب وضع تمثال له فيه فصرفه الكاهن عن ذلك
بالحسنى ، وطلب الكاهن واليهود منه اعفاءهم من الجزية سنة فى كل
سبع سنين والسماح لهم بممارسة شرائعهم فأجابهم الى طلبهم ، وأنه
ذهب بعد ذلك الى منطقة السامرة فاستقبله سنبلط السامرى واليهما
وصنع له وليمة عظيمة وقدم اليه هدايا نفيسة وطلب منه السماح
ببناء هيكل فى جبل جرزيم - جبل نابلس الجنوبى - فسمح له ، وأن
صهرا لسنبلط اسمه منسى من اللاويين لم يرد أن يتخلى عن زوجته
السامرية وترك أورشليم وأقام عند صهره صار يقوم بمهمة الكهانة
فى هيكل جرزيم ، ثم أخذ سنبلط وصهره يقومون بدعاية كبيرة
لهيكلهم وصاروا يقولون فيما يقولون ان مكانه هو المكان الذى اختاره
الله للبركة والذى يجب أن تكون الصلاة فيه والحج اليه بسبب قول
موسى انى أجعل البركة على جبل جرزيم (١) ، وأن كثيرا من اليهود
تأثروا بالدعاية وأقبلوا على اقامة أعيادهم وطقوسهم فى هيكل جرزيم
وحمل نذورهم وهداياهم وعشورهم وذبح قرابينهم فيه ، وتركوا
قدس الله - هيكل أورشليم - وعطلوه وكثرت بذلك أموال هيكل
جرزيم فاستغنى كهنته واستقام حال خدامه وصار علة فى تعطيل

(١) حكاية البركة لجبل جرزيم واردة فى الاصحاح الحادى عشر من سفر
التثنية والاصحاح الثامن من سفر يشوع .

كثير من حقوق القدس • وقد ظل الهيكل قائما وحالته ميسرة على هذا المنوال الى أن ولي هركانوس بن شمعون فأخربه، وهركانوس هذا أحد ملوك الدولة المكابية اليهودية على ما سوف نذكره بعد •

- ١٣ -

ولقد تقاسم قواد الاسكندر بعد وفاته الامبراطورية العظيمة التي أنشأها والتي كانت تشمل بلاد اليونان ومكدونيا وآسيا الصغرى ومملكة فارس وبلاد الشام والعراق ومصر • وقد دخلت بلاد الشام ومن جملتها اليهودية في حكم القائد أوميدون أولا ثم نشب نزاع وقاتل تنافس بين القواد وانتهى الامر بعد معارك وصيال متسرع الصفحات امتد عشرين عاما (٣٣٢-٣١٢) الى توطد سلطان بطليموس الذي كانت مصر نصيبه على فينيقية وسورية المجوفة (البقاع وراشيا وحاصيا وبعبك) وفلسطين وقبرص ، وسلطان سلوقوس الذي كان متحالفا مع بطليموس ضد أوميدون على سورية الداخلية والشمالية وبين النهرين (١) •

ولقد كان من صفحات هذا النزاع زحف بطليموس على فلسطين

(١) تاريخ سورية الجزء الثاني ص ٨٥-١٠٦ المجلد الثالث •

لتوطيد سلطانه عليها وتمنع اليهود عليه تمسكا بعهدهم لاومبسدون
فاستولى على اورشليم عنوة وعامل اليهود بقسوة وأخذ منهم
أكثر من مائة الف أسير وثفاهم الى مصر •

ولم يلبث خلفاء بطليموس وسلوقوس أن أخذوا يتنازعون على
سلطان بلاد الشام لان سلوقوس عز عليه أن يكون لبطليموس سلطان
على بعض أنحائها حتى لقد كان تاريخ الدولتين اليونانيتين اللتين
صارتا عرفان بدولتي البطالسة والسوقية سلسلة متصلة الحلقات من
هذا النزاع الذى كان يجبر معه الحروب والدسائس والمؤامرات ،
وكان النصر يساجل بين المتنازعين حيناً ويكتب لطرف على طرفة
حيناً ، وفامت بين الدولتين مصاهرة فى فترة من الفترات فكانت من
أسباب وعوامل النزاع والدسائس حيناً ، ومدت روما اصبعها فى هذا
النزاع فى ظرف من الظروف ، ثم استمرت حتى ورثت الدولتين
أخيراً • وقد تساجلت الدولتان الحكم على البلاد المتنازع عليها مرة
بعد مرة وكان حكم السلوقيين أطول • وكان أهل البلاد وينسبوا
اسرائيل خاصة يتعرضون للشدائد والمحن من جراء تقلب الحكم من
دولة الى دولة لانهم كانوا يندمجون فى الدسائس والمؤامرات • ولقد
ظلت هذه البلاد تحت سلطان البطالسة فى عهد بطليموس الاول
والثانى والثالث ٣١٢-٢١٢ ثم انتزعها أنطيوخوس الثالث (٢١٢-
١٨٧) لفترة من الزمن عادت بعدها الى البطالسة ثم عادت ثانية الى

السلوقيين وظلت تحت سلطانهم الى الفتح الرومانى سنة ٦٤ ق م
 باستثناء فترات قصيرة . ولقد نشأ عن قلب الحكم فى اليهود
 فريق متحزب للسلوقيين وآخر للبطلاسة فكان كثيرا ما يقع نزاع
 بين الفريقين وكان السلوقيون حينما يستولون على البلاد ينكلون
 بالفريق الآخر ويساعدهم على ذلك الفريق المناصر لهم وحينما كان
 البطلاسة يستولون يفعلون نفس الشئ ويساعدهم عليه أنصارهم
 أيضا . ومع أن الدولتين كانتا تقيمان على البلاد ولادة وقوادا
 عامين وحاميات فان رؤساء كهان اليهود كانوا بالاضافة الى صفتهم
 الدينية يمارسون الزعامة المدنية على اليهود ويتولون جمع الجزية
 وتسليمها أحيانا .

- ١٤ -

ومما عرف من الاحداث المتصلة بتاريخ اليهود فى هذه الحقبة
 أن بطليموس الثانى (٢٨٢-٢٤٧ ق م) سمح لمائة وعشرين ألفا من
 أسرى اليهود بالعودة الى اليهودية ، وأنه طلب من أليعازار رئيس
 الكهان أن يرسل اليه اثنين وسبعين عالما من علماء التوراة - ستة من
 كل سبط - لترجمة أسفار موسى الخمسة الى اليونانية فنفذ الطلب
 وكان أليعازار على رأس العلماء وتمت المهمة خلال اثنين وسبعين

يوما فكانت الترجمة المعروفة بالترجمة السبعينية في اللغة اليونانية
 للأسفار الخمسة (١) * ولقد ذكر يوسفوس هذا أيضا (٢) وزاد عليه
 أن بطليموس جعل لكل عالم مسكنا خاصا وحظر عليهم الاجتماع
 ببعض وزود كل واحد منهم بكتاب حاذق في اليونانية وأنذرهم
 بالعذاب والاعدام اذا وجد خلافا في ترجمتهم وأنه قابل الترجمة
 فوجدها متطابقة - وهذا يوهم أن كل عالم ترجم الاسفار لحدثه
 فابتهج وسر وأمر لاليعازر بجائزة عظيمة ولسائرهم بكثير من المال
 وأطلق جميع من كان أسيرا في مصر من سبي اليهود وأمر بصنع
 مائدة من الذهب عليها صورة أرض مصر والنيل يجرى وسطها
 ومرصعة بالجواهر الثمينة لتكون هدية منه لبيت الله

ومما ذكره الدبس (٣) أن أدينا رئيس الاجبار تقاعد عن دفع
 الجزية بضع سنين في زمن بطليموس الثالث وكان قدر الجزية
 السنوى عشرين وزنة فأرسل بطليموس عاملا الى اورشليم لارغام
 اليهود على الدفع وهددهم بالطرد فعظم القلق في اورشليم ثم أوفدوا
 رسولا ذكيا استطاع أن ينال حظوة في عين الملك وجعله يعفى اليهود
 من معظم المتراكم عليهم *

ولما آل العرش السلوقي الى أنطيوخوس الثالث المسمى بالكبير

(١) تاريخ سورية ج ٢ المجلد الثالث ص ١١٢ وما بعدها *

(٢) طبعة صنادير ص ٤٩ وما بعدها *

(٣) تاريخ سورية ج ٢ ص ١١٢ المجلد الثالث *

(٢٢٢-١٨٧ ق م) بدا منه طموح الى التوسع وبسط السلطان على البلاد الشامية التي في حيازة البطالسة فنشبت الحرب بينه وبين بطليموس الرابع (٢٢٢-٢٠٥) انتهت بانتصار السلوقي على زميله واستولى هذا نتيجة لذلك على سورية المجوفة وفينيقية وفلسطين لفترة من الزمن . وفي خلال هذه الفترة ظهر الفريقان المتحزبان للبطالسة والسلوقيين وأخذا يتناصران . وبعد قليل استعاد بطليموس الرابع السلطان على البلاد فاستولى الفريق المناصر له وتعرض المخالفون للتنكيل ، ثم تمكن أنطيوخوس من بسط سلطانه للمرة الثانية ففكك بالحزب المناوئ دوره تنكيلا شديدا حتى جعل كثيرا من أفرادهم يفسرون الى مصر وقيمون فيها وينشئون هيكلا على غرار هيكل اورشليم . ثم أخذوا يدسون دسائسهم في اليهود الباقين في اليهودية ويحركونهم على السلوقيين واستجاب بعضهم الى الدسائس فأثار ذلك سلوقوس الرابع الذي خلف أباه أنطيوخوس الثالث (١٨٧-١٧٥ ق م) المعروف بـ قيلوباطر وجعله يشتد عليهم قمعا وتدميرا ، ثم جعل السلوقيين يبذلون جهودهم في تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية اليهودية الى التقاليد اليونانية . وقد نصب الوالي اليوناني أنطيوخوس تمثالا لاله زفس في هيكل اورشليم وقرب له القرابين وأخذ يدعو اليهود الى المشاركة في الطقوس اليونانية ويشدد ضد المتمردين على دعوته وقد استجاب كثير من اليهود الى دعوته وأخذوا ينصرفون عن

سرائعهم وتقاليدهم ويندمحون في تقاليد وطقوس اليونانيين كما كان شأنهم حينما طرأوا على أرض كنعان .

وقد تمرد بعضهم ونسكت بالتقاليد الموسوية ، فوشى الفريق الآخر بهم فتعرضوا للتنكيل الشديد ، كما أن السلوقيين اشتدوا في إرغام الناس على تقاليدهم وترك التقاليد الموسوية فأدى ذلك إلى انفجار الثورة التي عرفت بالثورة المكارية والتي انبثق منها دور استقلال بني إسرائيل امتد نحو مائتين وثلاثين سنة حيث انفجرت سنة ١٦٠ ق م وامتدت إلى سنة ٧٠ ب م وتمتع بنو إسرائيل خلال هذه المدة بشيء من الكيان المستقل والسيادة في بعض الفترات . وكان استقلالهم في أكثر المدة ذاتيا تحت سيطرة السلوقيين ثم الرومان يضيق ويتسع حسب الظروف . وقد ساعد على تطور الثورة ونجاحها ما كان بين السلوقيين والبطالسة ثم بين السلوقيين أنفسهم من تنافس ونزاع .

ويعتبر اليهود بهذه الثورة ويعدون لها من مفاخرهم العظمى . وقد تكون حقا كذلك من حيث بواعثها وسيرتها . غير أنها شئت بمعكرات كثيرة من اليهود أنفسهم . مما هو شئشنة بني إسرائيل الدائمة فأضعفت نتائجها ومفخرتها . فاليهود لم يندمجوا جميعهم فيها . بل كان كثير منهم يكدون لها ولرجالها في مختلف المناسبات والأشكال . وظل كثير منهم على انحرافهم الخلقى والدينى . وكان كثير منهم يحالفون السلطات السلوقية ثم الرومانية ويتعاونون معها ضد الحركة . وكثيرا

ما كان ينشأ خلافات ومنازعات ومكائد دينية وتنافسة بين رجسالة
الحركة تراق فيها الدماء الغزيرة ويسام الناس فيها الجور والخنسفة
وتؤدى الى الاضطراب والارتباك ، وقد كان كل هذا من أسباب فصر
مدة سيادة المكايين التامة وخضسوعهم فى أكثر مدنهم للسيادة
الخارجية كما أدى الى انهيار دولتهم أخيرا على ما سوف نشرحه
فى الفصل التالى الذى جعلناه فصلا مستقلا •

دور المكابيين الى تدمير اورشليم

- ١ -

لقد اختلفت الاقوال في سبب تسميتها باسم المكابيين الذى كان يطلق على زعماء الثورة فقط . وليس فى أسفار المكابيين التى يدور الكلام فيها حول مقدمات الثورة وسيرتها فى حقبتها الاولى ولا فى تاريخ يوسفوس الذى استغرقت أحداثها معظمه تعليل ما لهذا الاسم . وقد ذكر المطران الدبس بضعة تخريجات للتسمية تبادر لنا أن أوجهها كونها مشتقة من كلمة مكابا العبرية التى تعنى المخبأ لان زعماء الثورة اختبأوا أولا فى المغاور حتى هياؤا أنفسهم للثورة .

وأحداث الثورة المكابية مذكورة فى المصادر الثلاثة التى ما فتئنا نذكرها ونعول عليها وهى سفر المكابيين وتاريخ يوسفوس والجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس (المجلد الثالث والمجلد الرابع) .

ولما كان معظم ما أورده الدبس مقتبساً من المصدرين المذكورين فقد رأينا الاكتفاء بهما نحن أيضاً الا اذا كان فى الدبس زوائد مهمة .

وسنبداً بأسفار المكابيين لأنها احتوت كما قلنا آنفاً مقدمات
التورة وسيرتها في حقبتها الاولى .

- ٢ -

والسفران هما من زوائد النسخة الكاثوليكية . ويدوران
حول تاريخ اليهود في القرن الثاني قبل الميلاد في عهد دولتي
السلوقيين والبطالسة ثم في عهد ثلاثة من زعماء المكابيين مع
أسباب انفجار الثورة .

ولا يخلو السفران من المفارقات والمبالغات والتهويلات كسائر
الاسفار . ومع ذلك ففيهما حقائق تاريخية كثيرة متطابقة مع ما
أثر من مدونات اليونان القديمة التي احتوت سيرة الدولة
السلوقية .

ولقد جاء في آخر السفر الاول منهما هذه الجملة « وبقيّة
أخبار يوحنا وحروب وأعماله مكتوبة في كتاب أيام كهنوته الاعظم
منذ تقلد الكهنوت الاعظم بعد أبيه ، حيث تفيّد أن رؤساء
المكابيين كانوا يدونون أعمالهم في سجلات خاصة بهم كما كان
شأن ملوك بني اسرائيل وقد ضاعت هذه السجلات كما ضاعت
تلك ، وأن كتاب أسفار المكابيين قد استندوا الى هذه السجلات

التي دونت في ظروف الحركة كما كان يفعل كتاب أسفار الملوك وأخبار الأيام المتداولة على ما ذكرناه قبل وقد اختلطت فيهما الحقائق بالخيال والمفارقات مثلاً .

هذا مع التنبيه على أن السفر الثاني ليس امتداداً للسفر الأول بل كل منهما مستقل عن الآخر . وفي الثانية تكرار لبعض ما في الأول بشيء من الزيادة والنقص والخلاف والمناقضة ، وأسلوب الثاني أسلوب حكاية لأحداث سابقة أكثر منه أسلوب تدوين تاريخي خلافاً للاول ، وقد كتب ، على ما يمكن أن يدل عليه أسلوب الأصحاح الأول والثاني وفحواهما ، بشكل رسالة من يهود أورشليم إلى يهود مصر ، حيث يدل كل ذلك على أن كل سفر كتب من قبل كاتب غير كاتب السفر الآخر وفي أوقات مختلفة من المرجح أنها قبل الميلاد المسيحي وإن لم يكن تعيينها بشيء من الجزم والثوق .

- ٣ -

والسفر الأول ستة عشر أصحاحاً في أربع وخمسين صفحة . وقد ابتداء أصحاحه الأول بإشارة خاطفة إلى الاسكندر المكدوني وفتوحاته وموته واقتسام مملكته من قبل « عبيده » ولبيهم

التيجان وخلافة أبنائهم لهم في الملك ثم قال « وخرج منهم أصل خايطى ، وهو أنطيوخوس أبى قانيس بن أنطيوخوس الملك سنة ١٣٧ لملك اليونانيين (١) » ، وفي تلك الايام خرج من اسرائيل أبناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين لهم هلم نعتد عهدا مع الأمم حولنا فانا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة ، فحسن كلامهم وانطلق فريق منهم الى هذا الملك فأعطاهم اذنا بان يعملوا حسب أحكام الأمم - أى خلافا للشرائع الموسوية - فابتسوا مدرسة في اورشليم حسب سنن الأمم وعملوا غلغا وارثدوا عن العهد المقدس ومازجوا الأمم وباعوا أنفسهم لصنيع الشر .

وهكذا يقرر السفر في بدئه ما كان من انحراف بنى اسرائيل الدينى والخلقى وتأثرهم بالأمم الوثنية في شرائعهم وسنتهم كما كان شأنهم دائما .

ثم ذكر الاصحاب طسوح أنطيوخوس الى التبسط ، وغزوه لمصر ثم زحفه على اورشليم ونهبه جميع النفائس والاواني المقدسة الذهبية وغيرها من المعبد ، وقتله لجم غفير من أهلها وما كان من جراء ذلك من حزن اسرائيل ومناحاتهم وعارهم .

ثم ذكر أن أنطيوخوس أرسل بعد سنتين رئيس الجزية الى

(١) هذا التاريخ يصادف سنة ١٧٥ ق.م لان دولة السلوقيين اليونانية التى هى ملك اليونانيين قامت سنة ٣١٢ ق.م كما حسبها الباحثون (انظر تاريخ سورية للدبس الجزء الثانى) ص ٩٠ وما بعدها المجلد الثالث .

مدن يهوذا وأورشليم فحرب أورشليم ضربة عظيمة وسلبها وهدم بيوتها وأسوارها وسبى نساءها وأولادها ، وحصن مدينة داود وأقام فيها « أمة أثيمة ورجالا منافقين » أى حامية مختلطة من اليونانيين والاسرائيليين فصاروا يعتدون على أهل أورشليم قتلا ونهباً وتدنيساً لمقدساتها مما جعل أهلها يهربون منها وتغدو قفراً خراباً .

ثم ذكر أن الملك كتب الى جميع مملكته أمراً بأن يكون جميع السكان على شريعة واحدة وأن يترك كل واحد شريعته الخاصة (والمتبادر أن الشريعة التى أريد تعميمها هى الديانة والتقاليد اليونانية) فأذعنت الامم بأسرها كما أذعن كثير من الاسرائيليين وذبحوا للاصنام ودنسوا السبت ، وأرسل الملك رسلاً الى يهوذا لاجبار الممتنعين على اتباع سننه والامتناع عن الذبح والسكب فى المقدس (الهيكل) وبناء المذابح والمعابد للاصنام وأكل الخنزير وتدنيس السبت والاعياد والمقادس وترك الختان ، وأمرهم بقتل من لا يعمل بمقتضى أمر الملك ، فانضم كثير من الشعب الى سنن الملك ونبذوا الشريعة : ولجأ كثير آخرون الى المخابىء : وقتل كثير من الممتنعين وخاصة من النساء اللاتى ختن أبناءهن وعلق الأطفال المختونون فى رقابهن .

وجاء في الاصحاح الثانى : أنه كان من الخارجين من اورشليم
 متيتا بن يوحنا بن سمعان • وكان كاهنًا من بنى يوياريب مع
 خمسة من أولاده • هم : يوحنا وسمعان ويهوذا الملقب بالمكابى
 والعازار ويوناتان ، وقد ذهبوا وسكنوا مدينة اسمها مودين (١)
 وكانوا فى حزن وحسرة شديدة على ما صارت اليه حالة اورشليم
 ومقدسها وأهلها • وجاءت رسل الملك الى هذه المدينة لاجبار
 أهلها على سنن الملك ونبد أحكام التوراة وطلبوا من متيتا أن
 يبدأ هو وأولاده بامضاء أمر الملك لانه رئيس المدينة ومنه
 برضاء الملك وكرمه وهداياه فرفض قائلًا : لو أطاعت الملك كل
 الامم وارثد كل واحد عن دين آباءه فانه وأولاده سيقون على
 عهد آباءهم • وفى هذه الاثناء تقدم يهودى ليذبح على المذبح الذى
 أنشأه الملك فوثب عليه متيتا وقتله ثم وثب على رسول الملك
 فقتله ثم خرج الى الجبال قائلًا : ليلحقنى كسل من يغار على
 الشريعة ، فتبعه كثيرون فكان ذلك اعلانا للثورة •

وعلم عمال الملك وجيشه فى اورشليم بما جرى فأرسلوا حملة
 كبيرة على الثائرين وكان يوم سبت فامتنع الثوار من الحرب

(١) يقول الدبى فى الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ صورية ص ٢٢٦
 ان مؤلف كتاب الارض المقدسة حقق ان مودين هذه هى المسماة اليوم باسم
 «المدينة» فى جوار اللد وانه مثر فيها هلي مدائن المكابيين •

واغتتم الجيش الفرصة فأخذوا بفتكون في الناس حتى قتلوا ألفا منهم ، وحينئذ قرر متيتا ومن انضوى اليه القتال ولو كان في يوم السبت فهاجموا الحملة بقوة وحساس وتمكنوا من قتل كثير منها وهزيمة البقية وتشجع متيتا وتحسس من النتيجة فأخذ يطوف في أرض اسرائيل ويهدم المذابح الوثنية ويختن الاولاد الغلف .

ولما حضرته الوفاة وصى بنيه بالسير على منواله في الغيرة على الشريعة ويذل النفوس في سبيل عهد الآباء وعين ابنه يهوذا رئيسا للجيش والقتال وسمعان مستشارا وأبا لهم حسب تعبير الاصطاح

- ٥ -

وذكر الاصطاح الثالث أنه لما توفي قام مكانه يهوذا المسمى بالملكابي حسب الوصية . وانضم اليه وايده اخوته وأنصاره . وقد تعقب المنافقين وأحرق الذين يفتنون الشعب واشتدوا الى أقاصى الأرض . وزحف أبلونيوس قائد السلوقيين بجيش عظيم من السامرة فخرج يهوذا الى لقاءه وأوقع بجيشه مقتلة عظيمة وكان هو من القتلى وانهزم الباقي واستولى اليهود على غنائم عظيمة كان من جملتها سيف أبلونيوس نفسه الذي كان يهوذا

يقاتل به كل الايام . ووصل خبر الثورة الى عاصمة الملك فخرج قائد الجيش العام سارون على رأس حملة عظيمة . وخرج بهرذا الى لقائه والتقى الفريقان في عقبة بيت حورون . وفسزع رجال يهوذا فشجعهم وطمئهم وذكرهم بما كان من تأييد الرب لاسرائيل وقال لهم : نحن نحارب دفاعا عن نفوسنا وسننا وهم يحاربوننا لظلمنا ثم هاجم الحملة فكسرها وهزمها ، فزادت الواقعة اسما يهوذا عسيتا . واشتد غضب أنطيوخوس وسير حملة جديدة بقيادة قائد اسمه بطليموس وانضم اليها كثير من الأمم الاخرى ، وصام بنو اسرائيل وصلوا وابتهلوا ثم نفخوا بالابواق والتحموا مع الحملة . وقد وصف الاصحاح الرابع المعارك التي دارت بين الطرفين وذكر أنها دارت على المهاجمين الذين استطاع يهوذا ورجاله أن يكسروا فرقهم واحدة بعد أخرى وأن يغنموا كثيرا من أسلحتهم وأنفالتهم ومؤونتهم وذهبهم وفضتهم .

وسير السلوقيون حملة جديدة وكان مصيرها كالأولى على ذكر الاصحاح نفسه بما أبداه يهوذا ورجاله من بطولة وابتهالاتهم للرب . ثم صعد الى اورشليم فوجد المقدس خاليا والمذبح منجسا والأبواب محرقة والغرفات مهدومة ففاح هو وجماعته ثم طهروا المقدس وجددوا المذبح ووضعوا ما تقتضيه الرسوم من أوان وادوات وذبحوا وصلوا ثم ضربوا الحصار على قلعة داود .

ومما جاء في الاصحاح الخامس ان الأمم التي من حولهم لما سمعوا أن المذبح قدس ثانية استشاطوا غضبا وأخذوا يمدون أيديهم بالقتل لبني اسرائيل فتصدى لهم يهوذا وحارب أولا بني عيسو وضربهم وسلبهم ثم حاصر بني ييسان وأبسلهم وحرق بروجهم ومن فيها ثم عبر الى بني عمون وكسرهم واستولى على يعزير (١) وتوابعها من أرضهم . واجتمعت الشعوب على الاسرائيليين في جلعاد - شرق الاردن - من الشرق وعلى الاسرائيليين في الجليل من الشمال ، فاستنجد هؤلاء وأولئك يهوذا فأرسل فرقة من رجاله بقيادة أخيه سمعان الى الجليل وقاد أخرى الى جلعاد .

وقد ذكر الاصحاح أن كلتا الفرقتين نجحتا واستطاعتا أن تكسرا الأمم المتجمعة على الاسرائيليين في الناحيتين وتقتلا منهم كثيرا وتسلبا غنائمهم وتدمرا مدنها وحصونهم . ولكنه ذكر الى هذا أنهما أحضرتا معهما الى اليهودية جميع من كان في جلعاد والجليل من الاسرائيليين ، حيث يفيد هذا أن الاسرائيليين لم يحرزوا نصرا ساحقا وخشوا أن يتعرض الاسرائيليون لهجمات

(١) يقول الدبس في الجزء الثاني من تاريخ سورية المجلد الثالث انها المعروفة اليوم باسم بيت زرة على الأرجح ص ١٨٣ .

جديدة. وقد ذكر الاصحاح أن القواد المكابيين كانوا يقتلون كل ذكر بحد السيف في المدن التي يستولون عليها ومما ذكر في السياق أن قائدين خلفهما يهوذا في اورشليم سمعا ما كان من نجاح الحملتين فحدثتهما نفسيهما ان يأتيا بعمل مماثل فزحفا على مدينة اسدما يحنيا في الغرب فخرج أهلها للقائهما وهزموهما وقتلوا ألفين من رجالهما .

وانتهى الاصحاح بالقول « وعظم الرجل يهوذا واخوته في عيون كل اسرائيل وجميع الامم وقصد يهوذا أرض الأجانب وجال في السامرة وهدم مذابح أشدود وسلب غنائمها .

وبقطع النظر عما يمكن أن يكون في السياق من خيال وتناقض فالمستفاد منه ان أنحاء فلسطين المختلفة كانت وظلت كما قلنا قبل مشغولة بسكانها من غير الاسرائيليين وانهم كانوا يقفون من بنى اسرائيل موقف العداء والتربص ويتحينون كل فرصة لازعاجهم وضربهم وان ذلك كان شأن سكان البلاد المتاخمة أى شرق الاردن وفينيقية أيضا . وهذه ظاهرة كانت وظلت تتكرر في مختلف حقب التاريخ على ما مر بيانه . ومردها ما كان وظل يبدو من بنى اسرائيل من أنانية واستعلاء على الغير وشره الى ما في يده واستحلال له ، وشراسة في تعاملهم معه وقسوة رهيبية حينما كانت تسنح الفرص لهم فيه . ويظهر أن يهوذا لم يكن واثقا من قدرته على حماية الجاليات الاسرائيلية في الجليل وجلعاد

فسحبها الى اليهودية ، حيث يبدو من هذا المبالغة في وصف قوة
يهودا وصولاته وشدة ضربته للشعوب المجاورة . ولقد ذكر
الاصحاح السادس ان قلعة داود ظلت مستعصية على يهوذا وان
الذين ظلوا يصدون اسرائيل عن دخول المقدس ويحاولون
الاضرار بهم من كل جانب وتوطد الامم بينهم ، ويبدو من هذا
كذلك ما في وصف قوة يهوذا وصولاته وانتصاراته من مبالغة
أيضا .

وقد ذكر هذا الاصحاح ان يهوذا حشد جميع الشعب
لحصار القلعة والتضييق على الذين فيها ونصب عليها المجانيق
والقذافات فخرج منهم نفر وانضم اليهم نفر منافقون من اسرائيل
وانطلقوا الى الملك . وكان أنطوخيوس الرابع قد توفي في جولة
له في بلاد فارس وجلس على العرش ابنه أنطوخيوس الخامس
أو باتور . وأخذوا يعرضونه على يهوذا ويذكرون له ما فعله في
البلاد ويخوفونه من العواقب حيث يفيد هذا أن جماعات من بني
اسرائيل كانوا يحتفظون بالولاء للسلوقيين دون يهوذا ولم
يندمجوا في الحركة المكابية وكانوا يناوئونها . وقد غضب الملك
وحشد جيشا عظيما قوامه مائة ألف راجل وعشرون ألف فارس
وفيه اثنان وثلاثون فيلا مضراة على الحرب وسار على رأسه .
وأخذت المناوشات تقع والنصر يتساجل بين الطرفين على ما يستفاد
من وصف الاصحاح . ولكن الاصحاح قال ان اليهود لما راوا

سطوة الملك وبتطش الجيوش ارتدوا الى اورشليم وتحصنوا في
 حصن صهيون فزحف الملك وحاصرهم ونصب القذافات والمجانيق
 وصنع اليهود مثله واستمر التراشق من فوق الاسوار اياما كثيرة
 وأخذ الجوع يغلب على اليهود ، وان القائد الذي كان مع
 أنطيوخوس الرابع في جولته رجع فتخوف الملك من مخامرتة
 وجنح الى مهادنة اليهود واستجاب اليهود بدورهم الى ذلك ،
 وحلف الملك والرؤساء لهم وحينئذ فتحوا لهم الحصن فدخلوه
 وأمر الملك بهدم سورته ثم انصرف مسرعا الى أنطاكية .
 والكلام يفيد أن سادة السلوقيين عادت ثانية على اليهود وان
 زعماء الثورة قبلوا بها .

- ٧ -

وذكر الاصحاح السابع خبر انقلاب وقع على العرش السلوقي
 استولى ديستريوس ابن سلوقوس نتيجة له على السلطان وقبض
 على أنطيوخوس الخامس وقتله ، ثم قال ان جميع رجال النفاق
 والكفر في اسرائيل على رأسهم الكيمس (١) الذي كان ظامعا

(١) يسميه الدبس الياقيم او يوافيم ويقول انه سمي نفسه الكيمس بالصيغة
 اليونانية تزلغا لليهود . تاريخ سورية ج ٢ ص ٢٠١ المجلد الثالث .

فمنصب الكاهن الاعظم جاءوا الى الملك الجديد ووششوا على الشعب وقالوا له : ان يهوذا واخوته اهلكوا انصار الدولة وطلبوا ارسال محقق ومعاقبة يهوذا وأعوانه فعين الملك أمير عبر النهر واسمه بكيدانس وأمره بالانتقام من بنى اسرائيل وعين الكيمس الذى نعتة الاصحاح بنعت الكافر كاهنا اعظم وجاء الاثنان الى اليهودية مع جيش كثيف واتخذ خطة المكر والتظاهر بالسلام وقبضا على ستين مقدما وقتلوهم فوق الرعب والخوف على جميع الشعب • وارتحل بكيدانس بعد ذلك عن اورشليم ونزل بيت زيت وأرسل وقبض على كثيرين من الذين كانوا خذلوه وعلى بعض الشعب وذبحهم وألقاهم فى الجب العظيم ثم سلم البلاد الى الكيمس وأبقى معه جيشا يؤازره واجتمع الى الكيمس الذى كان يمارس الكهنوت الاعظم جميع افلسدين فى الشعب واستولوا على أرض يهوذا وضربوا اسرائيل ضربة عظيمة • ورأى يهوذا جميع الشر الذى صنعه الكيمس ومن معه فى بنى اسرائيل وكان فوق ما صنعت الامم فخرج الى جميع خسدود اليهودية وأنزل نقمته بالقوم الذين خذلوه • ويلمح تناقض عجيب فى الكلام • فيهوذا لا يجرؤ على قتال الكيمس ولكنه يسرع الى قتال الذين خذلوه !

ويستمر الاصحاح فى السياق فيقول : ان الكيمس رأى أن يهوذا أخذ يقوى فرجع الى الملك وحرّضه فأرسل حملة جديدة

بقيادة قائد اسمه نكاتور • وحاول هذا ان يسكر يهوذا فأخفق
وابتهل يهوذا للرب ثم التحم مع جيش نكاتور فكسره وهزمه
وكان نكاتور في جملة القتلى ، ونفخوا وراءهم بالابواق وتعقبوهم
وخرج الناس من جميع قرى اليهودية يساعدون يهوذا ورجاله
على الهاربين حتى قتلوا جميعهم وغنمت أسلابهم واحتز رأس
نكاتور وجيء به فعلق قبالة اورشليم وجعل يوم النصر عيداً
سنوياً وهدأت ارض يهوذا أياماً يسيرة •

وواضح من السياق ان الاسرائيليين كانوا منقسمين متنافسين
فأدى ذلك الى ما كان من وشاية وتحريض وقتال انتقضت به
الهدنة •

- ٨ -

ويقول الاصحاح الثامن ان يهوذا سمع باسم الرومانيين
وقدرتهم وحروبهم وحفظهم الود لمن يحالفهم فأرسل رسولين
الى روما لعقد عهد موالاة ومناصرة بينهم وبين اليهود ليرتفع به
فير دولة اليونان عن اسرائيل ، وان الرسولين لقيما ترحيبا
واستجابة وان الرومانيين كتبوا عهدا على لوح نحاس وأرسلوه
معهما وكان فحواه فحوى محالفة بين الطرفين يتعهد فيه كل

منهما بمنصرة الآخر اذا ما وقع عليه حرب على أن يكون كل
منهما مكلفا بما يحتاج اليه جيشه المناصر من سلاح و طعام و مال
و وسائل نقل . وجاء في الكتابية ان الرومانيين كتبوا الى
ديمتريوس يعلنون له أن اليهود غدوا أولياءهم و انهم سيقاتلونه
برا و بحرا اذا عاد الى ظلمتهم و أذاهم .

ولم يذكر السفر أنه كان لهذه المحالفة أثر في المجال التنفيذي
مع أن السلوقيين زحفوا على اليهود و حاربوهم مرة بعد مرة .
و مع ذلك ففي الحركة على أي حال أثر دهاء و مكر فيما فصدت
اليه من التوافق مع الرومان و جعلهم يتدخلون في شئون السلوقيين
ولعل ما كان يلم بروما من ارتباك و فتن تنافسية قد حصل دون
ظهور ذلك الاثر .

- ٩ -

ويقول الاصطاح التاسع ان ديمتريوس لما سمع بما حل في
جيوشه ارسل حملة جديدة بقيادة الكيمس و بكدانيس فنزلا أولا
على اورشليم ثم زحفا على بثروت التي ينزل فيها يهوذا مع ثلاثة
آلاف من رجاله والتي يحتمل ان يكون موضعها هو المعسروف
اليوم باسم البثرة قرب اورشليم للشمال ، وان جماعة يهوذا

لما رأوا كثرة العدو خافوا خوفا شديدا وأخذوا يفرون تسلا
حتى لم يبق مع يهوذا الا ٨٠٠ رجل ولكن يهوذا بقي ثابتا
والتحم مع الزاحفين في معركة حامية دارت الدائرة فيها عليه
وقتل في جملة من قتل من رجاله . فكانت له مناحة عظيمة .

وبستمر الاصحاح فيقول : ان المنافقين برزوا بعد وفاة يهوذا
في جميع نخوم اسرائيل وعين الكيمس وبكدانيس الكفرة رؤساء
على البلاد فأخذوا يتبعون اصحاب يهوذا ويأتسون بهم الى
الكيمس فينتقم منهم ، وان اصحاب يهوذا اجتمعوا ووسدوا
القيادة ليوناتان مكان اخيه وعلم الكيمس بذلك فنشط الى
مطاردهم هربوا الى بركة تقوع فعبّر الاردن متعقبهم . وقد استمر
الصيال طويلا وقامى يوناتان وجماعته منه البلاء الكبير وفسد
انشأ الكيمس مدنا حصينة جعل فيها حاميات كانت تعتدى على
انصار يهوذا ، وأخذ أبناء قوادهم رهائن وهدم حائط دار المقدس
الداخلية (المعبد) ولم ينته شره الا حينما أصيب بالفالج ومات
بعد عذاب شديد .

على أن البلاء لم ينته . فان يوناتان وجماعته لم يستريحوا الا
نحو سنتين ثم ائتمر المنافقون على ما ذكر الاصحاح وقالوا ان
يوناتان وجماعته هادئون في منازلهم وذهبوا الى بكيداس امير
عبر الاردن ليحرضوه عليهم . وزحف هذا بجيش كثيف وبعث
الرسل الى انصاره في اليهودية . وانسحب يوناتان وجماعته الى بيت

حجّله في البرية فتحصن فيه فضرب بكيدانس عليه الحصار الذي طال حتى أسأمه وجعله يحول ثقته الى المنافقين ، وأرسل يوناتان يعرض عليه المصالحة وتبادل الاسرى فقبل وحلف له وانصرف وزال السيف عن اسرائيل وسكن يوناتان مكماش — التي يقوم مكانها اليوم قرية مخماس في منطقة رام الله على الاغلب — واخذ يقوى نفسه وينكل بالمنافقين •

والسياق يفيد أن يوناتان ظل تحت سيادة السلوقيين لان بكيدانس كان يعمل تحت سيادتهم •

- ١٠ -

ويذكر الاصحاح العاشر خبر استيلاء أمير سلوقي اسمه الاسكندر على مدينة بطليمائس التي يقوم اليوم مكانها مدينة عكا ومناداته بنفسه ملكا عليها متمردا بذلك على الملك السلوقي ديمتريوس وتأهب هذا لقتاله وارغامه ، ثم يقول ان ديمتريوس كتب الى يوناتان يحدد معه عهد السلم ويأذن له بجمع الجيوش والتسلح ليكون له مناصرا ويعده برده ماله من رهائن ، وانه فعل ذلك لئلا يسبقه خصمه اليه ، وان يوناتان جاء الى اورشليم وتلا كتاب ديمتريوس على الشعب واخذ ينشط في تجديد المدينة

وتحصين جبل صهيون ، وان المنافقين والمرتدين والغرباء خافوا خوفا شديدا وأخذوا يهربون من البلاد ، وان الاسكندر سماع بها كان من كتابة ديستريوس ووعوده ليهودا فارسى هو الآخر كتابا يطلب فيه الولاء له ويعلن اقراره فى الكهانة العظمى ويسميه ولى الملك . وأرسل اليه أرجوانا - ثيابا رسمية حمراء - وتاجا من الذهب فتقبل يوناتان الهدية ولبسها ، وان ديستريوس عاد فكتب اليه حينما علم بتقرب الاسكندر طالبا منه الثبات على الولاء وواعدة اياه بحط قسم كبير من الضرائب والتكاليف واعتبار اورشليم مقدسة معفاة ، واعادة كل السبى . وحرية ممارسة الاعياد والسنن ، وفتح باب التجنيد لثلاثين الفا من اليهود ومساواتهم فى كل شىء مع جنود الملك . وابقاء مدن ثلاث من السامرة ملحقة باليهودية (١) والاعتراف بسلطانه ككاهن اعظم . ووقف بطليمائس وما يتبعها على الهيكل وتخصيص خمسة عشر الف مثقال من الفضة لنفقات الهيكل من الملك خاصة بالاضافة الى ذلك ، والسماح بتحصين اورشليم على نفقته الخ . حيث يبدو ان الخلاف بين السلوقيين هيا فرصة ثمينة لقسوة يوناتان والحركة المكابية فى هذه الحقبة وجعل كلا من المتنافسين يخطبون وده .

(١) هى (اقيرمه) التى يخمنها الدبس فى الجزء الثانى من تاريخ سورية بانها قرية افرائيم المعروفة بالطيبة و (لد) التى هى اللد كما يقول الدبس و(الرمثايم) التى لا يذكر الدبس هويتها ، انظر الجزء الثانى من تاريخ سورية ص ٢١٧ .

وقد ذكر الاصحاح ان الاسرائيليين لم يؤخسوا بالوعد
وظلوا متربصين وزحف ديمتريوس على بطليمائس وأنشب القتال
مع الاسكندر فدارت الدائرة عليه وكان هو من القتلى فاستتب
ملك بطليمائس ومنطقتها للاسكندر الذي تصاهر مع ملك مصر
البطليموسى وتقوى بذلك مركزه وقد استدعى يوناتان فذهب
اليه فى موكب مجيد على ما يذكر الاصحاح وأهدى له وملك مصر
الذى كان عنده هدايا كثيرة من ذهب وفضة فنال حظوة عندهما .
وحاول مفسدون من اسرائيل ان يشوا به فلم يصنع الاسكندر
اليهم وألبس يوناتان خلعة أرجوانية وأجلسه بجانبه وأمر بأن
لا يتعرض له أحد ، وأقامه قائدا او شريكا له ، فعاد الى اورشليم
سالما مسرورا .

وهذا يفيد كذلك أن التنافس بين السلوقيين وطد مركز
يوناتان ككاهن اعظم وزعيم على اليهودية ولكنه ظل فى الوقت
نفسه تحت سيادتهم .

ومما ذكره الاصحاح ان قائد السلوقيين فى عهد ديمتريوس
ابن ديمتريوس الذى تولى العرش بعد قتل أبيه جاء بحشد عظيم
ونزل فى يمينا قرب يافا وأرسل الى يوناتان يقول له : ليس لنا من
مقاوم غيرك ويدعوه الى النزول من الجبال الى السهل والتبارؤ
معه ان كان واثقا من جيشه ، وأخذ ينتقص من شجاعته ويتيسه
بما معه من قوة فاغتاظ يوناتان وتحسس ونزل على رأس عشرة

آلاف منتخب وذهب الى يافا فحاصرها واستولى عليها ثم التحم مع القائد السلوقي في معركة دارت الدائرة فيها على السلوقيين وقتل منهم مقتلة عظيمة واستولى يوناتان نتيجة لذلك على أشدود وأشقلون (اسدود وعسقلان اليوم) ورجع الى اورشليم ظافرا غائما مما جعله يزداد مجدا في نظر الاسكندر ، وبعث اليه بعروة من الذهب ويهبه مدينة عقرون وتخومها ملكا .

- ١١ -

ويذكر الاصحاح الحادى عشر طموح بطليموس ملك مصر الى بسط سلطانه على مملكة صهره وزحفه بجيش كثيف وتأمره مع ديستريوس ملك سورية وانتزاعه ابنته من الاسكندرو تزويجها لديستريوس مما جعل الاسكندر يفر الى ديار العرب ووطئ سلطان ديستريوس على بطليمائس ثانية . وقد اغتنم يوناتان فرصة انشغال السلوقيين والبطالسة ببعضهم فأخذ يقوى نفسه ويشدد الحصار على قلعة مدينة داود . وقد ذهب جماعة من المنافقين مبغضى امتهم - ويعنى من بنى اسرائيل - الى ديستريوس يخوفونه من نوايا يوناتان ويحرضونه عليه فجاء الى بطليمائس واستدعى يوناتان فذهب اليه وقدم له هدايا كثيرة فناة حظوة

عنده وأقره في الكهنوت الاعظم وطلب يوناتان منه اعفاء اليهودية من كل جزية مقابل ثلاثمائة قنطار (لا يذكر جنسها) فاجابه السي طلبه وكتب له بذلك عهدا •

وعادت الفتن التنافسية ثانية بين السلوقيين على ما جاء في الاصحاح نفسه فاستنجد ديمتريوس بيوناتان فأمدته بثلاثة آلاف مقاتل أبلوا بلاء عظيما في أنطاكية وخلصوا الملك من ورطة كاد يذهب فيها • ولما قضى على الفتنة انعم عليهم وأعادهم بهدايا وغنائم كثيرة • ثم عادت الفتن ثانية وكتبت الدائرة هذه المرة على ديمتريوس غير ان الملك الجديد انطيوخوس جنح الى المسالمة مع يوناتان فأقره على الكهانة العظمى وأرسل اليه آنية من الذهب وحلة من الأرجوان ، حيث يدل على ان الخلاف السلوقي ظل يخدم حظ يوناتان • وقد اغتنم يوناتان الفرصة فغزا غزة وغيرها من مدن فلسطين المستعصية وفتحها •

وقد ذكر الاصحاح في نهايته خبر نكبة نزلت على جيوش يوناتان أثناء زحفه على سهل صور في سياق جولاته المذكورة في أنحاء فلسطين حيث ظهر من ورائه كمين فأوقعوه فيه وهزموه ، حيث يدل هذا الخبر على ان معظم أنحاء فلسطين — غير اليهودية — ظلت محتفظة بشخصياتها ومستعصية على بني اسرائيل والبحركة المكابية •

ويذكر الاصحاح الثاني عشر أن يوناتان أرسل رسلا الى رومية (روما) لتجديد العهد فاستجاب الرومانيون الى ذلك • وفعل مثل ذلك مع اسبارطة مذكرا أهلها بما كان بين ملك قديم لها وبين أونيا الكاهن من عهد موالا • ولكن الاصحاح لم يذكر نتيجة رحلة الرسل وانما أورد نسخة كتاب كان أرسله ملك اسبارطة لاونيا الكاهن جاء فيه انه وجد في بعض الكتب أن الاسبارطيين واليهود اخوة من نسل ابراهيم وانه بعد أن علم ذلك كتب لهم ليتعرف على أحوالهم ويقول لهم ان ما عند الفريقين من مال ومواش لهما بالتبادل مما فيه طرافة وغرابة (١) •

ثم يقول الاصحاح ان يوناتان بلغه ان ديمتريوس يحشد جيشا ليسيره الى قتاله فخرج على رأس جيشه الى لقاءهم في أرض حماة لئلا يطئوا أرضه ، فارتعبوا منه وفروا من أمامه فلم يستطع ادراكهم لانهم عبروا نهرا، فارتد الى العرب الزيديين وضربهم وسلب غنائمهم ثم ارتحل الى دمشق وجال في البلاد كلها حيث يفيد هذا أن يوناتان قد قوى وصار يتصرف بشيء من الحرية والسيادة

(١) في المجلد الثالث الجزء الثاني من تاريخ سورية للدبس ص ٢٢٢. تخمينات
يبدون نتيجة في هذه المسألة •

ويطمح الى التبسط في هذه الفترة • ومع ذلك فالمستفاد من الاصحاح نفسه ان قلعة مدينة داود كانت ما تزال في يد السلوقيين وانصارهم كما انه كان في مختلف انحاء فلسطين حاميات وعيال سلوقيون أيضا •

وقد ذكر الاصحاح ان قائدا يونانيا اسمه ترينون كان يطسح الى ملك آسيه والقاء يده على أنطيوخوس ملك السلوقيين وانه كان يخشى مساعدة يوناتان له فأتى الى بيت شان لايجاد وسيلة لاهلاك يوناتان وازالته من طريقه فخرج هذا الى لقائه باربسين ألفا فقابله ترينون بالاكرام ماكرا ، وأغراه بالذهاب معه الى بطليمائس ليسلمها له فانخدع وذهب معه في عدة قليلة من رجاله وهناك غدر به واعتقله وقتل جميع رجاله • ثم أرسل قواته الى الجليل والصحراء لتعقب رجال يوناتان • غير انه لما رأى استسائة هؤلاء الرجال اكتفى بها فعل • وعاد هؤلاء الى اورشليم وقامت مناخة عظيمة في جميع اسرائيل على يوناتان • وقد انتهى الاصحاح بالقول « وطلبت الامم الذين حول اسرائيل ان يدمروهم قائلين » انهم لا رئيس لهم ولا ناصر فلنقاتلهم ولنمسح ذكرهم من البشر » حيث ينطوى في الخبر ضعف بنيان الحركة المكابية وشدة حقد الامم التي تقيم في فلسطين وحولها على بني اسرائيل وترقبها الضعف والتكبات لضربهم •

ويقول الاصحاح الثالث عشر انه بلغ سمعان أن ترينون جمع جيشا عظيما للإغارة على أرض يهوذا ورأى أن الشعب قد دخله الرعب فتصد الى اورشليم وشجع الشعب وأظهر استعدادا للجهاد والتضحية والانتقام فاتخبوه قائدا مكان يوناتان ووعدوه بالطاعة، فأخذ ينظم جيشه ويحصن اورشليم . وزحف ترينون على يهوذا وارسل الى سمعان يطلب منه مائة قنطار من الفضة فديسة عن يوناتان وولديه رهينة ومع علمه بأنه يسكر فإنه ارسل اليه ما طلب . ولكن بينون غدر وقتل يوناتان وعاد من حيث أتى . وقد أحضر سمعان جثمان أخيه ودفنه بمودين الى جانب أبيه وأخيه وأنشأ له قبرا وزينه بالنقوش واقام عليه اعمدة عظيمة . ثم أخذ يحصن بلاده ويتقوى نفسه . وكتب الى ديستريوس باعفاء البلاد من التكاليف فأجابته الى ذلك في كتاب قال فيه ايضا ان كان فيكم من يريد أن يكتب في الجند فليكتبوا وليكن فيما بيننا سلم .

ويقول الاصحاح بعد ذلك انه في السنة المائة والسبعين (اى سنة ١٤٢ ق م) خلع نير الامم عن اسرائيل وبدأ شعب اسرائيل يكتب في توقيع الصكوك والعقود باسم سمعان الكاهن الاعظم قائد اليهود ورئيسهم .

وهذا يعنى انه صار يتمتع بالاستقلال والسيادة مع أن العبارة لا تعنى ذلك تماما .

ويقول الاصحاح بعد ذلك ان سمعان نزل الى غزة وحاصرها
فطلب اهلها الأمان فرق لهم واستولى على المدينة وطهرها من
الأصنام وأسكن فيها رجالا من المتسكين بالشرعية وبني لنفسه
فيها منزلا .

وكانت قلعة مدينة داود ما تزال مستعصية فحاصرها حتى
اشتدت فيها المجاعة فطلب الذين فيها الأمان فأمنهم واستلم القلعة
وطهرها من النجاسات ودخلها باحتفال عظيم وجعل يوم دخولها
عيدا سنويا لأنها كانت عشرة عظمة لاسرائيل .

- ١٤ -

ويذكر الاصحاح الرابع عشر أن ديستريوس سار بجيوشه
الى مادي يستنجد بها على تريزون ولكن ملك مادي ضرب جيشه
وأسره وسجنه فهدأت أرض يهوذا كل ايام سمعان . وكانت أمته
مبتهجة بسلطانه ومجده حيث تفيد العبارة انه اعتبر ذلك فكاكاً
نهائيا من سيادة السلوقيين .

ثم ذكر الاصحاح ان سمعان جعل يافا مرسى وفتح منها مجازا
لجزائر البحر واستحوذ على البلاد واستولى على جازر وبيت
صور وأخرج منها النجاسات وقرر السلم في الارض وجلس كل

واحد تحت كرمته وتينته ولم يكن من يذعرهم أو يحاربهم وانكسر
الملوك . وجاءه ألواح نحاسية من روما واسبارطة يعزونه فيها
بيوناتان ويجددون عهد الموالاة والمناصرة . وأرسل رسلا الى
روما يحملون لوحا نحاسيا نقش عليه جوابا بالشكر والموافقة
وأرسل مع الرسل ترسا عظيما من الذهب وزنه الف من

ثم ذكر الاصحاح ان سمعان نقش سيرته وسيرة أبيه واخوته
وجهادهم في سبيل أمتهم على ألواح نحاسية وعلقها على أنصاب
في جبل صهيون وارضها في السنة المائة والثانية والسبعين (١٤٠
ق . م) وهي السنة الثالثة من عهده ومما جاء في النقش عن علاقة
سمعان بالملك ديستريوس : « وأقره الملك ديستريوس في الكهنوت
الاعظم وجعله من أصدقائه وعظمه جدا » حيث تفيد العبارة
ان الدولة السلوقية ما زالت تعتبر صاحبة السيادة العليا على
الدولة المكاية . كذلك مما جاء في النقش على ما ذكره الاصحاح
« ان اليهود وكهنتهم حسن لديهم ان يكون سمعان رئيسا وكاهنا
أعظم مدى الدهر ويتولى أمر الاقداس ويقيم أناسا على الاعمال
والبلاد والاسلحة والحصون . ويطيعه الجميع ويكتب باسمه
جميع الصكوك . ويلبس الأرجوان بالذهب . ولا يخالفه أحد
ولا يجمع مجمع بدونه ولا يلبس الأرجوان وعروة الذهب غيره .
ومن يخالف فهو مجرم . وقبل سمعان ورضى أن يكون كاهنا أعظم
وقائدا ورئيسا لامة اليهود وحاكما على الجميع . ورسموا ان

يدون ذلك على الواح من نحاس توضع في موضع مشهود من رواق الاقداس وتوضع صورها في الخزانه حيث ينطوى في هذا اعلان مبايعه اليهود لسمعان وقبول سمعان للبيعة .

على انه في الاصحاحات التالية ما يفيد انه كان هناك مخامرون كثيرون ضد سمعان وراسته وحركته كما كان قبل ذلك مما مرت أمثلة كثيرة عليه .

- ١٥ -

وفي الاصحاح الخامس عشر ان انطيوخوس بن ديمتريوس كتب من جزائر البحر الى سمعان رسالة ذكر فيها اعتزامه على استرداد ملك آبيه . وقراره سلفا لكل ما فعله الملوك ابه وما قرروه له من اعفاءات واذن له بضرب سكة خاصة لبلاده ووافق على حرية اورشليم واعفائها من كل ضريبة ووعد به بالاعزاز والاکرام حينما يكتب له الفوز . ثم ذكر الاصحاح ان انطيوخوس وفد على البلاد فاجتسعت عليه الجيوش وخذلت ترينون ففسر واستتب الامر لانطيوخوس وان هذا قلب لسمعان ظهر المجن وتقص ما عاهده عليه ورفض ما أرسله اليه من هدايا فضية وذهبية وطلب منه التخلي عن يافا وجازر وقلعة مدينة داود ، وخسراج

البلاد التي يتسلط عليها والتعويض عما خرب منها ألف قنطار فضة ، حيث يظهر أن الملك السلوقي رأى بعد أن استتب له الأمر أن يفرض سيادته الفعلية على اليهودية .

ومما ذكره الأصحاح أن سمعان قال لرسول الملك أننا لسم نأخذ أرضا لغريب ولكنه ميراث آبائنا ثم عرض أن يؤدي مائة قنطار عن يافا وجازر . ولكن الرسول الذي اندهش مما رآه من مجد سمعان وثرائه وآتيته الفضية والذهبية واثاثه الوافر عاد إلى ملكه فقص عليه ما رأى وأثار حسده وحققسده فأمره بالزحف على اليهودية . وجاء إلى واذى قدرون وارسل فرقة إلى يسينا وأخذوا يغيرون على اليهودية ويوغلون فيها قتلا وسبيا

ويستمر السياق في الأصحاح السادس عشر فيقول أن يوحنا بن سمعان الذي كان متوليا أمر جازر جاء وأخبر أباه بما يقع على البلاد . وكان هذا الأب قد كبر وشاخ فأمر ابنه يوحنا ويهوذا أن يقوموا مقامه في قيادة الحرب فامثلا وخرجوا لمقاتلة الحملة . واشتبكوا معها في معارك حامية وحالفهم النصر فانكسرت الحملة مع تفوقها في العدد والعدة ، وقد قتلوا منها عددا عظيما وتعقبوا فلولها حتى أسدود وملاؤوا أيديهم من الغنائم ثم عادوا إلى أرض يهوذا .

على أن هذا النصر لم يلبث أن تعكر بحادث غدر وحسبنا

اسرائيلي فان صهرا لسمعان اسمه بطليمائوس وكان يتولى اريحا
 طمع بالسلطان ويبت الغدر لسمعان وبنيه ، وقد دعاهم الى اريحا
 واقام لهم وليمة وقتلهم مع ثلثة من اخصائهم ثم كتب الى الملك
 بطلب منه تسير جيش لاحتلال البلاد وارسل رجالا الى جازو
 لاهلاك يوحنا الذي لم يكن بين الهالكين في الوليمة وانفذ كتبا
 الى رؤساء الالوف ليأتوا اليه حتى يوزع عليهم العطايا مسن
 الذهب والفضة على ما ذكره الاصحاح السادس عشر . وجاء من
 اخبر يوحنا في جازو بالكارثة ويحذره . فلما جاء الرجال الذين
 ارسلهم بطليمائوس قتلهم .

وينطوى في الحادث نكسة وخيانة فظيعتين مما تكررت صورته
 في الحركة المكابية وقبلها ومما مرده شئنة الاسرائيليين واثابتهم

وينتهي الاصحاح السادس عشر الذي هو الاصحاح الاخير
 من سفر المكابين الاول بقوله . وبقيته اخبار يوحنا وحروبهم
 وما أبداه من الحماسة وبنائه الاسوار التي بناها واعماله مكتوبة
 في كتاب ايام كهنوته الاعظم منذ تقلد الكهنوت الاعظم بعد ابيه ،
 حيث يفيد هذا ان يوحنا تولى بعد اخيه زعامة الحركة المكابية
 ومنصب الكهانة العظمى وكان له فيهما نشاط عظيم . وليس في
 السفر الثاني شيء من سيرة يوحنا .

والسفر الثاني خمسة عشر اصحاحا في تسع وثلاثين صفحة وقد تقدم وصف اسلوبه وما يدل عليه ، وتنبه فقط الى أن ما احتواه هو حكاية احداث متنوعة من تاريخ السلوقيين والاسرائيليين قبل قيام الحركة المكابية مع أسباب ومقدمات هذه الحركة وحكاية احداث متنوعة من هذا التاريخ في عهد يهوذا الذي هو على رأى هذا السفر الزعيم الاول لهذه الحركة خلافا لما يفيد السفر الاول من حيث تقريره ان متتيا آباء كان هو الاول ولقد احتوى اصحاحه الاول نص رسالة موجهة من يهود اورشليم واليهودية الى يهود مصر مؤرخة في السنة ١٨٨ - أي ١٣٤ ق م - بواسطة أرسطوبولوس مؤدب الملك بطليموس ومن ذرية الكهنة وفيها دعاء ليهود مصر بالبركة والهداية ، وتذكير لهم بكتاب كانوا أرسلوه اليهم في سنة ١٦٩ - ١٤٣ ق م - في ظروف الشدة التي نزلت فيهم في عهد ديمتريوس وشكر الله على خلاصهم من المحن والاضطار : ثم يقول كاتبها الرسالة ان الحوادث التي وقعت ليهودا المكابي واخوته وتطهير الهيكل وتدشين المذبح والحروب التي وقعت مع أنطيوخوس الشقي وأبنة أوباطور والآيات التي ظهرت في السماء في حق المتحمسين لدين اليهود وتسلطهم على البلاد بجملتها وطردهم جماهير الاعاجم

واستردادهم الهيكل وتحريرهم المدينة واحيائهم للشرائع قصد شرحها ياسون القيروانى فى خمسة كتب واختصرناها نحن فى درج واحد ليكون فى ذلك السهولة والفائدة للجميع . وينتهى الاصحاح بقوله : وما هنا نشرع فى ايراد الحوادث . ثم يشرع الاصحاح الثالث وما بعده فى سرد الحوادث التى لخصت مسن كتب ياسون القيروانى ، حيث يفيد هذا ان بعض كتساب بنى اسرائيل كانوا يسجلون احداثهم بعد السبى وفى عهد السلوقيين والحركة المكابية كما كان يفعل كتابهم من قبل ، وأن الحوادث المسرودة فى الاصحاح الثالث وما بعده مستقاة من ذلك . وشئ من هذا أشير اليه فى آخر اصحاحات السفر السابق على ما مسر .
 يانه .

- ١٧ -

ويبدأ الاصحاح الثالث بسرد الحوادث بقصة وشاية مسن اسرائيلى للسلوقيين ضد أونيا الكاهن الاعظم وتحريره على مصادرة أموال مخزونة فى خزانة الهيكل ويمهد لذلك بمقدمة فيقول انه حين كانت المدينة المقدسة عامرة والشرائع محفوظة بسبب ما كان عليه أونيا الكاهن الاعظم من الورع وبغض الشر

كان الملوك يعظمون المقدس - الهيكل - ثم ان رجالا اسمه سمعان من سبط بنيامين كان مقلدا الوكالة على الهيكل وقعت بينه وبين أونيا خصومة فانطلق الى أبلونيوس قائد السلوقيين وأخبره ان خزانة اورشليم مشحونة من الاموال بما لا يستطيع وصفه واحصاؤه وحرضه على مصادرتها للملك . وفاوض القائد الملك فاختار قيم المصالح هيلودروس وأمره بجلب هذه الاموال . فجاء هذا الى اورشليم وفاتح أونيا في الامر فأخبره هذا ان المال هو ودائع للارامل واليتامى وان قسما منه لاحد عظماء الاشراف وأنه زهيد ليس كما وصف كثرة حيث لا يزيد عن أربعين قنطارا من الفضة ومائتى قنطار من الذهب وحذره من مد اليد اليه ولكن الرسول أصر وذهب الى المعبد ومعه قوة لتنفيذ عزيمته . فألم بالكاهن الاكبر والكهان والشعب رجالا ونساء حزن شديد فأخذوا يستغيثون ويبتهلون للرب فلم يلبثوا أن ظهرت معجزة أفزعت الوكيل أشد الفزع وجعلته يعدل ويخضع ويتوب .

ويستمر السياق في الاصحاح الرابع فيقول وكان سمعان المذكور يقذف أونيا وبلغ من وقاحته انه وصف المحسن الى المدينة والغيور على الشريعة بأنه صاحب دسيسة . فاشتدت العداوة حتى أن أحد خواص سمعان شرع في القتل فخشى أونيا من تفاقم الشر لما يعرفه من صلة بين سمعان والقائد فذهب الى الملك طالبا عنايته لصرف الشر عن أمته .

ثم يحكى الاصحاح قصة مكيدة أخرى هدفها منافسة أونيا على منصبه جاء فيها انه بعد وفاة سلوقوس (الثانى) وجلوس أنطوخوس الملقب بالشير (الثالث) على العرش طمع ياسون اخو أونيا فى الكهنوت الاعظم فوفد على الملك ووعدته بثلاثمائة وستين قنطارا فضة وبثمانين قنطارا من دخل آخر وبمائة وخمسين قنطارا غيرها ان عينه لهذا المنصب ورخص له بإقامة مدرسة للترويض وموضع للعلمان واكتتاب أهل اورشليم فى الرعوية الانطاكية . فأجابه الملك الى ذلك فما لبث أن أخذ يصرف شعبه الى عادات الامم (تقاليدهم وعقائدهم) وألغى الاختصاصات التى انعم بها الملك على اليهود وأبطل رسوم الشريعة وأدخل سنننا تخالف الشريعة وأقام مدرسة للترويض تحت القلعة وساق اليها نخبة من العلمان فتمكن بذلك الميل الى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الاجانب بشدة فجور ياسون الذى هو كافر لا كاهن أعظم (هذه عبارة الاصحاح) حتى ان الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل وأهملوا الذبائح لينالوا حظا فى جوائز الملعب المحرمة وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان ، حيث ينطوى فى الحادث صورة لما أخذ بنو اسرائيل يرتكسون فيه من انحرافات دينية وقومية وخلقيسة ، شبابهم وكهانهم معا ..

ثم يحكى الاصحاح قصة مكيدة جديدة ضد ياسون قام بها

أحد رجاله فيقول : ان ياسون وجه منلاوس أخا سمعان الى الملك
لتقديم المال ومفاوضته في أمور مهمة فتزلف الى الملك حتى جعله
يحول الكهنوت الاعظم عن ياسون اليه بأن زاد ثلاثمائة قنطار
فضة على ما أعطى ياسون . ثم رجع ومعه أوامر الملك بالكهنوت
الاعظم مع انه لم يكن على شيء مما يليق بالمنصب وكانت لسه
أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار (العبارة عبارة الاصحاح)
واستولى منلاوس على الرأسة وفر ياسون الى بنى عموز وقد
ختل أخاه فختله آخر . . ولم يستطع منلاوس الوفاء بالمال الذى
وعده ، فلم يتورع عن سرقة آنية من الذهب من الهيكل وأهدى
بعضها الى وكيل الملك وباع بعضها . وعلم منلاوس أن أوئيسا
الحبر الاعظم السابق يتكلم ضده على سرقته فأغرى وكيل الملك
بالقبض عليه وقتله ففعل ، مما أثار المقت عند اليهود لقتل الرجل
بغيا وجعلهم يرفعون الشكوى لأنطيوخوس ضد وكيله . ويقول
الاصحاح ان أنطيوخوس تأسف ورق وبكى واضطرم غضبا على
وكيله ونزع عنه الارجوان وأمر بالطواف به فى المدينة وقتله فى
المكان الذى قتل فيه أونيا .

ثم سرد الاصحاح حادثا آخر لمنلاوس ووكيل له فيه صورة
عجيبة لما كان عليه هؤلاء الرؤساء من انحراف خلق ودين وسوء
استغلال حيث ذكر أن وكىلا لمنلاوس اسمه ليسماكوس سلب
باغراء من منلاوس كثيرا من مال الاقداس فذاع الخبر وتجمهر

الناس على ليسماكوس فسلح ثلاثة آلاف رجل وأعطى أيسدى
الظلم في المتجهرين غير أن هؤلاء كثروا وتمكنوا من التغلب على
رجال ليسماكوس وهزيمتهم ثم قتلوا سالب الأقداس .. ورفع
الشيوخ الدعوى ضد منلاوس ، فرشا هذا خصيصا من أخصاء
الملك فبراه الملك وقضى بالموت على خصومه واستقر منلاوس في
الرئاسة بشره ذوى الاحكام وكان لا يزداد الا خبثا ولاهل وطنه
كمينا مهلكا .

ويستمر الاصحاح الخامس في حكاية أحداث التاريخ التي
بدئت بالاصحاح الثالث فيقول . ان انطيوخوس تجهز في ذلك
الزمن لغزو مصر ثانية وظهرت في سماء اورشليم أشباح حربية
فأرجف الناس بموت الملك فاتخذ ياسون جيشا وهاجم المدينة
وطلق يذبح أهل وطنه بغير رحمة وهرب منلاوس الى القلعة ،
وبلغت الأحداث للملك فاتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف من
مصر وقد تنمر وأمر الجنود بقتل كل من صادفوه دون رحمة
وذبح المختبئين في اليهود فأهلكوا ثمانين ألفا في ثلاثة أيام دون
تفريق بين رجل وامرأة وشيخ وطفل وسبى عدد مماثل . ثم دخل
الملك قدس الاقداس وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن
حسب تعبير الاصحاح ، وأخذ الآنية المقدسة مع ما أهده الملوك
الأجانب للهيكل وقد بلغ وزن ما حمله من الهيكل ألفا وثمانمائة
قنطار . ثم انصرف الى أنطاكية وترك عمالا يراغمون الأمة .

ثم حملة المقت لليهود على ارسال أبلونيوس في اثنين وعشرين ألف جندي وأمره بذبح كل بالغ منهم وبيع النساء والصبيان . فلما وفد الى اورشليم تربص الى يوم السبت حتى اذا دخل اليهود في عطلتهم أمر أصحابه بذبح جميع الخارجين للتفرج ثم اقتحم المدينة وأهلك خلقا كثيرا . وانهى الاصحاح بقوله : « ان يهوذا المكابى كان قد انصرف الى البرية مع عشرة من أصحابه فلبثوا في الجبال يعيشون عيشة الوحوش ويأكلون العشب لئلا يشتركوا في النجاسة » .

ويستمر الاصحاح السادس في الحكاية فيقول وبعد ذلك ارسل الملك شيخا أثينيا - يونانيا - ليرغم اليهود على الارتداد عن شريعة آبائهم وليدنس هيكل اورشليم ويجعله على اسم زوس الاولمبى (معبود اليونانيين) ويجعل هيكل جرزيه على هذا الاسم كذلك فاشتد انفجار الشر وعظم على الجماهير وامتأذ الهيكل صهرا وقصوفا وأخذ الأمم - غير اليهود يفسقون بالمأبوسين . ويضاجعون النساء في الدور المقدسة ويدخلون اليها ما لا يحل . وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها . ولم يكن لأحد ان يعيد السبت ولا يحفظ أعياد الآباء ولا يعترف بأنه يهودى أصلا . وكانوا يوم مولد الملك من كل شهر يساقون قسرا للتضحية وفي عيد ديونيسيوس يرغمون على الطواف اجلالا له وعليهم أكاليل اللباب . وصدر أمر الى المدن اليونانية المجاورة

ياغراء البطالسة أن يلزموا اليهود بمثل ذلك • وبأن يقتل من يأبى
فذاق اليهود أمر البلاء • وقد ختنت امرأتان اولادهما فسعى بهما
تعلق أطفالهما على ثدييهما وطيف بهما في المدينة ثم ألقاهما من
على السور ولجأ قوم الى مغاور لاقامة السبت سرا فوشى بهم
الى فيلبس عامل الملك في اورشليم فأحرقهم بالنار • وكان رجلاً
يسمى العازار (١) من متقدمي الكتبة طاعن في السن رائع المنظر
فأكرهوه بفتح فمه على أكل لحم الخنزير فاختر ان يسوت مجيذا
على أن يحيا ذميما وانقاد الى العذاب طائعا وقذف لحم الخنزير
من فيه • وخلا الموكلون بأمر الضحايا السكفرية به وأخذوا
يحشونه بالتظاهر بالاكل ولكنه أصر على الرفض قائلاً انه لا يليق
بسنة الرباء لثلا يظن الشبان أن العازار وهو ابن تسعين سنة
قد انحاز الى مذهب الاجانب فيضلوا بسببي وحينئذ أطلق الى
عذاب التوتير والضرب حتى زهقت روحه •

ويستمر الاصحاح السابع في الحكاية فيقول • وقبض على
سبعة اخوة مع امهم (٢) فأخذ الملك يكرهم على تناول لحوم

(١) قال يوسفوس من العازار هذا وهو يورد قصته بما يماثل ما ورد في سفر المكابيين انه وليس وقد علماء ترجحة التوراة الى مصر ، وأن أخذه كان بوشاية قوم من الاشرار (ص ٥٤) •

(٢) قال يوسفوس وهو يورد قصة الاخوة السبعة وامهم بما يماثل ما ورد في السفر ان اخذهم كان بوشاية أيضا في نعتهم بانهم ابناء اشبونية (ص ٥٧) • ومن الجدير بالتنبيه في هذه المناسبة ان الاصحاح الثالث جعل وشايات الاشرار مسخ الاسرائيليين ومكائدهم أساس البلاء الذي وقع على اليهود في هذه الحقبة على ما
يرى بانه •

الخنزير المحرمة ويعذبهم بالمقارع والسياط • وقال له أحدهم اتنا
 نختار الموت على مخالفة شرائع آبائنا فأمر الملك الحائق بقطع
 لسانه وسلخ جلد رأسه وجذع أطرافه على مرأى من اخوته وأمه •
 ثم أمر به فألقى في النار وبه بعض الرمق • وفيما كان يحترق في
 النار كان الاخوة والام يحض بعضهم بعضا على الشجاعة والثبات
 وتوالى التعذيب على الاخوة وازهاق ارواحهم واحدا اثر واحدا
 وهم يبتهلون الى الله ويعلنون اصرارهم على الثبات على شريعة
 الآباء ويتوعدون الملك بنقمة الله وكانت الام تعرض كلاً منهم
 بدوره وتشجعهم وتبث فيهم روح الثبات والايمان • ولما بلغ
 الدور الى السابع الاصغر طلب الملك من الام ان تنصحه بالاذعان
 واعدا بأنه سوف يسعده ويتخذة خليلاً ويقلده المناصب فما كان
 منها الا أن وجهت اليه نصيحة الثبات وعدم الخوف بلهجة أقوى
 مما سبق فأخذ الغلام يوجه التأنيب والوعيد الرباني الى الملك
 حتى حنق وأزهق روحه • ثم أزهق روح أمه • وينتهي الاصحاح
 بقوله « وبما أوردناه عن الضحايا والتعذيبات المبرحة كفاية •
 إكأنما أورد الكاتب ما أورده على سبيل المثال ، حيث ينطوى في
 هذا فداحة البلاء الذي تعرض له الاسرائيليون الذين أرادوا
 التمسك بتقاليدهم مما كانت وشايات بعضهم ببعض ونزوع كثير
 منهم الى الانحراف والاقبال على نبذ تلك التقاليد مسيياً له • »

- ١٨ -

وفي الاصحاح الثامن وما بعده قصة خروج يهوذا المكابى وحركته . وقد بدأ بجملة « وكان يهوذا المكابى ومن معه يتسللون الى القرى ويندبون ذوى قرابتهم وغيرهم ممن ثبت على دين اليهود الى الانضمام اليهم حتى بلغوا ستة آلاف » . ويلحظ أن هذا السفر جعل رأس الحركة يهوذا وليس أباه سنيا كما ذكر الاول . وفي أثناء الكلام ذكر اخاه يوناتان كقائد من قواده مع أن السفر الاول ذكر أنه تولى الزعامة بعد أبيه . .

وفي التطويل نقل جميع ما في الاصحاحات من سيرة الثورة المكابية ونكتفى بالتلخيص فنقول :

ان الاصحاح الثامن ذكر استيلاء يهوذا وجماعته على الاماكن التى تساعد على الحركة وأخذ يقوم بغارات ليلية فذاع خبره وأرسل وكيل الملك فى اورشليم يطلب النجدة فجاءته نجدة بقيادة نكاثور . وقد استولى الخوف على اليهود ولكن يهوذا ثبت مع اخوته وجماعته الذين كانوا ستة آلاف فلما جاء الجيش السلوقي اشتبكوا معه وتمكنوا من قتل وجرح عدد كبير منه وهزيمة الباقين واستولوا على اسلحتهم واسلابهم وأثقالهم التى كانت مقادير عظيمة واقتسموها بينهم .

والاصحاح التاسع قص قصة زحف انطيوخوس الملك على

أورشليم حينما بلغه ما حل بجيش نكتاتور ، وكان في رحلة الى بلاد فارس عاد منها مفهورا فاستشاط غضبا واعتزم الزحف على اليهودية وتدميرها ، وبينما هو في طريق زحفه سقط من عجلته فترضضت جميع أعضاء جسده وسقم حتى صارت الديدان تتبع من لحمه وصار الجيش يتكره تن رائحته مما جعله يتنازل عن كبريائه ويتضرع الى الرب ويرسل رسالة الى اليهود يعلنهم السلام والامان والمودة وازماعة العودة ويناشدهم ذكر ما اولاهم من النعم والبقاء على الولاء له ولايته من بعده . ولم يلبث بعد ذلك أن مات في طريق عودته . وقد اعتبر الاصحاح ذلك معجزة ربانية والاصحاح العاشر ذكر ما فعل المكابي بعد ذلك حيث قالوا انهم استردوا الهيكل والمدينة وهدموا المذبح والمعابد الاجنبية وظهروا الهيكل وصنعوا مذبحا جديدا وذبحوا وصلوا ثم حل عيد المظان فعيدوا ثمانية أيام بالفرح وشكروا الرب واتخذوا يوم تطهير الهيكل عيدا سنويا .

ثم ذكر الاصحاح احداثا عديدة . فذكر ان أوباطور جلس مكان أبيه - وهو أنطيوخوس الخامس - وان وكيل السلوقيين في أورشليم جنح الى انصاف اليهود فاتهم بالخيانة حتى قتل نفسه وان خلفه ناصب اليهود حربا متواصلة . ثم ذكر ان الأدميين - وهذا تعبير يطلقه السفر ويوسيفوس على دولسة الأنباط العربية التي كانت صاحبة السلطان في هذه الحقبة على

شرق الاردن - كانوا يزعمون اليهود ويتجهزون لحربهم •
 فهاجمهم المكابى واشتبك معهم فى سلسلة معارك فى عقر دورهم
 وانتصر عليهم وقتل منهم عددا كبيرا واستولى على حصونهم فى
 سياق يبرز فيه الخيال والمبالغة • ومن العجيب ان يستطيع
 المكابيون ان يفعلوا ذلك وأن يشنوا الحروب والهجوم على عدو
 بعيد بينما كان التنكيل واقع على اليهود فى اورشليم من قبل
 وكيل الملك السلوقى الجديد على ما تفيده عبارة « مفاجآته
 اليهود حربا متواصلة » • وكان المعقول ان يسارعوا الى ضرب
 السلوقيين وانقاذ قومهم من بلائهم ••

وفى الاصحاح الحادى عشر أن لىسياس المقلد تدير الامور
 فى الدولة السلوقية والذى هو من قرابة الملك زحف على رأس
 حملة عظيمة على اليهود بقصد جعل اورشليم مسكنا لليونانيين
 والهيكل كسائر معابد الامم وبيع الكهنوت الاعظم للشارين سنة
 فسنة ، وكان معه ثمانون فيلا وعدد كبير من الفرسان • ولما بلغ
 بيت صور وهى موضع منيع على نحو خمس غلوات من اورشليم
 وأخذ يشدد الحصار عليها أخذ المكابى - يهوذا - سلاحه
 وحرص الآخرين على الاقتحام معه وحملوا على الاعداء حملة
 شديدة فصرعوا احد عشر ألفا منهم وألجأوا سائرهم الى الفرار
 وكان أكثر الناجين عراة • وقد أدرك لىسياس ان العبرانيين قوم
 لا يقهرون - وهذه عبارة الاصحاح - فراسلهم ووعد بالتسليم

بكل ما هو حق وباستسالة الملك الى موالاتهم في سياق يبرز فيه المبالغة • فرضى المكابى وطلب تسجيل ذلك كتابة • وقد أورد الأصحاح نص رسالة من ليسياس الى يهوذا وأخرى من الملك الى ليسياس وثالثة من الملك الى مشيخة اليهود وسائر اليهود • وفي الاولى وعد بالخير وفي الثانية أمر من الملك بأن يرد الهيكل الى اليهود وأن يساسوا بمقتضى عادات آبائهم لانه بلغه أنهم غير راضين بما أمر أبوه من التحول الى سسنن اليونان ومطالبين بالسماح لهم بالتمسك بمذهبهم ، وفي الثالثة تأمين لمن يريد النزول من الجبال — حيث كان الثوار يقيمون — والاقامة مع قومهم وإباحة لليهود بممارسة شرائعهم وأطعمتهم كما كانوا قبل وعفوا عن هفا منهم سابقا ، مما يفيد أن السلوقيين جنحوا الى التهدة وأن المكابيين قبلوا وأن السيادة الفعلية للسلوقيين عادت فتوطدت ورسالة الملك الى اليهود مؤرخة في سنة ١٤٨ أى سنة ١٦٤ ق م وقد جاء في الأصحاح أن رسولين من روما كانا قادمين الى أنطاكية أرسلوا الى الشعب اليهودى رسالة جاء فيها ان ما رخص لهم فيه ليسياس نسيب الملك فهما موافقان عليه • وان عليهم أن يبادروا الى ارسال ما يريدون رفعه الى الملك اليهما ليكونا على بصيرة بما يبتغون • ولقد نشب بين الرومانيسين وانطيوخوس الثالث حرب انتصر الاولون فيها على السلوقيين وصار لهم عليهم شبه سيادة او كلمة نافذة في الثلث الاول من القرن الثانى قبل

الميلاد (١) . فمن المحتمل ان يكون المكابيون كتبوا لروما ، بناء على ما كان بين روما واليهود من سابقة العهد والمواالات التي ذكرها السفر الاول واوردنا قصتها سابقا ، يشكون السلوقيين وستعدونهم عليهم ويستأمرونهم في موقفهم فكانت هذه الرسالة بجوابا لهم .

وقد جاء في الاصحاح الثاني عشر ان اليهود انصرفوا بعد ابرام الموائيق الى حرث اراضيهم . غير ان القواد السلوقيين وحاكم قبرص لم يدعوهم في راحة وسكينة ثم ذكر بعد ذلك خبر نكبة اوقعها اهل يافا في اليهود المقيمين فيها ، حيث دعوهم رجالا وساء واولادا الى نزهة بحرية في القوارب ثم اغرقوهم في البحر وكان عددهم مائتين . ثم خبر اعتزام صنع اهل بسيا - وهي ميناء اخرى قريبة من يافا - باليهود الذين بين ظهرانيتهم مثل ذلك ، مما ينطوى فيه شدة الاحقاد التي كانت متأصلة بين اليهود واهل البلاد من الامم الاخرى . وقد ذكر الاصحاح ان يهودا لما بلغه ذلك هاجم يافا واضرم النار في المرفأ ليلا واحرق القوارب وقتل من وجده عندها . وكانت المدينة مغلقة فانصرف عنها مؤقتا الى يمنا حيث فعل في مرفئها وقواربها ما فعله في مرفأ يافا . وذكر الاصحاح بعد ذلك حركات وجولات خريبة عديدة ليهودا في سياق يبرز عليه الغلو والخيال . منها انه زحف من يمنا على

تيموتاوس - أحد القواد الذين ذكر الاصحاح انهم لم يدعوا
 اليهود في راحة والذي يظهر أن أهل يافا فعلوا ما فعلوه في اليهود
 بتحريض منه - فتصدى له قوم من العرب البدو فاقتتلوا وكسروهم
 يهوذا فطلبوا منه الصلح فأجابهم : ومنها أن يهوذا أغار بعد
 ذلك على مدينة حصينة ممنة بالجسور والاسوار اسمها كسقيس
 فاستقبله أهلها بالشتائم والاستهزاء فابتهل الله أن يفتحها لهم كما
 فتح أريحا لأبائهم ثم وثبوا على السور وفتحوا المدينة وقتلوا من
 خلقها ما لا يحصى حتى أن البحيرة التي هناك وعرضها غلوتان
 امتلأت وطفحت بالدماء . ومنها أن يهوذا وصحبه ساروا بعد
 ذلك مسيرة سبعمائة وخمسين غلوة حتى إلى الكرك إلى اليهود
 الذين يعرفون بالطويين ، وكانوا يقصدون تيموتاوس فلم
 يجدوه ولكنهم وجدوا حامية له فخرج عليها اثنان من قواد
 يهوذا وأهلكا من الحامية ما ينيف على عشرة الاف ، ثم قسم
 المكابى جيشه فرقا وحمل على تيموتاوس وكان مع هذا مائة
 وعشرون ألف راجل وألفان وخمسمائة فارس . وعلم تيموتاوس
 يقدمهم فوجه النساء والاولاد والاثقال إلى مكان حصين محاط
 بالضلائق يسمى قرنيهم ونهياً للقاء الزاحفين . ولكن لما بدت أول فرقة
 من المكابيين داخل جيشه الرعب والرعدة فبادروا إلى الفرار من
 كل وجه وشد يهوذا في آثارهم حتى أهلك منهم ثلاثين ألفا .
 ووقع تيموتاوس نفسه في الأسر فتضرع اليهم واعطاهم العهود

والمواثيق ووعدهم برد من عنده من أسراهم فقبلوا منه وأطلقوه
 إبقاء على اخوتهم وأبنائهم عنده • ثم أغار يهوذا على قرنين وهيكلي
 وقتل خمسة وعشرين الفا ثم زحف على عفرون احسدي المدن
 الحصينة وكان يسكنها ليسياس وأمم شتى وكان على أسوارها
 شبان ذوو بأس ومعهم المجانيق والسهام فدعا يهوذا الرب ثم
 هاجم المدينة فأخذها وصرع من الذين فيها خمسة وعشرين الفا
 ثم ارتحلوا وهجموا على مدينة بيت شان وهي على ستمائة غلوة
 من اورشليم • غير ان اليهود الذين فيها شهدوا بحسن معاملته
 أهل المدينة لهم في وقت الضيق فشكرهم ووصاهم بالدوام على
 المصافاة • ثم جاء الى اورشليم فعيد فيها عيد الخمسين ثم أغار
 على جرجياس قائد ارض أدوم واشتبك معه بالقتال وجرت معارك
 عديدة بين الفريقين وهتف يهوذا للرب ثم صرخ وحمل على
 جرجياس وجيشه فكسرهم •

وفي الاصحاح الثالث عشر قصة زحف الملك أنطيوخوس
 أوباطور على اليهودية في سياق يبرز عليه كذلك المبالغة والخيال ،
 فقد زحف هذا الملك بجيش من اليونانيين عدته (١١٠.٠٠٠) راجل
 و (٣٥٠٠) فارس و (٣٠٠) عجلة ذات مناجل واثنين وعشرين فيلا •
 وقد جاء اليه منلاوس - اليهودي الذي كان يتولى الكهنوت
 الاعظم - فأخذ يعرضه ويزيد في حقه ولكن ليسياس وكيل
 الملك أخبره ان هذا الرجل كان سبب النوازل جميعها فأمر

الملك بقتله فالقى من برج عال فكان في ذلك حتفه . ثم استمر في زحفه ، فأخذ يهوذا يستعد للقاءه ويتشاور مع رجاله في صدد ذلك ويأمر بالابتغال للرب ليلا ونهارا . ثم اختار نخبة من الشبان وهجم بهم ليلا على مخيم الملك فقتل أربعة آلاف وأهلك أول الفيلة وانتشر الرعب والاضطراب في المعسكر . ولما ذاق الملك ما عند اليهود من البطش عمد الى أخذ المعاقل بالحيلة فحاصر بيت صور فارتد عنها خاسرا فعرض الملك على أهلها الصلح فعدوه وانصرف . وفي هذه الاثناء بلغه تمرد احد قواده في أنطاكية فتوسل الى اليهود ودان لهم وحالفهم على اعطائهم حقوقهم كلها وقدم ذبيحة للهيكل وصافي المكابي ونصبه قائدا وحاكما على البلاد من بطليمائس - عكا - الى حدود الجرانين ثم ناد الى انطاكية .

وفي الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر سياق طويل عن استيلاء ديمتريوس على عرش السلوقيين وما جرى لليهود والمكابيين في عهده ، حيث ذكر خبر خروجه من البحر الى طرابلس الشام وتمكنه من الاستيلاء على البلاد وقتله لانطيوخوس ووكيله ليسياس وجلوسه على العرش . ثم ذكر أن الكيمس الذي كان تقلد الكهنوت الاعظم وانتقاد الى النجاسة - حسب تعبير الاصحاح - اتى الى ديمتريوس سنة ١٥١ يونانية - اي ١٦١ ق م - وأهداه اكليلا من ذهب وذخائر من الهيكل وقال له

حينما سألته عن اليهود ونياتهم أن الحسيديين من اليهود الذين
عليهم يهوذا المكابي - ويظهر أن الكلمة تعني الثائرين أو
المتمردين - لا يزالون في الحروب والفتن ولا يدعون للملكة
راحة وانهم سلبوه كرامة آيائه أي الكهنوت الأعظم فجاء اليه
ساعيا في خدمته ومصلحة قومه لأن سفه أولئك الناس قد أنزل
بالامة البلاء الشديد . وان يهوذا ما دام باقيا فلن تكون الاحوال
في دعة . فغضب واستدعى نكاتور واقامه قائدا على اليهودية
وأمره بقتل يهوذا وتبديد اصحابه واقامة الكيمس كاهنا اعظم .
ولما وصل الى اليهودية أخذت الامم التي فيها يفرون منها
وينضمون اليه افواجا وهم يعدون نكبات اليهود ورزاياهم حظا
لهم . وينطوي في السياق صورة لشدة الحقد الذي يحمله غير
الاسرائيليين للاسرائيليين في أرض فلسطين واليهودية نفسها
كما ينطوي فيه صورة من صور الكيد والدسائس بين الاسرائيليين
انفسهم ضد بعضهم ، مما تكرر حتى صار دأبهم وشنشتهم .
وبلغ اليهود قدوم نكاتور وانضمام الامم اليه فحثوا التراب على
رؤوسهم وطلقوا يدعون الرب ويستغيثون به . وأمرهم القائد
فبادروا الى المسير تحت رايته وكان سمعان أخو يهوذا قد نازل
نكاتور فجاءته نجدة على حين غفلة فأدركه بعض الفشسل -
والكلام قد يفيد ان الفشل ادرك سمعان - ولكن نكاتور لما
سمع بما أبداه أصحاب يهوذا من البأس والبسالة أرسل رسلا

لعرض الصلح عليه فقبل العرض ، مما هو عجيب يبرز فيه الخيال .
ثم يقول الاصحاح ان نكاتور أقام في اورشليم لا يأتي منكسرا
وكان كثير التردد الى يهوذا وحبا اليه بقلبه وحشه على الزواج
فتزوج ولبث في راحة ، حيث يفيد هذا ان السلام قد خيم على
اليهودية وعادت سيادة السلوقيين فتوطدت عليها .

• قد ذكر الاصحاح بعد هذا ان الكيسس رأى ما بين الرجلين
من صفاء فأتى ديمتريوس ووشا بنكاتور وقال له انه عين يهوذا
الثائر على الملك كاهنا أعظم فغضب وأرسل نكاتور يطلب منه
ارسال يهوذا مكبلا ، فوقع في حيرة ولكنه لم ير بدا من تنفيذ
أمر الملك . وشعر يهوذا بتغير نكاتور فتعيب عنه فانطلق هسدا
الى الهيكل وطلب من الكهنة تسليم يهوذا فأقسموا له انهم لا
يعلسون مكانه فشد يده الى الهيكل واقسم ليهدمنه وليشيدن
مكانه هيكلا لديونيسوس - معبود اليونان - وانصرف . وكان
في اورشليم شيخ يهودى مشهور بغيرته ومحبه لقومه حتى سسى
بابى اليهود اسمه زاريس فوشى به الى نكاتور فرأى ان يجعله
أول ضحايا التنكيل فأرسل أكثر من خمسمائة جندى للقبض
عليه فأحاطوا بالدار التى هو فيها وأخذوا فى حرق الابسواب
وأوشكوا أن يقبضوا عليه ففضل أن يسوت كريبا فألقى بنفسه
من البرج فسقط بين الجنود مجروحا مضرجا بدمه ولم يلبث ان
لفظ روحه . .

وعلم نكاتور أن يهوذا في نواحي السامرة مع جماعته فعزم على مفاجأته يوم السبت معتدا بقوته متكبرا غير عابئ بتحذير اليهود الذين كانوا معه • ولكن يهوذا قابل الموقف بابتهاال الى الرب وبث في جماعته القوة والايمان وقص عليهم في سياق لا يخلو من خيال رؤيا رآها واستبشر منها بالنصر ثم واقع العدو فصرع خمسة وثلاثين الفا وكان نكاتور نفسه من جيلة الصرعى • ثم قطع رأس نكاتور ويده وحملهما الى اورشليم حيث علتها على أسوارها وقد استقبله اليهود بالاناشيد والدعوات وقرروا جعل يوم النصر عيدا سنويا • وعادت المدينة بذلك الى حوزة العبرانيين وانتهى الاصحاح ثم السفر عند ذلك •

- ١٩ -

ونأتى الان الى تاريخ يوسيفوس الذى شغلت الحركة والدولة المكابية اربعة اخماس كتابه حتى كأنه كتب فيها • وفيه كثير من المبالغة والخيال والتناقض ولكن فيه أيضا حقائق تاريخية كثيرة متطابقة مع مدونات اليونانيين والرومانين على ما يستفاد من الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس (١) • ويستفاد من فحواه انه كتب في أواخر القرن الاول أو في أوائل القرن

(١) انظر مثلاً ص ١٨٧ وما بعدها .

الثاني بعد الميلاد • وهو متطابق ، مع شيء من الخلاف والزيادة والنقص والتقديم والتأخير والتغيير في الاسماء ، مع سفرى المكابيين في كثير من الاحداث التى ذكرت فيهما قبل قيام الحركة المكابية من وشايات ومكائد بنى اسرائيل ضد بعضهم ومن محاولة السلوقيين تحويلهم عن شرائعهم الى الشرائع اليونانية واستجابة كثير منهم الى ذلك واضطهاد الذين تمسكوا بالشرائع الموسوية مما أدى الى انفجار الثورة • وهو متطابق مع السفر الاول دون السفر الثانى ، خاصة فى ذكر كون الخارج الاول الذى قاد الحركة هو متنيا وفى تولى ابنائه يهوذا ويوناتان وسمعان الذى يسميه شمعون قيادة هذه الحركة بعده بالتوالى •

ولهذا لا نرى ضرورة الى ايراد ما ذكره من ذلك ولا سيما ان ما فيه من خلاف وزيادة ونقص ليس كبيرا جوهريا وان ما ورد فى السفرين أوسع وأوفى ، ونرى الاكتفاء باقتباس ما أورده من سيرة الذين تولوا قيادة الحركة بعد سماعيل مما لم يذكره فى السفرين فنقول (١) :

ان يوحنا بن شمعون الذى تولى بعد أبيه والذى سماه ابوه هركانوس — وهو اسم جبار كان يوحنا قتله فى حياة أبيه على ما ذكره يوسيفوس — لما علم بما فعله بطلماوس ، الذى يسميه يوسيفوس تلماي ، من الغدر بأبيه وقتله واعتقال أمه واخوته

في أريحا خاف فهرب الى غزة فلاحقه اليها فجماه أهلها وقاتلوا
 تلماي وصدوه وبعد قليل عاد هركانوس الى اورشليم وانتظم
 أمره . فسار الى تلماي وحاصره فهدده هذا بقتل أمه واخوته
 الذين كانوا أسرى عنده فانصرف عنه . ولكن تلماي نفذ عزيمته
 فقتلهم بعد انصرافه .

وكان ديمتريوس بن سلفانوس المسمى بأنتيوخوس يحقده
 على سمعون لقتله قواده وهزيمته لجيشه فلما بلغه موته زحف
 على اورشليم بعسكر عظيم وضرب عليها الحصار وحل عيد المظال
 فطلب هركانوس منه وقف القتال أثناء العيد فأجابه ثم اهدى الى
 المعبد ثورا حسنا غشيت قرونه بالذهب مع أوان كثيرة ذهبية
 وفضية مملوءة بالطيب وهدايا متنسوعة أخرى فاكسب قلوب
 اليهود وسأله هركانوس الصلح فأجابه ودخل المدينة فاستقبل
 استقبالا حافلا وحمل هركانوس اليه ثلاثمائة بدرية من الذهب
 وانعقد الصلح بينهما ، حيث يفيد هذا أن سيادة السلوقيين عادت
 فتوطدت ثانية في نطاق جزية معينة .

ويتابع يوسيفوس كلامه فيقول : ان ديمتريوس انصرف بعد
 ذلك الى محاربة الفرس ومضى معه هركانوس على رأس جيشه
 - وفي هذا دليل آخر على سيادة السلوقيين - فلقبهم عسكر
 العجم فهزمهم ديمتريوس وهركانوس وقتلوا أكثرهم . وسار
 ديمتريوس لمقاتلة جيش ملك العجم الرئيسي وتخلف عنه هركانوس

واشتبك ديستريوس مع ملك العجم فدارت عليه الدائرة وهلك هو وأكثر عسكره. وبلغ هركانوس الخبر فعاد الى الشام ونزل في طريقه على مدينة حلب ففتحها وأخذ من أهلها الخراج ثم عاد الى اورشليم وغزا السامرة ففتح نابلس - والاسم من يوسفوس حيث يدل على أن الرومانيين الذين احتلوا فلسطين كانوا قد جددوا شكيم وسوها باسم نابلس وحيث يدل على أن يوسفوس كتب كتابه بعد ذلك - وأخرب الهيكل الذي بناه سنبلاط السامري في جبل جرزيم وقتل كهنته • ثم مضى الى أدوم - والتعبير يعنى بلاد الانباط أو دولة الانباط العربية لأنها هي التي كانت صاحبة السلطان في القرن الاول والثاني بعد الميلاد. على شرق الاردن ومنها بلاد أدوم - ففتح بعض حصونها ، وطلب أهلها الامان فنحى لهم على خراج يحملونه اليه وألزمهم بالختان والشرائع التوراتية فقبلوا بذلك والتزموه الى ان خربت القدس وتمزقت الامة (والتعبير ليوسفوس) •

وما عرف عن حالة ملكة الانباط في القرنين الاول والثاني قبل الميلاد يثير الشك في صحة قول يوسفوس سواء من ناحية انبساط سيادة هركانوس عليها أم تهود أهلها مما لم يذكره أى كاتب قديم حيث عرف عنها القوة وانبساط السلطان الى وادي القرى جنوبا وحدود العراق شرقا وشبه جزيرة سيناء غربا على ما

جاء في تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان (١) ومثله الدكتور جواد على (٢) بالاستناد الى النقوش والمدونات اليونانية والرومانية القديمة •

والراجح أن للخيال نصيبا كبيرا في ما تدوول من ذكريات عن عهد هركانوس وأن هذا الكلام الذي دون بعد ذلك العهد ببضعة قرون (في القرن الثاني بعد الميلاد) هو من هذا الباب •

وقد قال يوسيفوس بعد هذا ان هركانوس غزا جميع الامم الذين يجاورون اليهود فقهرهم وأطاعوه جميعهم • وهذا القول غامض للخيال نصيب غير يسير فيه أيضا • ونرجح أن قصارى ما يمكن أن يكون هو انبساط سيطرة هركانوس على الامم غير اليهودية في فلسطين التي كانت في الشمال والجنوب • وفي بعض فصول يوسيفوس ما يؤيد هذا حيث ذكر خبر عصيان عكا تارة وغزة تارة أخرى على المكابيين بعد هركانوس على ما سبق ذكره بعد •

وعاد يوسيفوس الى ذكر خبر حرب هركانوس مع السمرة فقال انه حاصر سبسطية - وهذه مدينة أقامها او جددتها الرومان مكان مدينة السامرة عاصمة دولة اسرائيل - حصارا شديدا حتى اضطر ساكنيها الى أكل الجيف • وانهم ظلوا مع ذلك

(١) ص ٦٨ وما بعدها •

(٢) ج ٢ ص ١٧ وما بعدها •

صامدين واستنجدوا بالمكدونيين والمصريين وان أنطيوخوس
المكدوني سار الى نجدتهم فخفف الجيش المكابي الى لقائه بقيادة
ولدى هركانوس وحارباه وهزماه وان لثيرا بن كليوباترة أتى من
مصر أيضا لنصرتهم فسار هركانوس على رأس جيشه للقائه وقاتله
قتالا شديدا وقتل خلقا عظيما من جيشه وهزمه ثم عاد الى
سبسطية وتسكن من فتحها وقتل من بقى من أهلها ودمرها •
والخيال والغلو ملوحيان على القصة •

وقد ذكر يوسفوس ان ما روى عن هركانوس فتحه كنزا
من الكنوز كانت في اورشليم من زمن أولاد داود وأخذه منه
ثلاثمائة بكرة ومالا جزيلا وتركه فيه مثله ورده الى ما كان عليه
من الخفاء وانه بنى السور الذى هدمه ديستريوس وأحكمه •
كذلك ما ذكره يوسفوس ان هركانوس أرسل رسلا الى روما
لتجديد العهد فاستقبله بحفاوة وأجيب الى الطلب • وقد أورد
نص رسالة وجهها مجلس الشيوخ الرومانى الى هركانوس بلقب
ملك اليهود • وفي الرسالة ما يثير الشك لانه جاء فيها ان المجلس
أمر برد جميع المدن التى كان فتحها أنطيوخوس الى اليهود ، فى
حين أن روما لم تكن قد غزت الشرق وبسطت سلطانها عليه بعد •
ولم تكن لها سيادة نافذة على الدولة السلوقية فى الشام التى
كانت قائمة فى زمن هركانوس •

وقد قال يوسفوس فى سياق ذلك ان هركانوس لما استلم

الرسالة التي تسميه ملك اليهود أعلن نفسه كذلك وكان قبل
يسمى الكاهن الأكبر وكذلك الذين تقدموه من بيته فاجتمعت
له منزلتا الكهنوت والملك • وقوى سلطانه واستقام ملكه وامسأان
اليهود في أيامه وأمنوا في جميع مساكنهم •
وقد يفيد السياق أن هركانوس استمتع بسيادة تامة بعد ما
حل في ديستريوس وجيشه في بلاد العجم ما حل • أما رواية فتحه
حلب وأخذه خراجا منها في طريق عودته من بلاد العجم فإنه على
فرض صحته كان بشابة غزوة عابرة لم يكن لها صفة الامتداد
على ما هو المتبادر •

- ٢٠ -

ومع ذلك كله ففي عهد هركانوس ذر قرن الفتن في الدولة
المكابية واستمرت الى أن قضت عليها على ما يستفاد من
يوسيفوس (١) •

فقد كان اليهود على ما ذكره في ذلك الوقت ثلاث فرق
الواحدة تسمى الفريسيين والثانية الصدوقيين والثالثة الحسيديم •
والثالثة هي فرقة منقطعة للعبادة والثانية مميزة بالتمسك

(١) من ١٢ •

بالنصوص • والاولى تجنب الى الفلسفة والاعتزال (١) • وكان الصديقون يعادون الفريسيين عداوة شديدة وكان هر كانوس وآباؤه من الفريسيين ثم تحول الى الصدوقيين وأخذ يضطهد الفريسيين وذلك بسبب طلبه من هؤلاء النصيح والتسديد في مجلس من المجالس فقال له أحدهم اذا كنت تريد أن تكون ناجيا من الغلط فاخلع نفسك من الكهانة واكتف بالملك لانك لا تصلح لها لان أمك كانت مسبية قبل أن تحصل بك ولم يعترض أحد من الفريسيين على القائل مما أغضب هر كانوس ومرمر نفسه • وقد طلب منهم الحكم على القائل بالقتل فأبوا وقالوا انه لا يجب عليه غير جلد أربعين جلدة ، فحنق عليهم وتحول الى مذهب الصدوقيين ونادى في جميع المدن بان لا يتعلم أحد من الفريسيين وقتل كثيرا ممن خالفوا أوامره •

وكانت العامة بأسرها وبعض الخواص مع الفريسيين فعظمت الشرور منذ ذلك الوقت في اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا بعد ان كانوا متفقين على محبة هر كانوس ومن كان قبله من ولاية بني حشمناي — الاسم اسم الاسرة او العشيرة التي ينتسب اليها المكابيون على ما ذكره المؤلف — وتأصلت العداوة

(١) يستفاد من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر اعمال الرسل من اسفار العهد الجديد ان الصدوقيين يقولون بعدم قيام القيامة والفريسيين يقولون بذلك.

بينهم في زمن هركانوس وبعد وفاته ، وكرهه أكثرهم وأبغضوه
وأولاده من بعده (والعبرة ليوسيفوس) •

٢١

ولقد امتد حكم هركانوس ٣١ سنة وخلفه على الملك ابنه
أرسطوبولوس (١) • ويقول يوسيفوس أن أرسطوبولوس بعد
ما ملك أظهر التكبر والتجبر ولبس تاجا عظيما ترفعا واستصغارا
لتاج الكهنوت المقدس وقيد أخاه اسكندر وأمه لمحبتها لأخيه
ومال إلى أخيه الثالث أتييفونوس وقدمه على جميع أصحابه
واعتمد عليه في أموره وبعث به إلى محاربة الأمم الذين عصوه
— ويدل هذا على أن الأمم التي رضخت لهركانوس ما لبثت أن
أخذت تنمرد على سلطان المكابيين بعده — فقهرهم وردهم إلى
طاعته وعاد إلى القدس ظافرا غانما ، فوجد الملك قد تشكى واعتل
بعلة عظيمة في غيبته • ولكنه رأى أن يمضى أولا إلى بيت الله
ليشكره على ما رزقه من النصر ثم يمضى إلى أخيه • وكان ذلك
في عيد المظال وقد حضر اليهود إلى القدس • وكان عليه جوشن

(١) يلاحظ أن الاسم والصيغة يونانيتان • والمتبادر أن اليهود أخذوا يفعلون
ذلك نتيجة لانبساط السلطان اليوناني عليهم وعلى بلاد الشام ومصر معا منذ أواخر
القرن الرابع للميلاد •

مذهب حسن الصنعة ، وكان هو ذاته شابا بهيا رائع الجمال فلما
نظر اليه اليهود تعجبوا من بهجته وجماله • وقد سارع بعض
حساده الى الملك ووشوا به قائلين انه لم يأت اليك بل ذهب
لاستمالة الناس عليك لما علم بمرضك وانه سيأتى اليك مع اصحابه
شاكي السلاح بقصد اغتيالك ، فأثرت به الوشاية ووضع الحرس
في الطرق ووصاهم بقتل كل من يحاول الدخول الى قصره ومعه
سلاحه وارسل الى أخيه يطلب منه المجيء بدون سلاح • وكانت
امراته تكره اتيفونوس كرها شديدا فوصت الرسول الذي
أرسله الى أخيه بعكس الرسالة حيث يقول له ان أخاه يريد ان
يراه بزيه وهيئته وسلاحه عند دخوله القدس فلما جاء الى القصر
على ذلك هاجمه الحراس دون ان يعرفوا هويته وقتلوه • وعلم
الملك بالامر فحزن أشد حزن وبكى واشتدت علة ولم يلبث ان
قضى نحيبه • وحينئذ أخرج الجند أخاه اسكندر من سجنه فتولى
الملك واستقام له الامر •

وبلغ اسكندر أن أهل غزة وعكا اعلنوا العصيان فسار الى
عكا وحاصرها فبعث اهلها الى ابن كليوباترة الذي كان يقيم في
قبرص مغاضبا لأمه ملكة مصر ، يستنجدون به ويعدونه
بالخضوع • فجاء ومعه ثلاثون ألف رجل فعلم الاسكندر بمجيئه
فرحل عن عكا • ولما جاء لبطرا - ابن كليوباترة - الى عكا -
أرسل اليه صاحب صيدا يعرض التحالف ضد اسكندر • وعلم

هذا فأرسل اليه أموالا عظيمة وطلب منه الوقوف بجانبه ضد صاحب صيدا . فاستجاب اليه فاغتتم اسكندر الفرصة وغزا صيدا واستباحها وعاد الى اورشليم غانسا ظافرا .

ثم وجه الى كليوباترة سرا يقول لها ان ابنها الذي عصاها في بلاده ويقترح عليها ان تأتي سريعا بعسكرها على ان يسير هو أيضا بعسكره فيحيط به العسكران . وبلغ خبر المؤامرة لبطرا فعظم عليه الامر فسار الى الجليل وقتل من أهلها خلقا كثيرا . وسبى سبيا عظيما ثم توجه لمحاربة الاسكندر ونزل على الاردن وخرج اسكندر الى لقائه فدارت الدائرة عليه وقتل عددا عظيما من عسكره وفر باقيهم الى الجبال وعاد اسكندر الى اورشليم مكسورا بسبب اعتداده بقوته وعدم توكله على الله كما يقول يوسفوس ، وكان جيشه قويا وفيه ستة آلاف جبار حرب أبطال . وعلم لبطرا ان أمه خرجت اليه فركب البحر وعاد الى قبرص . ولم يذكر يوسفوس مجير عكا بعد انسحاب لبطرا منها . ويذكر مع ذلك أن اسكندر سار الى غزة في السنة نفسها ففتحها وقتل أهلها وأحرق هيكلها فيه صنم لهم وقتل كهنته .

وتجددت الحرب الاهلية بين اليهود في عهد اسكندر هذا حيث غضب على الفريسيين الذين شتم أحدهم اسكندر واسمه القبيح في أثناء عيد المظال فأمر اصحابه بقتلهم فقتلوا منهم ستة آلاف . وابتغى الصدوقيون الفرصة فقاموا على خصومهم واخذوا

يذبحونهم وامتد ذلك ست سنين وساعدهم الاسكندر فبلغ عدد قتلى الفريسيين خمسين ألفا . ومضى جماعة منهم الى الملك السلوقي أنتيوخوس ديستريوس وسألوه المساعدة على الاسكندر وبذلوا له مالا كثيرا فصار بعسكره اليه كثير من اليهود .

وخرج اسكندر الى لقائه فدارت بينهما معركة في نابلس دارت فيها الدائرة على اسكندر وقتل أكثر عسكره .

وهذا يعنى كما هو المتبادر أن الدولة المكاية كانت تعتبر رسميا تحت سيادة السلوقيين وإن كان من الممكن إذا صح السياق أن يكون هركانوس وارسطوبولوس واسكندر قد تمتعوا باستقلال ذاتى واسع عاد ضيقا بعد هذه الواقعة .

ولما رجع ديستريوس الى بلاده عادت الحروب بين الفريسيين واسكندر فقتل منهم مقتلة عظيمة فتواروا من أمامه فطاردهم وأخذ ثمانمائة من وجوههم وصلبهم واستولى بعد ذلك على جميع اليهود وقهرهم (والعبارة ليوسيفوس) وقد تعنى العبارة أنه غدا طاغية . ثم سار الى ديستريوس فى عسكر كبير وتسكن من الاستيلاء على كثير من بلاده وخرج هذا اليه فى عسكر كبير فظفر به اسكندر وقتله . وقد استغرقت رحلته ثلاث سنين عاد بعدها الى اورشليم ظافرا غانما فاستقبله اليهود بالاعظام لما ظهر لهم من بأسه وشجاعته وانتصاره على ديستريوس وجميع اعدائه

وقهره لكل من يقاومه فاستقام أمر مملكته واعتز سلطانه ، حسب
تعبير يوسيفوس •

ولقد اعتل بالحمى ثلاث سنين حتى أنهكتها واغتسم الفرصة
بعض البلاد فأعلنت تحررها فسار وهو عليل وحاصرها وفي أثناء
الحصار توفي بعد حكم امتد سبعا وعشرين سنة • وكانت زوجته
معه فأخفت خبر وفاته وشددت الحصار حتى فتحت المدينة
المحاصرة ثم عادت الى اورشليم فاستدعت وجوه الفريسيين
وتألفت قلوبهم ، وكان هذا حسب وصية زوجها وهو على فراش
الموت فاجابوها بالجميل وأظهروا الحزن وبايعوها بالملك خلفا
لزوجها فاستقام امرها بمساعدتهم •

وقد ردت الملكة تدير الدولة الى زعماء الفريسيين وأطلقت
من كان منهم في السجون ورجعت عن المذهب الصدوقي الى
مذهبهم وجعلت ابنا لها اسمه هركانوس كاهنا وابنا اخر اسمه
أرسطوبولوس قائدا للجيش ووجهت الى جميع الذين كانوا تحت
سلطان الدولة فأخذت منهم رهائن فدامت بذلك طاعتهم لها
وحملهم الخراج والهدايا سنويا واستقام ملكها وقوى أمرها •

وطلب الفريسيون منها أن تمسكنهم من أخذ ثأرهم من
الصدوقيين فأجابتهم الى ذلك فأخذوا يقتلون من قدروا عليه
فهرع زعماء الصدوقيين الى الملكة شاكين منددين بالغدر الذي
لحقوه مقابل ما كان منهم من تعضيد لزوجها وطلبوا منها أن تكفه

الفريسيين عنهم أو تسمع لهم بمقابلتهم لأنهم قادرون عليهم أو بالخروج من أورشليم والتفرق في الضياع البعيدة لئلا يقتلهم خصومهم كالغنم ويذلوهم • وأعانهم أرسطوبولوس في موقفهم فبكت لبكائهم وأذنت لهم بالخروج من أورشليم لأنها لا تأمن عليهم وظنت أن هذا أدعى لحسم الشر • وخرج الصدوقيون وخرج معهم وجوه العسكر وأبطالهم وجبايرتهم وتفرقوا في الضياع • فأوهن هذا الدولة وأغرى الاقوام الخاضعة بالعصيان وكان سببا لمنازعات وحروب عديدة مديدة بين ولديها هركانوس وارسطوبولوس •

وماتت بعد حكم امتد تسع سنين • وكان ابنها أرسطوبولوس حينما رآها مشرفة على الموت ذهب الى الضياع التي يقيم فيها الصدوقيون وأخبرهم بمرض أمه واستنهضهم لنصرته ومساعدته على التملك فضمنوا له ذلك واتصل الخبر بأمه فأمرت بسجن امرأته وابنتيه • ولكنها لم تلبث أن ماتت ، فانشطروا اليهود شطرين الفريسيين مع هركانوس والصدوقيين مع أرسطوبولوس وخرج الاخوان كل على رأس انصاره للقتال وتصفية الامر بينهما وتحاربا على نهر الاردن فانهزم هركانوس الى أورشليم وأغلق أسوارها فتبعه أرسطوبولوس وضرب عليه الحصار وأخذ يعمل لهدم الحصن • وخرج الكهنة وشيوخ اليهود اليه وطلبوا منه

الكف عن القتال والمصالحة مع أخيه على أن يكون هو الملك
وأخوه الكاهن واستقر الأمر على ذلك وتحالفا عليه •

- ٢٢ -

واستقامت الأمور رديحا من الزمن ثم فسد ما بين الأخوين
فتجددت الفتن والحروب • ويقول يوسيفوس أن سبب ذلك
دسائس رجل اسمه أنتيپراس كان واليا قبيل هركانوس على
أدوم (١) فاقام فيها سنين عديدة وتزوج من أهلها وأنجب أولادا
وضار صاحب مال وضياع ومواشي ، وإن الملكة اسكندرة عزلته
فجاء وأقام في أورشليم • واختلف في أصله فقيل أنه يهودى وقيل
أنه عسقلانى فلسطينى وثنى الأصل ثم تهود كما قيل أنه أدومى •
وكلمة أدومى ترادف في هذا الظرف الذى تقع فيه الأحداث كلمة
نبطى عربى ، لأن بلاد أدوم كان يقوم فيها في هذا الظرف - في
القرن الاول قبل الميلاد أو قبله - دولة الأنباط العربية وكانت

(١) ليس من المقول أن يكون أنتيپراس واليا على أدوم • لأنه كان يقوم في
بلاد أدوم ومعظم شرق الأردن دولة الأنباط العربية منذ القرن السادس قبل الميلاد •
وكل ما يمكن أن يكون محتملا أن أنتيپراس كان يتولى الأنعام القريبة من شرق
الأردن الملاصقة لغرب الأردن والتي كان فيها جاليات اسراييلية وكانت تمتد من
نوابع اليهودية •

العروبة الصريحة أخذت تتوطد في أنحاء شرق الأردن (١) : وكان
 ذا مكر ودهاء وحيلة كما يقول يوسفوس فانعقدت المودة بينه
 وبين هركانوس حتى لم يكن يفارقه مما أثار رغبة أرسطوبولوس
 وجعله يترصده . وشعر هو بذلك فساوره الخوف فأخذ يتآمر
 على أرسطوبولوس بدوره . ويذكر ظلمه وتقلبه على أخيه الأكبر
 هركانوس ويدعو الى نسليك هذا بدلا منه . واستطاع ان يكون
 حزبا مناصرا كبيرا من وجوه الدولة وكبرائها ثم قال لهركانوس
 ان أخاه يريد قتله لانه يعلم ان الملك من حقه ولا يشق ببقاء الملك
 في يده الا بموته وما زال يلح عليه حتى جعله يخرج من اورشليم
 ويلجأ الى هريمة ملك الاعراب . وكان أنتييطراس قد ذهب سرا
 الى هريمة وقص عليه قصة النزاع بين الاخوين وأخذ منه عهدا
 بالحماية والتأييد . وقد خرج أنتييطراس وهركانوس مسعا الى
 هريمة فلتقاها بالاكرام . ثم أخذ أنتييطراس يحرك هذا على
 أرسطوبولوس ومساعدة هركانوس ويلح عليه حتى قبل على
 شرط رد جميع ما كان استولى عليه أبوه من البلاد التي كانت
 تابعة له ، وسار بعسكر كبير ، وخرج أرسطوبولوس الى لقاءه ،
 غير أن أكثر جيشه انحاز واستأمن لهركانوس فعاد أرسطوبولوس
 فارا الى اورشليم وتحصن فيها . وزحف هركانوس وهريمة

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٦٨ وما بعدها وتاريخ العرب
 قبل الاسلام لجواد علي ج ٢ ص ١٧ وما بعدها .

وحاصرا المدينة وطال الحصار واتصلت الحروب وعظمت الفتن
ببلاد اليهود وجنح كثير من طلاب السلامة منهم الى النزوح الى
مصر •

ومما ذكره يوسيفوس أن عيد الفطر قد حل في هذه الاثناء
فخاطب الكهنة في اورشليم اليهود الذين مع هركانوس وطلبوا
منهم أن يعطوهم ما يلزمهم من الذبائح للعيد فوافقوا على أن
يؤدوا ثمن كل رأس الف دينار فوافقوا وأرسلوا المال فأخذه
وغدروا ونكثوا أيمانهم ولم يعطوهم شيئا ، مما فيه صورة من
صور الجشع والغدر الاسرائيلي ضد بعضهم • كذلك مما ذكره
أن بعض جماعة هركانوس سألوا رجلا صالحا من اليهود صادفوه
خارج المدينة أن يدعو على أرسطوبولوس فأبى ودعا باصلاح
حالة اليهود جميعا فوثبوا عليه فقتلوه !

ولقد اتفق في ذلك الزمن أن القائد الروماني بومبيوس كان
يزحف على المشرق وقد استولى على سورية فأرسل أرسطوبولوس
رسلا الى نائبه في دمشق يستعين به على أخيه وهريمة فأرسل
هريمة يأمره بالانصراف عن القدس ويتوعدده اذا خالف الامر
فأذعن وعاد معه هركانوس وأتبطراس •

ونقول استطرادا ان هريمة هذا هو على الأرجح الحارث ملك
الانباط لان زمنه يصادف زمن بومبيوس حوالي عام ٦٤ ق.م
وهو أعظم ملوك الانباط سعة سلطان وعلو شأن وقوة حيلة •

وقد تمكن من الاحتفاظ باستقلاله حين زحف بومبيوس ودافعه بالحسنى • وهزيمة على الاغلب محرفة عن هريثة بالنسخ وهريثة هى أعجمية حارثة او الحارث كما هو المتبادر (١) •

ولقد أرسل أرسطو بولوس ثانية الى بومبيوس الذى كان وصل الى دمشق رسلا معهم هدايا جليلة وخمسمائة بدره من الذهب وسأله المساعدة على أخيه ، ووجهه هركانوس بدوره أتييتراس الى بومبيوس وسأله مساعدته على أخيه • واستطاع هذا بسعة حيلته وذلاقة لسانه أن يستولى على لب بومبيوس فاستدعى الاخوين اليه فتقاضيا امامه وادعى هركانوس انه أحق بالملك لانه الاكبر وادعى ارسطوبولوس انه ملك بوصية من أبيه وأمه وأرجأ القائد الرومانى البت الى أن يزور اورشليم ويدرس الموقف فيها • وأرسل أتييترس الى جميع المدن التى كان قهرها أرسطوبولوس والتى تقع فى طريق بومبيوس يحرضها على الشكوى ضد أرسطوبولوس والتظلم من جبروته ففعلوا فأمر بومبيوس أرسطوبولوس برد جميع ما أخذ منهم وكف يده عنهم فأذعن ، ولما دخل اورشليم طلب أرسطوبولوس منه التأييد وعدم تشميت أعدائه فطلب منه حمل كل ما فى المعبد من أموال وكنوزا وذخائر ليحمله الى هيكل المشتري فى روما فأذعن • ولكن الكهنة

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٦٨ وما بعدها • والعرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ١٧ وما بعدها •

عارضوا وقتلوا الوكلاء الذين أرسلهم بومبيوس لاختذ الكنوز
 فغضب هذا وقبض على أرسطوبولوس وقيده ثم ركب للهجوم
 على المدينة فأغلقت الابواب في وجهه غير أن الفتنة لم تلبث أن
 نشبت بين أنصار الاخين فسارع انصار هركانوس الى فتح
 الابواب فدخل بومبيوس وأوقع في أهلها وكهنتها واستولى على
 ما في المعبد ونصب هركانوس ملكا وأشرك معه أنتيپتراس وجعل
 معهما قائدا على رأس حامية رومانية وفرض على اليهود خراجا
 سنويا وحمل معه أرسطوبولوس مع ابنه أسرى وأزال يد اليهود
 عن الامم التي كانت تحت طاعتهم ورد بلدانهم لهم وهي المدن
 والرساتيق والضيع والكور والاعمال من أوطية الجبال ، كان
 المكايون قد استولوا عليها أيام قوتهم ، وعاد الى روما ، والعبارة
 تدل على أن ما كان تحت يد المكايين وسلطانهم انما كان من أرض
 فلسطين وغرب الاردن وحسب . وهكذا شغدت الدولة المكايية
 خاضعة لسيادة روما واحتلالها العسكري مكفوفة اليد عن غير
 اليهود من الاقوام الاخرى في أرض فلسطين بعد أن كانت خاضعة
 لسيادة السلوقيين حيث نسب الرومان دولة هؤلاء سنة ٦٤ ق م
 وحلوا محلهم .

ولما عاد بومبيوس الى روما مضى هركانوس وأنتيپتراس
 وشكاروس قائد الحامية الرومانية الى العرب ليدعوهم الى طاعة
 الرومان . وكان لأرسطوبولوس ابن ثالث اسمه اسكندر استطاع

أن يختفى ويفلت من يد بومبيوس فاختتم الفرصة وجاء الى
 اورشليم من مخبئه فتلقاه أهلها بالأكرام وملكوه عليهم . فلمسا
 عاد هركانوس ومن معه خرج اليهم وحاربهم وهزمهم بعد ان
 قتل منهم مقتلة عظيمة . غير انه لم يهنأ بما نال حيث كان قائد
 روماني جاء على رأس فرقة الى سورية في هذا الوقت فعلم بما
 فعله اسكندر فزحف على اورشليم وانضم اليه هركانوس ومن
 معه وتسكنوا من التغلب على قوة اسكندر فانهمزم الى حصن
 يسمى اسكندرونة فلحق به القائد الروماني وحاصره فاضطر الى
 الخروج اليه مستأمنا . وفي هذه الاثناء تمكن أرسطوبولوس
 أبوه من الفرار من روما ومعه أحد أولاده أتيفونوس وجاء الى
 اليهودية فاجتمع عليه خلق كثير غير أن القائد الروماني حاربه
 وتغلب عليه وقتل أكثر رجاله وأسره وأرسله ثانية الى رومة .
 وفي هذه الأثناء برز قيصر وتغلب على رومة فأطلق سراح
 أرسطوبولوس وأحسن اليه وضم اليه قائدين في اثني عشر الفا
 وأمره أن يعود الى اليهودية ليكون نصيرا له على بومبيوس الذي
 نشب بينه وبينه نزاع تنافسي . وعلم بومبيوس بالامر فكتب
 الى أنتييطراس ليكفيه أمر أرسطوبولوس فاستدعى قوما مسن
 وجوه اورشليم وأرسلهم اليه ومعهم سم قاتل وأمرهم بالاحتياط
 عليه وسمه . وقد تمكنوا من ذلك ، فظل مستتباً لهركانوس
 وأنتييطراس .

وخرج قائد روماني اسمه كرسوس من روما قاصدا بلاد
العجم على رأس حملة كبيرة فعرج على اورشليم وطلب من الكهنة
اعطاءه ما في المعبد من الاموال وحاول الكاهن الاكبر العازار
صرفه عن ذلك فأبى فعرض عليه الكاهن ان يعطيه ثلاثمائة بدرة
من الذهب على ان لا يمد يده على شيء مما للهيكل فوافسق
وحينئذ أخرج الكاهن الذهب من محل سري في المعبد وأداه له .
ولكن القائد غدر بعهدده وأخذ جميع ما في الخزائن وكان يقدر
بنحو ألفي بدرة مع ما في الهيكل من أدوات وأوان .

ومن العجيب أن الرومان فعلوا هذا والحكم مستتب
لهركانوس في اليهودية حيث يدل هذا اذا صح على مقدار
استهتارهم به وعلى عجزه عن صدهم عما ابتغوه . وقد ذكر
يوسيفوس بعد هذا أن قائدا آخر جاء بحملة لمحاربة العجم الذين
انتصروا على حملة كرسوس واستولوا نتيجة لذلك على بلاد
الشام وعرج بعد انتصاره عليهم على اورشليم فوجد اليهود
يحاربون هركانوس وأتتبطراس فنصرهما وثبت ولايتهما حيث
يدل هذا على أن اليهود اغتتموا فرصة انكسار حملة كرسوس
وانتصار العجم فثاروا على هركانوس حقا عليه وعلى الرومان
أولياؤه . .

ويحكى يوسيفوس بعد هذا ما كان من نزاع بين قيصر
ويومبيوس وانتصار قيصر عليه وقتله وزحفه على بلاد الشرق

لتوطيد سلطانه عليها . وسعى هركانوس وأنتييطراس للتزلف
اليه بمساعدة ملك السريان متردات الذي سيره قيصر الى محاربة
قواد بومبيوس وما كان من بلاء أنتييطراس في هذه الحرب .
واستدعاء قيصر لهذا بعد أن علم ببلائه من متردات وترحيبه به ،
وشاية أنتيفونوس بن أرسطوبولوس لقيصر به وبعمه هركانوس
وذكره ما كان من ولائهما لبومبيوس ، وجواب أنتييطراس على
سؤال قيصر في ذلك قائلاً انه كان محباً لبومبيوس لانه كان
صاحب جيش الروم وعظيمهم وانه مع ذلك حارب قواده خدمة
له وكشف عن جروحه فأعجب قيصر احتجاجه وكلامه وأثنى عليه
وقال له انه ثبت لديه اخلاصه له وحرصه على طاعته وانه من اجل
ذلك يقدمه على جميع اصحابه ويعقد له الرئاسة على جيوشه .
ثم أخذه معه لمحاربة العجم فأظهر من شدة البأس والشجاعة
والمناصحة ما زاد في ميل قيصر اليه ومحبته له وما زاد به حكم
هركانوس وأنتييطراس على اليهودية توطدا ورسوخا .

ولقد جنح أنتييطراس الى استغلال ما كان له من منزلة في
نفس قيصر وما رآه من ضعف عزيمة هركانوس ووهنه واستسلامه

له فاستولى هو وأولاده على الدولة فجعل أحدهم فيلسو ناظرا
على أورشليم وثانيهم هيرودوس واليا على الجليل ولم يسبق
لهركانوس الا الاسم . وفي هذه الاثناء برز في فلسطين جبار اسمه
حزقيال جمع حوله جماعة من أمثاله وأخذوا يعيشون فسادا في
أنحاء سورية والجليل فتصدى له هيرودوس وكبسه وقتله فبعث
والى سورية اليه بمال عظيم قوى به أمره . وعز على اليهود قتل
حزقيال ، فأخذوا يحرضون هركانوس على أنتييطرا وأولاده
ويخوفونه منهم ويشكون له ما فعله هيرودوس وما زالوا به حتى
جعلوه يستدعيه الى أورشليم للمحاكمة بحضرة مجلس السبعين .
وجاء هيرودوس الى المجلس وعليه اللباس الموشى وقد أصلح
شعره وصفف طرته وتقلد حسامه ومعه أصحابه على هذه الحال
فانبثت هيئته في قلوب الاعضاء وفي قلب هركانوس . ولكن
الحقد عليه كان باديا . واستشعر هو ذلك فانصرف من أورشليم
الى والى الشام فقابله بالاكرام . وكتب هركانوس الى قيصر
يسأله تجديد العهد بينه وبين الروم فأكرم الرسل وقضى حوائجهم
وقد أورد يوسيفوس نص كتاب قال ان قيصر أرسله
الى وكلائه في صيدا وصور يثنى فيه على هركانوس ومحبتة
ومحبة قومه للروم ويشيد بشجاعته وبلاء فارس اليهود وجبارهم
أنتييطراس ويأمر بتقديم خراج صيدا السنوى الى معبد أورشليم
عشرين ألف مد من الحنطة ورد اللاذقية وسائر أعمالها وكل

ما كان بيد اليهود الى شط الفرات مع ما كان المكاييون بنسبو
 حشمناي فتحوه من جانب الفرات الآخر الى هركانوس لانه لما
 أخذه اباؤه بحد السيف • واتهى نص الكتاب بالقول • وهى
 من الآن لهركانوس ولمن بعده من الملوك • وهذا العهد عنى
 وعن كل ملك يسلك على الروم بعدى • وعلى من خالفه ونقضه
 وغير شيئا منه اللعنات وعلى أولاده وبلاده • واذا قرأتم كتابى
 هذا فانسخوه فى ألواح نحاسية بلسان الروم واليونان وعلقوها
 فى هيكل الهنا العظيم ديوس — أى المشتري — فى صيدا وصور
 ليراها كل واحد فيعلم ما جعلت لهركانوس واليهود من الموائيق
 والعهود •

والنص ولاسيما خاتمته تثير الشك فى صحته ولاسيما انه
 اختص وكيله فى صيدا به مع أن الوالى الاكبر فى دمشق لا فى
 صيدا ولا فى صور • هذا الى أنه لم يرد أى شىء فى تاريخ
 يوسفوس ولا فى أسفار المكايين عن فتح هؤلاء اللاذقية وأعمالها
 ولا لضفتى الفرات وكل ما ذكر أن هركانوس الاول فتح حلب فى
 طريق عودته من بلاد العجم وأخذ منها خراجا ولم يعد يذكر أى
 شىء عن أى نشاط وثقوذ وسلطان وتبعة وخراج كان لليهود فى
 حلب أو فى أى مكان غير غرب الاردن ولفترة ما فى شرق الاردن •
 والراجح أن الخيال وذكرى ما كان فى عهد هركانوس قد

لعبا دورهما في الروايات فوصلت الى يوسيفوس مشوبة بهذا الغلو الكبير .

ومما ذكره يوسيفوس ان هركانوس أرسل رسلا مع هدايا عظيمة الى أوغسطس (٢٩ ق م - ١٤ ب م) حينما آل اليه سلطان روما بعد قتله كيساوس .

وطلب تجديد العهد والامر باطلاق سبي اليهود فلبى طلبه وكتب له جوابا أورد يوسيفوس نصه . وقد سرد فيه ما جرى بينه وبين كيساوس وظفره به وبأعوانه ثم قال « فليعظم سرورك ايها الملك هركانوس وجميع الكهنة في هيكل الله وسائر اليهود بذلك واقبلوا الهدية التي أرسلناها الى الهيكل وادعو ببقاء الملك أوغسطس وسلامته وقد كتبنا الى سائر عمالنا بان لا يبقى سبي من اليهود الا ويطلق ويسمح لهم بالرجوع الى أرض آبائهم » وان أوغسطس كتب لعماله في صور وصيدا بان يردوا ما أخذوه من بلد اليهود في أيام كيساوس وأن يسالوهم ولا يعارضوهم في شيء من أمورهم . . . حيث تدل العبارة على أن ولادة صور وصيدا لم يلبثوا ان تقضوا أمر قيصر ومدوا أيديهم الى أنحاء كثيرة من أرض فلسطين التي أعيدت بأمر قيصر الى حوزة اليهود . .

كذلك مما ذكره يوسيفوس أن أنتيفونوس بن أرسطوبولوس مضى مع جماعة الى ملك العجم ووعدته بألف بسدرية وثمانمائة

(٨٠٠) جارية من بنات أكابر اليهود ورؤسائهم اذا هو ساعده على أخذ الملك من عمه وقتل هيرودوس وأخيه •
وقد كان ذكر أن هركانوس الاول فتح بعض حصون أدوم ثم ذكر استعانة هركانوس الثانى بملك أدوم الذى هو ملك الانباط ومساعدته له على شرط التخلي عن كل ما كان فى يده من أنحاء شرق الاردن • • ولهذا نميل الى القول ان هذه الروايات من الذكريات الخيالية عن عهد هركانوس الذى كان بينه وبين يوسيفوس أكثر من قرن ونصف • •

هذا ، ويظهر أن أنتيپطراس وبنيه أصحاب الكلمة والشأن فى الدولة المكائية حيث ذكر يوسيفوس أنه حينما قتل قيصر وتغلب كيساوس على الدولة وجاء الى آسيا جاء الى بلاد يهوذا - يعنى اورشليم - وطلب سبعين بدرة فجمعها أنتيپطراس وبنوه من بلدان اليهود وحملوها اليه فأخذها ومضى •

ومهما يكن من أمر فالسياق يدل على ان كتاب قيصر المزعوم لم يغير من حالة خضوع الدولة المكائية لسيادة روما كما هو المتبادر •

وقد ذكر يوسيفوس بعد هذا أن رؤساء اليهود تأمروا على قتل أنتيپطراس وتمكنوا من دس السم له • وكان زعيم المؤامرة قائدا اسمه ملكيا فمضى هيرودوس الى كيساوس وشكا له ما

جری فوعده بتمكينه من قتل قاتل أبيه حينما بصل الى صور •
ولما وصل اليها دعا هركانوس وملكيا وبقية خواص الدولة الى
صور وهناك تمكن هيرودوس من قتل ملكيا • وان ملك الفرس
أجاب أنتيفونوس الى طلبه وسار معه في عسكر كبير الى أرض
سورية ففتحها وقتل من كان فيها من ولاية الروم ووجه قائدا من
قواده على رأس حملة كبيرة الى اورشليم ومعه أنتيفونوس وأمره
بتحقيق طلب أنتيفونوس بأسلوب مناسب ، وان القائد تظاهر بأنه
لم يأت الا ليدخل بيت الله ويصلى فيه فلما دخله غدر وامتد في
القتل والنهب فبادر هيرودوس وأخوه الى المقاومة فأدرك ملك
الفرس صعوبة المهمة وأرسل الى هيرودوس وأخيه وهركانوس
يعتذر ويتلطف ويعرض عليهم الصداقة والمودة حتى استمالهم ثم
أمر قائده بالانسحاب واستصحب فيلو وهركانوس بحيلة ما •
ولما وصل بهما الى الشام أظهر الملك لهما الغدر فقتل فيلو نفسه
وقطع أنتيفونوس أذن عمه حتى لا يصلح للكهانة ثم أخذ الملك
معه أسيرا الى بلاده ووجه حملة كبيرة بقيادة احد قواده ومعه
أنتيفونوس لتمليكه • وبلغ هيرودوس غدر ملك الفرس فأخذ
امه وزوجته وأمها وباقي أسرته الى جبال الشراة ووضعهم في مقام
أمين ثم سار الى مصر ومنها الى روما حيث أخبر أوغسطس
بما جرى •

والصورة المألوفة من مكائد الاسرائيليين ودسائسهم وشدة

حقدهم ضد بعضهم بادية في هذا السياق . هذا مع التنبيه على أنه ليس من المعقول أن حملة ملك الفرس كانت استجابة لاستنجد انتيفونوس وأغرائه بالمال اليهودي والفتيات اليهوديات أنساء الاكابر كما يريد السياق أن يوهمه . وكل ما يحتمل أن يكون أن جولة من جولات التشاد والحروب التنافسية التي كانت تتكرر من حين لآخر بين الفرس والرومان الذين ورثوا اليونان وممالكهم انتصر فيها الفرس واستولوا نتيجة لها على بلاد الشام لفترة من الزمن فاغتنم انتيفونوس الفرصة وسعى سعيه مع ملك الفرس ضد عمه وهيرودوس وأغرى الملك بالمال والفتيات .

وقد ذكر يوسيفوس أن أوغوستوس البس بموافقة مجلس شيوخ روما هيرودوس التاج وملكه على اليهود وكتب له عهدا على ألواح نحاسية وأقام له موكبا ثم سيره مع حملة خرجت لقتال الفرس حتى إذا وصلت انطاكية اتجه قسم منها الى اورشليم لقتال انتيفونوس الذي ملكه الفرس ، فما كان من هذا الا ان ذهب الى جبال الشراة لاعتقال أسرة هيرودوس فلحق به هذا وأطبق عليه وقتله مع كثير من جنده فاستتب له الحكم .

وانتهى بذلك عهد أسرة حشمناى التي تولى حكم اليهود منها عشرة اشخاص وهم : متنيا - يهوذا بن متنيا - يوناتان بن متنيا - شمعون بن متنيا - يوحنا - هركانوس بن شمعون - اسكندر بن هركانوس - اسكندرة زوجة هركانوس -

أرسطوبولوس بن اسكندر - هيركانوس بن اسكندر -
 انتيفونوس بن أرسطوبولوس ، وامتد حكمهم نحو ١٢٥ سنة -
 لأنه يخمن أن هيرودوس صار ملكا في العقد الثالث من أواخر
 القرن الاول قبل الميلاد . وقد تسمى الخمسة الاولون كهانا
 والخمسة الآخرون ملوكا . ومارس بعضهم استقلالاً ذاتياً واسعا
 وبعضهم استقلالاً ذاتياً ضيقاً تحت سيادة السلوقيين والرومان
 ومارس بعضهم سيادة قد تكون تامة لفترة قصيرة في زمن
 السلوقيين على ما مر شرحه .

- ٢٤ -

وبتولى هيرودوس ابتداء عهد أسرة جديدة حاكمة على
 اليهودية يتراوح التخمين في أصلها بين أن تكون فلسطينية
 عسقلانية أو أدومية نبطية عربية أو اسرائيلية .
 وقد تولى الحكم منها خمسة ملوك هم هيرودوس الاول
 وأرخلاوس بن هيرودوس وأنتيفوس بن هيرودوس المسمى
 هيرودوس الثاني وأغريبا بن أرسطوبولوس بن هيرودوس وأغريبا
 الثاني ابنه . وامتد حكمها نحو مائة سنة ٢٥ ق م - ٧٠ ب م (١)

(١) ص ١٤٦ وما بعدها .

ولقد ذكر يوسيفوس أن هيرودوس بعد أن فرض سسلطانه
أخذ يقتل من يعاديه ويناوئه من الرؤساء والوجوه والعلماء
ويصادر أموالهم حتى لم يبق من يعانده ويعارضه • ثم استدرك
فقال «والذين بقوا منهم كانوا يكرهونه ويخافون بطشه فيدارونه
وقال عن هيرودوس فيما قال انه كان كثيرا ما يخالف وصايا
التوراة • ومما فعله أنه وكل بأبواب مدينة القدس من يفتش
الخارجين منها ويأخذ ما يوجد معهم من فضة وذهب • ووكل
كذلك من يفتش الجنائز ويصادر ما يحتال أهل الاموات على
اخراجها في توابيتها من أموال • وتمسك بذلك من جمع ما لم
يجسعه ملك قبله •

ومما ذكره يوسيفوس عنه أنه غزا جميع الامم الذين عصوا
على اليهود خالفوهم فردهم عنفا واقتسارا وألزمهم بحمل الخراج
اليه ، والعبارة غامضة مطاطة • ولكن المرجح ان صرح ذلك فيكون
المقصود بذلك أمم فلسطين الاخرى لان الدولة المكابية كانت
راضخة لسيادة روما مع سائر بلاد الشام وليس من اعلقول ان
يكون للدولة المكابية سيادة او خراج على غير فلسطين • وكان
هذا هو شأنها في معظم حقبتها السابقة •

ومما وصفه يوسيفوس به أنه كان ملكا مهابا مظفرا وأنه كان
متوثقا مع الفريسيين • وانه أخرج الاموال الجزيلة في سنة جذب
وقحط وجلب المؤن من مختلف الانحاء وأجرى على الشيوخ

واليتامى والأرامل والعريان والمرضى والمنقطعين من الخبز ما يكفيهم فألهج بذلك الالسن بشكره وقوى اعتباره وحكمه ، وانه هدم المعبد الذى بناه العائدون من السبى وجدد البناء على الاسس والحدود والهيئة التى كانت له فى زمن سليمان وأتفق على ذلك طائل الاموال واستغرق العمل فيه بضع سنين وأن السماء فى أيام الشتاء كانت تمطر مطرها فى القدس فى الليل دون النهار خلال هذه السنين حتى لا يتعطل العمل مما هو من نسج الخيال والذكريات ، وانه بنى فى اورشليم بناءة حسنة وصور فيها جميع الملوك الذين غلبهم وقهرهم واتخذ ميدانا جعل فيه عجالات تجرها الخيل للمسابقة وجمع فيها أنواعا كثيرة من السباع والوحوش وكان يأمر بالقاء الناس لهم لتفترسهم بحضرته . . وقد سرد يوسفوس فى سياق طويل كيف احتال هيرودوس على هركانوس الذى كان أخذه معه ملك الفرس أسيرا والذى كان أطلق سراحه وأقام بين يهود العراق مستريحا مكرما فأحضره الى القدس ثم قتله ليأمن شره . وكان هذا بعد أن حضر قد اتصل بملك العرب - ملك الأنباط - بقصد الالتجاء اليه حينما ساورته المخاوف فاتخذ هيرودوس ذلك ذريعة الى قتله . ثم ذكر يوسفوس فى سياق طويل كذلك أن هيرودوس حول رئاسة الكهان عن بيت حشمنائى حتى لا يبقى لهم رئاسة ما ضمانة لملكه وعين لها رجلا من عوام الكهنة ، وأن هذا وذاك قد أثارا

غضب اسكندرة زوجة هركانوس وابنتها مريم زوجة هيرودوس وابنها أرسطوبولوس ، وأن اسكندرة شكت هيرودوس الى كليوباترة ملكة مصر وأنطويو القائد الروماني وطلبت منهما التدخل لتعيين ابنها للكهانة . وأن هيرودوس خاف من منافسة هذا بعد أن عينه مضطرا للكهانة نتيجة لذلك التدخل فاحتال عليه وقتله غرقا ثم قتل بعد ذلك اسكندرة وزوجته مريم ابنتها بأسلوب قاس بعد أن أذاقهما العذاب والهوان ، ثم قتل زوجي أخنسه لاشتراكهما في المؤامرات ضده واحدا بعد الآخر وكان الثاني واليا في بلاد أدوم وتستر على عدد من أبناء أسرة حشمناي وأنصارها . ثم قتل ولديه اسكندر وأرسطوبولوس ابني مريم بنت هركانوس بدسيسة من ابن آخر له من أدوميسة اسمها أتييطراس حتى يخلو له الجوى ، ثم قتل هذا الولد حينما عرف دسيسته . وانه اعتل بعد ذلك بعلة شديدة تقرح بها جسده وصار يتسنى الموت حتى انه حاول أن يقتل نفسه ثم هلك على أبشع صورة من المرض والتقرح .

ومع أن من المحتمل أن يكون السياق قد شيب بالخيال فان ذلك لا يمنع أن يكون وقع دسائس ومكائد ووشايات وحركات في أواخر عهد هوميروس أدت الى مأس من نوع ما جاء فيه مما تكررت صورته من اليهود ضد بعضهم في هذه الحقبة وقبلها . ومما ذكره يوسيفوس من أحداث هيرودوس ما نشب بينه

وبين كليوباترة من عدااء وتشاد بتأثير شكايات اسكندرية . ولقد طلبت من أنطونيو قتله لانه غدر بهر كانوس وزوجته وأولادها رغم ما كان من رعايتها لهم فوعد بالاحتياال على ذلك .

وكان متوائقا مع هيرودوس فطلب منه الزحف على العرب الذين أعلنوا العصيان والتمرد ، وأرسلت كليوباترة كتيبة لتشد عضده في حربه مع العرب في الظاهر وتخامر عليه وتبطش به في الحقيقة .

وقد نفذت الكتيبة المؤامرة فأدت مخامرتها الى هزيمة جيش هيرودوس وقتل الالوف من اليهود غير أن هيرودوس تمكن من النجاة والعودة الى القدس .

ويستطرد يوسفوس فيقول ان هيرودوس جمع زعماء اليهود وأخذ يحرضهم على العرب ويخوفهم من عاقبة الهزيمة وتفاقم خطرهم فاستجابوا اليه فجند جيشا كبيرا وزحف به ونشبت المعارك بينه وبينهم وانتصر عليهم المرة بعد المرة وتمكن في النهاية من استباحة ديارهم وأموالهم وتدمير مواطنهم فذلوا وطلبوا منه الامان فأمنهم ووافقهم على مال يحملونه اليه كل سنة ولم تخالفه العرب بعد ذلك . ولا ندرى أى العرب يقصد يوسفوس بهذا الخبر ! فان دولة الانباط العربية هي التي كانت قائمة يشمل سلطانها العرب في شرق الاردن وحواران .

وكانت هي ودولة هيرودوس في هذه الآونة تحت سيادة روما . وكانت قوية نوعا ما في نطاق استقلالها الذاتي حتى أن هركانوس طلب أن يلتجئ إليها في عهد هيرودوس نفسه كما أن بعض الأمراء المكابيين قبله كانوا يطلبون مساعدتها على بعضهم في سياق التنافس الذي نشب بينهم على ما مر ذكره . ولم يذكر المؤرخون أنهاذلت لهيرودوس وغير هيرودوس من المكابيين فكل ما يمكن أن يكون ان صحت أخبار حروب هيرودوس مع العرب أن هذه الحروب كانت بينه وبين بعض قبائل عربية كانت تقيم في حدود الدولة اليهودية من الشرق أو الجنوب .

ومما ذكره يوسيفوس كذلك من سيرة هيرودوس أن أوغسطوس بعد أن انتصر على أنطونيوس الذي ثار غضبه عليه لاهماله مهمته واستغراقه في عشق كليوباترة استدعى هيرودوس فحمل إليه هدايا كثيرة ولكن أوغسطوس كان يعرف شدة توثقه مع أنطونيوس فرفض مقابلته إلا بعد أن ينزع من رأسه التاج ففعل ثم دخل عليه وقال له :

إذا كنت سخطت على من أجلس محبتي لأنطونيوس فإن ذلك كان وفاء له لقاء مساعداته لي . وأنا وفي يوفي معي محب لمن يحسن إلي . فأعجب أوغسطوس بعقله وكلامه وأمر برد تاجه إليه وطيب خاطره وقال له نحسن اليك لما تقدم من طاعتك لدولتنا وخدمتك لها ومحاربتك أعداءها .

ولقد تولى العرش بعده ابنه ارخلاوس وأمه أدومية - عربية
فدفن أباه في قصره باحتفال عظيم وأجلسه على عرش من
ذهب بستور من الدياج الثمين ووضع على رأسه تاجا من ذهب
وفي يده قضيبا على صورته وغمره بالاطياب الثمينة وسار جمهور
اليهود من زعماء وكهان وعوام في جنازته لاستمرار شعورهم
بالمهية والرغبة منه (وهذه عبارة يوسفوس)

على أن الناس لم يلبثوا ، كما يقول يوسفوس ، أن أخذوا
يطلقون ألسنتهم بذهمه وذكر أفعاله الذميمة وأخذوا يظهر
المنافاة والعصيان لابنه خشية من سيرته فيهم سيرة أبيه . وقابلهم
أرخلاوس بالقمع والشدة وقتل كثيرا منهم فذهب فريق منهم
الى روما يشكوته الى أوغسطس ويطلبون عدم الاعتراف
بملكه وتعيين وال من قبله . وسارع أرخلاوس هو الآخر الى
روما فتمكن من احباط شكوى الشاكين والحصول على تثبيتته
مما ينطوى فيه أن الدولة اليهودية غدت تابعة هزيلة لروما لم يكن
يبقى لها من الكيان الا الصورة .

ولقد استمر على اساءة السيرة في الناس واستمر الناس على
الشكوى منه مما جعل اوغسطس يرسل من يقبض عليه ويقيده
ويأتى به الى روما حيث سجن . ومات فيها بعد أن حكم سبع
سنين .

وملك القيصر مكانه أخاه أنطيفوس وسماه هيرودوس الثاني وكان هذا على ما يقول يوسفوس شرا من أخيه وأقبح فعلا ، وكان مسرفا في النساء والمعاصي حتى انه اغتصب زوجة أخ له اسمه هيروديتا . فلما أنكر علماء اليهود عليه فعلته قتل كثيرا منهم ومن جيلتهم يوحنا بن زكريا الحبر الاعظم والكاهن الاكبر الذي عرف عند النصارى باسم يوحنا المعمدان (وعند المسلمين باسم يحيى (١) .

ولقد أشار يوسفوس في سياق خبر قتل يوحنا اشارة خاطفة الى المسيح ، فقال :

وكان في هذا الوقت رجل حكم اسمه يسوع صانع عجائب كثيرة ومعلما للذين أرادوا أن يتعلموا الحق ، وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم وهو المسيح الذي اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمتنا وسلبه ييلاطس النبطي للصلب .

ومما ذكره يوسفوس أن أوغسطس مات في زمن هيرودوس الثاني وأن طيباريوس تولى سلطان روما بعده (١٤) —

(١) في الاسعاج الرابع عشر من انجيل متى ان يوحنا قال له لا يعجل ان تكون لك فأكده وأوثقه والقاء في السجن . فلما كان عيد مولد هيرودوس رقصت ابنة هيروديتا فأعجب بها هيرودوس واقسم لها ان يعطيها ما تطلبه فأمرها أمها ان يعطيها في المكان الذي هي فيه رأس يوحنا المعمدان في طبق فحزن الملك ولكن من أجل اليمين والمتكئين معه أمر ان تعطاه وارسل فقط رأس يوحنا في السجن واتي به في طبق ودفع الى الصبية وهذه انت به الى امها .

٢٩ ب٠ م) وكان رجلا قبيح السيرة ، وقد أمر الناس بالسجود لصورته وبعث بقائد له من بلد النبطس يسمى ببلاطس ومعه تمثال للملك - قال يوسفوس عنه صنم صورة - الى اورشليم ليأمر الناس بالسجود له فامتنع اليهود فقتل منهم جماعة كبيرة • وأرسل طيباريوس بمن قبض على هيرودوس ثم نفاه الى اسبانيا ليأمر الناس بالسجود له فامتنع اليهود فقتل منهم جماعة كثيرين • حيث مات منفيا بعد حكم امتد ٢١ سنة •

وملك بعده على اليهود ابن اخته أغرياس • وفي عهد هذا الملك تولى نيرون (٥٤ - ٦٨ ب٠ م) الذي أصدر أوامره بتسميته الها وانشاء المذابح وتقريب القرايين باسمه ويقول يوسفوس ان اليهود امتنعوا عن تنفيذ الاوامر واستعدوا للمقاومة وأرسلوا وفدا يلتمس اعفاءهم منها فغضب نيرون على الوفد فابتهل الوفد الى الله وصام وسأله صرف بلية نيرون فلم يلبث العسكر بعد ثلاثة أيام أن شغبوا على نيرون وهجموا عليه وقطعوه بالسيوف وألقوه للكلاب •

ولما مات أغريبا الذي كان يصفه يوسفوس بأنه كان حسن السيرة محمود الطريقة مكرما عند قيصر بعد حكم امتد ٢٣ سنة ملك بعده ابنه الذي كان اسمه على اسم أبيه • وكان آخر ملوك اليهود •

وفي أيامه كان الجلاء وخراب أورشليم وتشتت الامة وكثر القتل والحروب في جميع البلدان اليهودية وكثر المتغلبسون والخوارج وزاد الشر وكثر الفسق والغش والظلم والقتل وأخذ أموال الناس وانقطاع السيل وانبساط يد الاشرار ، وكثر الباطل وخفى الحق •

ولم يستقم لاغريباس ولا لرعيته حال وكثرت العداوات بين اليهود وبغض بعضهم بعضا بغير سبب • وكان كل من مقت صاحبه قتله • وكثر القتل وهان على الناس سفك الدماء وكثر الاشرار في أورشليم وكان قوم منهم يحملون سكاكين صغيرة ذات حدين ، ومن أراد أن يقتل رجلا أعطى هؤلاء الاشرار مالا وسلطه على خصمه فيمضى ويلصق الرجل ثم يضربه بالسكين فيسقط ميتا ويختلط بالناس فلا يعرف القاتل وكثر هذا حتى سمى بالموت الاعمى وهلك فيه كثير من الناس وخرج كثير من سكان أورشليم بأموالهم وأولادهم فمضى الاشرار الى فيلكس صاحب الروم فأخبروه بذلك وقالوا له انما يريدون الخروج بقصد العصيان فوجه أصحابه فقتلوا أكثرهم وأسروا من بقى منهم •

وهذا كلام يوسيفوس وفيه دلالة على ما وصلت اليه حالة اليهود ودولتهم من فساد وهوان وقوضى عجيبة • ولقد أخذ يوسيفوس بعد هذا الوصف يسرد أحداثا متنوعة

في سياقات طويلة اختلطت فيها الحقائق مع الخيال وأدت الى تدمير الدولة اليهودية والقضاء على الكيان اليهودي .
 وواضح أن هذا ليس جديدا من حيث جوهره وبقطع النظر عن تنوع الصور . فقد كان في عهد القضاة ثم كان في عهد دولتي يهوذا واسرائيل ، ولا سيما في أواخر أيامهما ، وكان موضوع تعقيب قوى في الاصحاح الثاني من سفر القضاة والاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني - الرابع على ما أوردناه قبل .

وقبل أن تنتقل الى ذكر الاحداث التي سردها يوسيفوس وأدت الى تلك النهاية الرهيبة نريد أن نذكر أولا ما رأيناه جديرا بالنقل عن الدبس من خلاف مهم وزيادة ونقص بالنسبة لما ذكره يوسيفوس في صدد سيرة هيرودوس وخلفائه . ونريد ثانيا أن نعقد فصلا خاصا عن ظهور المسيح وسيرته ، لأن هذا وذاك مما يتصل بالحقة التي سبقت تلك الاحداث . وبذلك يتسق تسلسل الكلام .

- ٢٥ -

فبالنسبة للنقطة الاولى نقول ان الدبس (١) يذكر أن هيرودوس

(١) الجزء الثاني المجلد الثالث من تاريخ سورية ص ١٧٧ وما بعدها .

الأول - الكبير - وصى بولاية اليهودية والسامرة لابنه أرخلاوس وبولاية الجليل لابنه هيرودوس أنتيباس - الذي سماه يوسفوس أنتيقوس وهيرودوس الثاني - وبولاية اللجا والجولان لابنه فيلبس ويدخل مدن يمنه وأشدود وفازاليس لاخته سالومي ، وعلق تنفيذ الوصية على مشيئة أوغسطسوس حيث يدل هذا على انه قسم مملكته ولم يجعل أرخلاوس ملكا عليها جميعها . وان أرخلاوس حاول أن يكسب الشعب فوعده بالتخفيف عنه والسير حسب رغباته والقيام بالاصلاحات التي يريدونها بمسند تثبيت أوغسطسوس للوصاية فأبى الشعب الا التنفيذ حالا وتألب عليه فكان ما حكاه يوسفوس من القمع والشدة ، وأنه ذهب بعد ذلك هو واخوته الى روما لسماع مشيئة أوغسطسوس في وصية أبيهم ، فنشبت في غيابهم مناوشات بين اليهود والحامية الرومانية ونهب الرومان الهيكل ودنسوه وأحرقوا أوراقه ، وهاج اليهود وماجوا وحاصروا الحامية فاستنجدت بوالى سورية وبملك العرب الحارث - ملك الأنباط - فجاءت النجدة من الناحيتين ونكلت باليهود وشنقت ألفين من أسراهم فوق الصلبان وبذلك ذلوا وسكنت نأمتهم ، وان أوغسطسوس ثبت وصية هيرودوس بقسمه مملكته بين أولاده دون أن يسمى أرخلاوس أو غيره ملكا بل سماهم ولاية .

وان الشكايات توالى من اليهود ضد أرخلاوس خاصة مما

جعله يأمر الحامية بإرساله الى روما حيث نفاه الى فرنسا ومات في منفاه • وانه ألحق بعد نفيه اليهودية وما يليها بولاية سورية ومضى الامر على ذلك مع اقامة نواب وولاة على اليهودية والمناطق الاخرى تحت امرة ولاة سورية • ويتناقض هذا كما هو المتبادر مع ما ذكره يوسيفوس من تملك ارخلاوس على مملكة هيرودوس ومن بعده أنتيفوس أو هيرودوس الثاني وأغريبا الاول وأغريبا الثاني •

ولقد ذكر الاصحاح الثالث من انجيل لوقا انه كان في السنة الخامسة من ملك طيباريوس قيصر ، على اليهودية والاسمه بيلاطس النبطي وعلى الجليل هيرودوس بلقب رئيس ربع — وعلى الارجح هو هيرودوس الثاني — وعلى ايطورية وبلاد قراكونيتس اخوه فيلبس بلقب رئيس ربع أيضا ، مما يتطابق مع ما ذكره الدبس •

ولقد ذكر الدبس قصة اغتصاب هيرودوس — الثاني — رأس يوحنا بناء على طلب هيروديتا وابنتها ونفيه الى اسبانيا وقال انه اذدرى بالام المسيح وألبسه ثوبا قرمزيا •

وهذا القول يكاد يوهم أن هيرودوس كان هو الحاكم في اورشليم حينما تألب اليهود على المسيح وطلبوا صلبه ، الا أن الاصحاح الثالث والاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا قد ذكرا ذلك وقالوا انه كان رئيس الربع في الجليل وانه حينما

تألب اليهود على المسيح كان في اورشليم كزائر فأرسله بيلاطس اليه لانه عرف أنه من أيلته ، حيث يرجح هذا السياق رواية الدبس على رواية يوسفوس •

ومما ذكره الدبس أن أغريبا صار واليا على الجيدور واللجا وهوران بعد وفاة فيلبس (وهذه البلاد سميت في انجيل لوقا باسم ايطورية وبلاد تراكونيتس)

وان نطاق ولايته وسع في عهد القيصر غايوس (٣٩ - ٥٤ م) حتى شمل الجليل وعبر الاردن وبيروت ثم اليهودية أخيرا بعد سحب بيلاطس منها وأنه لقب بلقب الملك ، وان أغريبا الثانى ابنه قد خلفه على هذه المملكة التى فاقت سعة رقعتها سعة رقعة مملكة جدهما هيرودوس الاول •

وقد اعتنى أغريبا ببيروت وقيصرية عناية كبيرة فأقام فيها الملاعب والمشاهد والحمامات •

ومما ذكره من أحداث عهده أنه عزل الكاهن الاكبر يوسف الذى كان من الفريسيين وعين مكانه حنان بن حنان الذى كان من الصدوقيين ، وأن هذا جمع مجمعا قضى فيه بالرجم على السنن فأرسلوا فريقا من أولى التقوى والمحبة الحقيقية رسولا الى أغريبا يسألونه ردع حنان عن تجنيه كما أرسلوا مثل ذلك الى الوالى الرومانى فأدت الشكوى الى عزل الكاهن الجديد

وتدل شكوى اليهود الى الوالى الرومانى على أن هذا الوالى الذى كان يلقب بوالى سورية كان يشرف على اليهودية النى كان يقوم على رأسها أغريبا ثم ابنه من بعده .

ومما ذكره الدبس وفيه تأييد لذلك أن النزاع كثر بين والى الرومان فى سورية وبين أغريبا ملك اليهودية فى عهد القيصر كلود (٤١ - ٥١ ب.م) فالتمس أغريبا من القيصر تبديله فبدله . بل أن الدبس روى فضلا عن ذلك أسماء ولادة رومانين كانوا يتولون اليهودية فى زمن القياصرة غايوس (٣٧ - ٤١) وكلود (٤١ - ٥١) ونيرون (٥١ - ٦٨ ب.م) فى الوقت الذى كان يتولى ملك اليهودية اغريبا الاول فالثانى كنواب لولاية سورية ، حيث يدل على هذا أن ملك الملكين اليهوديين عزل حتى غسدا اسما بدون مسمى .

وفى تاريخ الدبس أشياء لم ترد فى كتاب يوسفوس الذى تحت يدنا عن أحداث اليهود فى عهد الولاية الرومانين غير ما أوردناه آنفا .

فمن ذلك (١) أن ييلاطس الوالى كان يمضى فى قيصرية فصل الشتاء - ويقوم مكانها اليوم قرية قيسارية القريبة من حيفا ومن البحر - بعد حادث المسيح فأرسل جنوده الى اورشليم

(١) الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ سورية ص ٢٤٠ وما بعدها .

وعلى أعلامهم صورة العاهل طيساريوس (١٤ - ٣٧ ب.م)
 فاستاء اليهود وأسرع جم غفير اليه يطلبون اخراج تلك الصور
 من اورشليم لأنها مخالفة لسننهم وقال لهم ان في اخراجها اهانة
 للملك فلم يكفوا عن الجاحم فهددهم بالقتل فانطرحوا على
 الارض وكشفوا عن أعناقهم قائلين أولى أن نموت من أن نخالف
 سنننا ما جعله يعجب من شدتهم ويتراجع ويسحب الأعلام .

ومن ذلك أنه أراد أن يأخذ مالا من خزانة الهيكل لجر الماء
 الى اورشليم من منبع يبعد مشى غلوة عن القدس فهاج اليهود
 وماجوا وجاءوا اليه محتجين وأسمعه بعضهم ما يهينه فأمر
 بضربهم فقتل جنوده كثيرا وجرحوا كثيرا دون تفريق بين ثائر
 وغير ثائر .

ومن ذلك أن غايوس قيصر (٣٩ - ٤٤ ب.م) أمر واليه في
 سورية بارغام اليهود على وضع تمثاله في هيكلهم فجاء الى عكا
 بجيش كثيف لهذه الغاية . ولكن اليهود رفضوا الاقتراح فدعا
 انوالى رؤساءهم الى طبريا وبين لهم غوائل رفضهم فلم يذعنوا
 فكتب للقيصر بذلك وكتب اليه اغريبا رسالة رقيقة يلتمس فيها
 العذر لليهود والعفو عنهم فهدأت ثورة غضبه ، ثم بلغه ان اليهود
 حملوا السلاح فغضب على واليه لتساهله معهم ، ولم يلبث القيصر
 أن مات فوقه الامر عند هذا الحد .

ومنها خبر نزاع شديد بين اليهود المقيمين في الجليل وبسّين السامريين في سنة ٥٢ ب.م في عهد ولاية والي اليهودية كومانوس أدى الى قتل السامريين جماعة من اليهود فشكا اليهود أمرهم الى الوالي فلم ينصفهم لان السامريين رشوه ، فحصل بعضهم السلاح وهاجموا بعض قرى السامريين فانتهبوها وحرقوها فتعقبهم الوالي وقتل وأسر كثيرا منهم . ثم جاء والي سورية العام الى اللد ليحقق في الحادث .

ومن ذلك ان القيصر كلود عين سنة ٤٦ ب.م لولاية اليهودية شخصا من مواليد الاسكندرية اسمه طيباريوس وكان من أغنى أهل اسكندرية ، وكان يهوديا فارتد عن ديانته ودان بدين الرومان ، وأنه حصل في عهده مجاعة شديدة فهاج اليهود حتى كاد ينقلب هياجهم الى ثورة فقبض الوالي على المهيجين وقتلهم فوقف الهياج .

ومن ذلك حدوث نزاع بين اليهود المقيمين في عبر الاردن وبين أهل فيلادلفيا (عمان) في عهد والي اليهودية فاروس سنة ٤٤ فوثب اليهود على أهل المدينة وقتلوا كثيرين منهم . ومما يخطر بالبال ان انتصار اليهود على المسيح في هذه الحقبة قد اثار فيهم اعتدادا وحيوية في مجال احياء الشرائع الموسوية فدفعهم ذلك الى هذه المواقف وغيرها من المواقف المماثلة .

ومن ذلك أن جنديا رومانيا من حراس باب الهيكل في زمن
والى اليهودية كومانوس الذى مر ذكره كشف عن عورته على
مرأى من الشعب في أيام عيد الفطر فاستاء اليهود وعدوا ذلك
اهانة لهم ولله وأخذوا ينددون بالوالى ويقولون ان الجندى لم
يفعل فعله الا بأمره مما أثار حنق الوالى وجعله يهيبه الجنود
للوثوب عليهم فتهافتوا الى الفرار وازدحموا في الازقة حتى مات
كثير منهم وانقطع الناس عن الصلوات وتقدمة الذبائح واقلب
فرحهم بالعيد نواحا . وأن هذا الوالى ارسل الجند الى القرى
المجاورة ليرهبوا اليهود ويرسلوا اليه وجوههم فعر احداهم على
أسفار موسى فمزقها على مرأى الجمهور وأكثر الشتائم للسنة
والامة فهاج اليهود وماجوا وذهب جمع غفير منهم الى الوالى وكان
في قيصرية وطلبوا التنكيل بالجندى فجنح الى مسايرتهم .

ومن ذلك ان اليهودية ألحقت سنة ٥٢ بولاية السامرة
والجليل ، وكان الوالى فيلكس في عهد القيصر كلود وأن اليهودية
في أيامه كانت في أسوأ حال حيث كثر اللصوص والمكارون وكان
منهم رجل اسمه العازار صحبه قوم على شاكلته . فاستدعاه
الوالى واعتقله ونفاه الى روما .

وقد كان بولس الرسول احد الحواريين ينشط في التبشير
برسالة المسيح في عهد هذا الوالى فشكاه خنيا رئيس الكهنة
اليه وكان هو في قيصرية فأمر قائد الحامية في اورشليم بالقبض

على بولس وارساله مقيدا حيث بقى مدة ثم أرسل أسيرا مقيدا الى روما من طرف وال آخر اسمه فستس جاء خلفا لكومانوس . ومن ذلك أن واليا اسمه اليين عينه نيرون على اليهودية سنة ٦١ فلم يدع شرا الا وصنعه وكان يتجر بحقوق العباد ويغتصب أموالهم وكان يرتشى من المسجونين ويطلق سراحهم ولا يعسب مجرما الا من لم يدفع له . وتزلف اليه الاغنياء بهداياهم وسر به المشاغبون لان تصرفه أفسح المجال لثورتهم (والعسارة من الدبس) وقد أثقل على اليهودية بضرائب جديدة ، ولما استدعاه نيرون الى روما سنة ٦٤ فتح كل السجون فملا اليهودية بالصوصل والقتلة . وقد خلفه على الولاية وال اسمه فلورس فأنسى بجوره كل المظالم التي كانت في أيام أسلافه فاتقدت بسبب ذلك نار الحرب بين اليهود والرومانيين .

ولقد ذكر الدبس سلسلة من مظالم هذا الوالى في الفصل الذى عقده على أحداث هذه الحرب وأسبابها فقال فيما قال (١) انه كان جائرا وانه كان يبذل مجهوده للاغتناء فينهب القرى والمدن حتى ارغم كثيرا من الاغنياء على الهجرة ، وانسبه كان يحابى الوثنيين في قيصرية على اليهود ويشير بينهم الخسلاف الذى كان يؤدى الى الاقتتال . ولقد ارسل يطلب من خزينة هيكل اورشليم مبلغا جسيما من

(١) تاريخ سورية ج ١ ص ٢٢٨ .

المال بحجة صرفه في حاجات للملك فهاج اليهود وأخذوا
يصبون عليه اللعنات والشتائم . وكان قتال ناشب في هذه الآونة
بين اليهود والوثنيين في قيصرية وبدلاً من أن يخمد جذوته تركه
يزداد التهاباً وجاء على رأس رجاله إلى أورشليم للانتقام من
المعارضين واستدعى الوجهاء والكهان وطلب منهم تسليمه كل من
شتمه فحاول هؤلاء تهديته غضبه فأخفقوا وأمر جنوده أن ينهبوا
كل ما يجدونه في السوق ويقتلوا كل من يعترضهم حتى بلغ
عدد القتلى ثلاثة آلاف وستمائة . وقبضوا على بعض الوجوه
وجلدوهم وصلبوهم وتوسلت برنيكه أخت الملك أغريبا إليه
بالكف عن سفك الدماء فلم يلتفت إليها وخرجت بنفسها إليه
فكادوا أن يقتلوها . وطلب من يهود أورشليم أن يخرجوا
لاستقبال كتية من الجنود آتية من قيصرية ليرهنسوا على
إخلاصهم له فيكف عنهم فأجابوه إلى ذلك وخرجوا فحيسوا
الكتيبة فلم تجبهم فتدمروا فما كان من الجنود إلا أن انهالوا
عليهم بالضرب بأشارة منه فانهزموا فتبعهم الفرسان وداسست
خيولهم كثيرين ومات كثيرون فكان ذلك من أسباب الثورة
المباشرة .

هذا ، وهناك بعض أحداث يهودية وقعت في مصر في زمن
الحكم الروماني وقبل الحرب اليهودية الرومانية ذكرها شاروبيم

مؤلف تاريخ مصر الموسوم بالكافي (١) ، رأينا من المفيد الإشارة إليها توفية للكلام فنقول انه كان في الاسكندرية جماعات كبيرة من اليهود معظمهم نزحوا أثناء التشاد بين السلوقيين والبطالسة وفرارا من اضطهاد السلوقيين على ما ذكرناه قبل فكانوا يصطدمون من حين لآخر مع اليونانيين تارة ومع المصريين تارة وتتسع بينهم الاشتباكات الدموية • وكانوا يقسون في خصومهم حينما يظفرون بهم كما كانوا يتعرضون للتشكيل الشديد من السلطات الرومانية •

ولقد كان هذا منذ عهد مبكر من الحكم الروماني في عهد طيباريوس ١٤ - ٣٩ ب.م وكانت ثورة يهودية ضد السلطات الرومانية حتى أن اليهود قتلوا نائب القيصر • وفي عهد كلود ٤١ - ٥٤ ب.م ثارت الفتنة بين اليهود وأهل الاسكندرية فاقتتلوا قتالا شديدا فبادر القيصر الى التهدة ثم سمح لليهود بانتخاب نقيب يقضى بينهم حسب رسومهم وأحكامهم • وفي عهد نيرون ٥٤ - ٦٨ ثارت الفتنة ثانية بينهم وبين أهل الاسكندرية من مصريين ويونانيين وامتدت أمدا غير قصير • وقد مثل اليهود بضحاياهم بقسوة مما جعل الامبراطور يأتي بنفسه الى مصر ويضربهم ضربة قاصمة • وقد نقلنا عن الدبس في السياق السابق

نخبر هذه الفتنة ، وكان الذي ضربهم حسب روايته اسكندر
 طلياريوس الوالى المرتد عن اليهودية •
 وليست هذه الاحداث كل ما سجله التاريخ من أحداث اليهود
 في مصر فقد سجل لهم أحداثا مماثلة بعد تدمير اورشليم ايضا
 مما سوف نذكره بعد نهاية الكلام عن هذا التدمير •

- ٢٦ -

والآن نأتى الى سيرة المسيح التى أشار اليها يوسفوس
 اشارة عابرة • وهى من أهم الاحداث التى جرت في هذه الحقبة
 كما هى من أهم احداث التاريخ الانسانى ، وهى متصلة في الوقت
 ذاته اتصالا وثيقا بتاريخ بنى اسرائيل لانه منهم (١) وفي سيرته
 صور كثيرة من أحوالهم و اخلاقهم •

واسم المسيح « يسوع » وكلمة المسيح وصف كان يطلق على
 ملوك بنى اسرائيل الذين كان يمسحهم الانبياء بالدهن بأمر الله
 ليتولوا ملك بنى اسرائيل • وقد وصف يسوع به وغدا علما
 عليه او اسما ثانيا له لانه قيل عنه انه ملك اليهود المسحوح من
 الله من قبيل الاستهزاء •

(١) وهم اول المخاطبون بدعوته .

وسيرة المسيح مستقاة من الاناجيل التي مفردها انجيل • وهي
كلية يونانية معناها الكرازة او البشارة او الدعوة • والاناجيل
عديدة واشهرها والمعترف بها اربعة وهي أناجيل متى ومرقس
ولوقا ويوحنا بالتوالي حسب ترتيبها في المجموعة التي عرفت
بالعهد الجديد والتي تضم بالإضافة اليها ثلاثة وعشرين سفرًا
تحتوي اعمال الرسل ورسائل بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا
ويهوذا القديسين ورؤيا القديس يوحنا •

والأنجيل هي بمثابة ترجمة لحياة المسيح كتبها كتابها بعده •
ومنهم من استقى ما كتبه من شهود عيان على ما يفيد بعضهما (١)
ويرجح كثير من الباحثين انها كتبت خلال القرن الميلادي الاول •
ولقد قلت أقوال كثيرة في صدد هذا • والخلاف يدور حول زمن
كتابتها ورواتها وأحداثها وشهودها العيان • وعلى كل حال فليس
هناك من ينكر قدم كتابتها وكون ذلك يرتقي الى القرن الميلادي
الثاني (٢) •

والمسيح او يسوع من حيث نسب أمه وزوجها يوسف الذي
لم يمسها لانه ولد بمعجزة ربانية وهي عذراء لم تمس ، هو من

(١) الأصحاح الاول من انجيل لوقا يتتبع بهذه الجملته «اذ كان كثيرون قد
أخذوا في ترتيب قصة الأمور التيقتة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا معاشين عندنا
البدء وخادمين للكلمة رأيت أنا أيضا بعد أن ادركت جميع الأشياء من الاول بتدقيق
أن أكتبها لك بحسب ترتيبها أبها المزيو تاوفيلس» والعبارة تفيد تعدد الذين
كتبوا القصة التي يراد بها على ما هو المتبادر قصة السيد المسيح •

(٢) اقرأ بحثا مطولا في الجزء الثاني من تاريخ سورية للديبس ص ٣٧٦-٣٨٠.

ذرية داود وقد ولد في بيت لحم في زمن الملك هيرودوس الكبير
 على ما جاء في الاصحاحين الاول والثاني من انجيل متى . وقد
 ذكر هذا الانجيل في اصحاحه الثاني ان أمه وزوجها أخذاه الى
 مصر بوحى الله فرارا من هيرودوس ثم عادا بعد موت هيرودس
 الملك في سياق قد لا يخلو من الخيال وسكنا الناصرة ، كما ذكر
 في اصحاحه الثالث انه لما بلغ اشده سكن كفر ناحوم من اعمال
 الجليل ، ثم أخذت الاصحاحات التالية تذكر طوافه في انحاء
 الجليل وتبشير برسالته السماوية ودعوته الى الله ونعته ايساه
 أبانا الذى في السموات وأبى واييكم والهى والهكم وما فى معنى
 ذلك ، ثم الى المحبة والسلام والرفق بالضعفاء والبر بالفقراء
 والمساكين والمضطهدين والتتويه بهم والى التسامح والتقوى
 والتواضع وسائر مكارم الاخلاق الشخصية والاجتماعية والنفسية
 ونهيه عن التكالب على الدنيا والغل والحقد والحسد والكبر
 والاثانية والنفاق وسائر المنكرات والفواحش وتأنيده الوصايا
 والتشريعات التوراتية مع تخفيف من التكاليف والقيود واهتمام
 للجوهر دون العرض ونعيه على اليهود ورؤساء الدين منهم
 خاصة ما ارتكبوا فيه من انحرافات وآثام دينية وخلقية وما دأبوا
 عليه من استغلال الدين والاتجار به لما ربهم بأسلوب حكيم نافذ
 ممتزج بالموعظة الحسنة والامثال البليغة بحيث كانت رسالته
 وبشارته معدلة ومصلحة للرسالة الموسوية ومنقية لها مما علق بها

من تشويش وتحريف وانحراف وضيق أفق ، وكانت دعواته ورسالاته وبشارته لعموم الناس وليست لبني اسرائيل فقط .
ولقد كان بنو اسرائيل ينتظرون مسيحا مخلصا وأشارت اليه تنبؤات بعض أنبيائهم في بعض الاسفار ولكنهم كانوا ينتظرون مخلصا لهم خاصة ، يعودون بزعامته الى سيرتهم الاولى القائمة على الاثرة والاستعلاء وفكرة الاختصاص فلما رأوه من جهة يعم رسالته ودعوته حتى تشمل جميع الامم ويهاجم من جهة رؤساءهم ويندد بهم ، ويتساهل في بعض التقاليد الموسسوية تنكروا له وتآلبوا عليه واخذوا يناوئونه .

ولقد ذكرت اصحاحات متى في سياق سيرته وبشاراته ما كان يقع على يديه من المعجزات العديدة المتنوعة التي كان اكثرها في مجال شفاء المرضى من مصروعين وعميان ومشلولين مما أدى الى ذيوع صيته وتقاطر الناس عليه من كل ناحية واتباع كثير منهم له وملازمة بعضهم له ملازمة تامة وهم اصحابه الاثنى عشر الذين سموا بالحواريين . فبادر الفريسيون والصدوقيون والكهنة الى ازعاجه بتحدياتهم وتنديداتهم في صدد عدم حفظ السبت ومخالفة الرسوم والطقوس والعبادات والامثال التي تعتمدهم التأويل فكان يرد عليهم ردودا مفحمة بليغة بأسلوب الموعظة نحينا والامثال حيناً ويخاطبهم بمثل قوله « يا أولاد الافاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات واتم اشرار » انما يتكلم الفم

من فضل ما في القلب فالرجل الصالح يخرج من كنزه الصالحات
والرجل الشرير يخرج من كنزه الشرور» (الاصحاح الثاني عشر) •
ثم يستمر في طوافه وتبشيره ودعوته ووعظه واتصالاته بالناس •
وقد قص السفر فيما قص (الاصحاح الحادي والعشرون) مجيئه
الى اورشليم ودخوله الهيكل واخراجه من كان فيه من البائعين
والشارين وقلبه موائد الصيارفة وهتافه بقوله « مكتوب بيتي
بيت صلاة يدعى واتم جعلتموه مغارة للصوف » فسأله الكهنة
والشيوخ بأى سلطان تفعل هذا فأجابهم بأمثال فيها غمز لهم
وتنديد بهم حتى هموا ان يسكروه ولكنهم خافوا من الجموع
التي كانت تعدده نيبا • ولكنهم لم يكفوا عن تعجيزه وازعاجه
وتحديه بالاسئلة ومحاولة اظهاره بمظهر المخالف للشرائع ، فظل
يفحشهم بالاجوبة القوية والامثلة البليغة ويستمر في بشارته • وقد
ذكر الاصحاح الثالث والعشرون من انجيل متى وصفه لهم
لتلاميذه بقوله « ان الكتبة والفريسيين جالسون على كرسى
موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا به وأما مثل اعمالهم فلا
تعملوا لانهم يقولون مالا يفعلون • لانهم يحزمون احمالا ثقيلة
شاقة الحمل ويجعلونها على مناكب الناس ولا يريدون ان
يحركوها باحدى اصابعهم • كل اعمالهم يصنعونها رياء أمام الناس
فيعرضون عصائبهم ويعظمون اهدابهم ويحبون اول المتكثات في
العشاء وصدور المجالس في المياعم والتحيات في الاسواق وان

يدعوهم الناس معلمين» كما ذكر الاصحاح نفسه تنديده بهم وقوله لهم « الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرءون فانكم تخلقون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولا الداخلين تتركونهم يدخلون • الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرءون فانكم تأكلون بيوت الارامل بعة تطويل صلواتكم ومن أجل هذا ستنالكم دينونة أعظم • الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرءون فانكم تطوفون البر والبحر لتجلبوا دخيلا واحدا فاذا حصل صيرتموه ابن جهنم ضعف ما انتم عليه • الويل لكم ايها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ومن حلف بذهب الهيكل يطالب ايها الجاهل والعميان ما الاعظم الذهب ام الهيكل الذي يقدس الذهب • ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ومن حلف بالقربان الذي فوقه يطالب • ايها العميان منا الاعظم القربان ام المذبح الذي يقدس القربان فمن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالسكن فيه ومن حلف بالسما فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه • الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرءون فانكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتتركون أثقل ما في الناموس وهو العدل والرحمة والايمان وكان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا

تلك • ايها القادة العريان الذين يصفون البعوضة ويلعنون الجمل
 الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرءون فانكم تنقون خارج
 الكأس والجام وداخلهما مملوء خطئا ودعارة • ايها الفريسي
 الاعشى نق أولا داخل الكأس والجام حتى يتطهر خارجهما ايضا •
 الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرءون فانكم تشبهون
 القبور المخصصة التي ترى للناس من خارجها حسنة وهي مسن
 داخلها مملوءة عظام اموات وكل نجاسة • كذلك انتم يرى
 الناس ظاهركم مثل الصديقين وانتم من داخل مثلثون رثاء واثماء •
 الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرءون فانكم تشيدون قبور
 الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في ايام آباءنا
 لما كنا شاركناهم في دم الانبياء • فانتهم تشهدون على انفسكم
 انكم بنو قتلة الانبياء • فاجمعوا انتم مكيال آباءكم • ايها الحيات
 اولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم • من اجل ذلك هذا
 انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون
 ومنهم من تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكي
 ياتي عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق
 الى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح • الحق
 اقول لكم ان هذا كله سيأتي على هذا الجيل • يا اورشليم يا
 اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان

أجمع بينك كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحها فلم تريدو •
هو ذا بيتكم يترك خرابا (١) •

ولقد زادت تنديداته وردوده ومواقفه وعظاته وذيوخ صيته
وافقتان الناس به ، وحقدتهم عليه وخشيتهم من عواقب حركته
فاشتدوا في مطاردته والتصميم على اهلاكه حتى لقد شعر هو
بذلك وألم به الحزن والاكتئاب وقال لتلامذته ليلة اعتقاله كأنما
كان حس ما قبل الوقوع « ان نفسي حزينة حتى الموت » ثم
هتف وهو يصلى « يا ابت ان كان استطاع فلتعبر عن هذه
الكأس » • ولقد تأمروا مع السلطات وجعلوها ترسل شرطة
للقبض عليه ورشوا يهوذا أحد تلامذته الاثنى عشر ليخونه ويدل
الشرطى عليه بعلامة اتفق عليها وهى عناقه وتقيله ومن ثم سيق
الى قيافا رئيس الكهنة الذى جمع مجمعا من الكتبة والسيوخ
لمحاكمته مبيتين النية على الحكم عليه بالموت على ما ذكره
الاصحاح السادس والعشرون الذى ذكر ايضا فى سياق شبيب
بالخيال أن اجتمع اخذ يبحث عن يشهد عليه بشهادة تساعد
على قتله ، وأنه تقدم شهود قالوا انه قال انى أقدر أن أنقض
هيكل الله وأبنيه فى ثلاثة أيام فسأله رئيس الكهنة عما يقوله فى

(١) العبارة عبارة النسخة الكاثوليكية المطبوعة فى المطبعة الكاثوليكية فى
بيروت سنة ١٩٥١ وقد نقلنا النسخة بطولها لان فيها صورة قوية لما كان عليه رؤساء
اليهود من انحراف وسوء سيرة فى هذه الحقبة متسقة مع ما كان عليه اباؤهم فى
معظم الحقبة •

الشهادة فلم يجب فأقسم ان يقول هل هو المسيح بن الله فقال له أنت قلت . ثم قال لهم انكم من الآن ترون ابن البشر جالسا على يمين القدرة وآتيا على سحب السماء . فلم يسكد الرئيس يسمع هذا الكلام حتى شق ثيابه وقال لقد جدف فما حاجتنا الى شهود وسأل المجمع رأيهم فقالوا انه استوجب الموت . وحينئذ بصقوا في وجهه ولكموه ولطموه قائلين تنبأ لنا ايها المسيح من الذى ضربك . ثم أوثقوه ومضوا به الى الوالى بيلاطس النبطى على ما ذكره الاصحاح السابع والعشرون الذى ذكر ايضا أن الوالى سأل أأنت ملك اليهود فقال له انت قلت ، وأن رؤساء الكهنة والشيوخ أخذوا يشكونه فسأله الوالى عما يقول فى شكواهم فلم يجبه ، وانه كان من عادة الوالى ان يطلق لئسى اسراييل فى العيد الاسير الذى يطلبون اطلاقه وكانت اليوم يوم عيد الفصح ، وكان عنده أسير مشهور يدعى أبرابا فسألهم من تريدون أن أطلقه أبرابا أم يسوع فأقنع رؤساء الكهنة والشيوخ الشعب بطلب اطلاق أبرابا واهلاك يسوع فطلبوا من الوالى ذلك فسألهم وماذا أفعل بيسوع الذى يقال له المسيح فقالوا يصلبهم فسألهم اى شر صنع فازدادوا صياحا وقالوا يصلب فلما رأى ان الكلام غير مفيد وأن البلبال متزايد أخذ ماء غسل به يديه قدام الجميع قائلا انى برىء من دم هذا الصديق فأجابته الشعب دمه

علينا وعلى بنينا • وحينئذ أطلق لهم ابرأبا وجلد يسوع وأسلمه للصلب •

وقد أخذ الجند الى دار الولاية ونزعوا ثيابه وألبسوه رداء قرمزيا وضمفروا اكليلا من الشوك وجعلوه على رأسه وجعلوا في يمينه قصبه ثم جثوا على ركبهم قدامهم وهزأوا به قائلين سلام يا ملك اليهود وكانوا يبصقون عليه ويضربونه بالقصبه • ثم نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به الى الصلب وصلبوه في مكان يسمى الجلجلة وجعلوا فوق رأسه علقه مكتوبة « هذا يسوع ملك اليهود » وصلبوا معه لصين واحدا عن اليمين وآخر عن الشمال وكان المجتازون به يجذفون عليه حتى كان اللسان اللذان ضلبا معه يعيرانه في الجملة مما جعله يصرخ بصوت عظيم قائلا : الهى الهى لماذا تركتني • وأسرع واحد فأخذ اسفنجة وملاها خلا وجعلها على قصبه وسقاه فصرخ ثانية بصوت عظيم وأسلم الروح • ثم حكى الاصحاح والاصحاح التالى له في سياق يبدو عليه الخيال قصة دفنه وقيامته وقيامه كثير من القديسين الميتين بعد قيامه ومجيئهم الى المدينة المقدسة وثرائهم للكثيرين •

وقد اقتبسنا ما مر من انجيل متى الذى يأتى الاول في الترتيب • والانجيل الثلاثة الاخرى المعترف بها متطابقة مع هذا الانجيل في معظم الامور الجوهرية مع اختلاف في العبارة

والاحداث نتيجة لتداول الروايات في الغالب ، وفيها بعض زيادات لم ترد فيه .

ومن الزيادات المهمة التي ذكرت في انجيل لوقا ما ذكر في اصحاحه الاول من قصة حمل زوجة زكريا التي كانت عاقرا بناء على دعاء زكريا لربه وولادتها يوحنا ، وقصة ظهور ملاك الرب لمريم العذراء المخطوبة ليوسف وبشارته لها بابن تلده من روح الله بدون زوج وأمرها بتسميته يسوع وذكره لها على سبيل اقناعها بإمكان ذلك دون مس من بعلمها ، ما كان من حمل زوجة زكريا بمعجزة ربانية (١) .

وما ذكره الاصحاح الثالث من ان ابتداء دعوة يسوع كانت حينما كان له من العمر ثلاثون سنة مع تنويهه بما كان يبدو عليه قبل ذلك من علائم الفهم والذكاء والروحانية ، وما ذكره الاصحاح التاسع من خبر اعطاء المسيح للاثني عشر حواريًا قوه وسلطانا على التكريز بملكوت الله وشفاء الامراض وما ذكره الاصحاح العاشر من تعيينه بعد ذلك اثنين وسبعين آخرين للكراسة للامم وللناس جميعا (التبشير والدعوة الى الله ومكارم الاخلاق

(١) هذا الأسلوب قد جرى عليه القرآن ايضا ، بالفصول القرآنية التي ذكرت ولادة المسيح من روح الله بدون مس من زوج ذكرت قبل ذلك ولادة يحيى (يوحنا) من ام عاقر واب شيخ بمعجزة ربانية كمقدمة اقناعية بإمكان ولادة المسيح كذلك بمعجزة ربانية . انظر آيات سورة آل عمران ٣٤-٦٨ وآيات سورة مريم ١ - ٣٥ .

التي دعا اليها المسيح) حيث يدل هذا على نشاطه في سبيل ابلاغ
دعوته ورسالته ، وما ذكره الاصحاح الثالث والعشرون من قول
الذين اخذوا المسيح الى الوالي بيلاطس عنه انه يفسد الامة ويمنع
من أداء الجزية لقيصر ويدعى انه المسيح الملك ، وان بيلاطس لما
علم انه من الجليل من أيلة هيرودوس ارسله اليه وكان في تلك
الايام في اورشليم وان هيرودوس سأله بكلام كثير فلم يجبه
بشيء ورجاه ان يصنع آية فلم يلب رجاءه فازدراه مع جنوده
وألبسه ثوبا لامعا وردده الى بيلاطس .

ومن الزيادات المهمة في انجيل يوحنا ما ذكره الاصحاح
السابع من أن المسيح كان يتفادى في البدء الذهاب الى اليهودية
لان اليهود كانوا يطلبون قتله حيث يفيد ذلك ان اليهود ناوآوه
منذ البدء وعزموا على القضاء عليه حينما سمعوا اقواله وتعاليمه
ورأوا افتتاح الناس به . والمتبادر ان المقصد من اليهودهم الزعماء
والكهان ، وتفيد عبارة الاصحاح انه لم يكذب يأتي الى اورشليم
حينما رأى الوقت مناسباً لذلك حتى أرسل شرطة للقبض عليه
ولكن هؤلاء تحاشوا ذلك وقالوا انه ما نطق انسان قط بمثل ما
ينطق به هذا الرجل فلبث طليقا اياما أخرى يبشر ويدعو ويعظ
ويندد ويصنع العجائب .

والانجيل الاربعة متطابقة بشيء يسير من الاختلاف في
التفصيل في قصة القبض على المسيح ومحاكمته وصلبه وقيامته .

ولقد قلنا ان العهد الجديد يتألف من الاناجيل الاربعة ومن ثلاثة وعشرين سفرا اخرى اولها الموسوم باعمال الرسل وهو أطولها ثم اربع عشرة رسالة من القديس بولس ورسالة من القديس يعقوب ورسالتان من القديس بطرس وثلاث رسائل من القديس يوحنا ورسالة من القديس يهوذا وسفر موسم برؤيا القديس يوحنا . وما عدا السفر الاخير ، فان الاسفار الاخرى تمثل نشاط هؤلاء القديسين في مهمة التبشير والتعليم التي اتدبهم لها المسيح وقد احتوت اخبارا عما وقع لهم ووصايا وتعليمات وتشريعات وتفسيرات في صدد رسالة المسيح وبشارته وشخصيته .

وليس من منهج الكتاب التوسع في ذلك . ونقول اجمالا ان المستفاد منها ، وخاصة من اولها وهو سفر أعمال الرسل الذي يمثل نشاط الرسل في اليهودية والجليل وسورية ، أعقاب توارى المسيح والذي تتصل محتوياته بتاريخ بنى اسرائيل ، ان الرسل قد نشطوا نشاطا عظيما في سبيل مهمتهم . وان كثيرا من الناس من يهود ويونان وغيرهم من شعوب البلاد استجاب اليهم وأخذت تقوم في كل مكان جماعة منهم تسمى الكنيسة وتعيش عيشة شبه اشتراكية غير ان معظم اليهود وقفوا منهم موقف المنقبض المتجهم وقاد رؤساؤهم حركة مناوأة ومطاردة قوية ضد الرسل فكانوا يؤذونهم بمختلف الوسائل والاشكال ويهيجون عليهم الناس ويستعدون عليهم السلطات ويصفونهم بالمفسدين

المثيرين للفتن المخلين بناموس الشريعة ويتمكنون احيانا من
اعتقال بعضهم ، فكان يؤدي هذا الى تشاد وحركة مستمرة
سلبية وايجابية بين بنى اسرائيل والجماعات المسيحية ، كثيرا ما
تتج عنه نزاع وقتال مما سوف نذكر بعض احداثه فيما بعد .
وفي بعض رسائل القديس بولس اشارات الى ما كان عليه
اليهود من اخلاق سيئة والى ما وققوه من مواقف مناوئة ضد
المسيح وزسله ورسالته ، رأينا ان نقتبسها لانها مما يتصل بتاريخ
بنى اسرائيل فى هذه الحقبة ايضا .

فقد جاء فى الاصحاح الاول من رسالته الى روما « انهم
لما عرفوا الله لم يسجدوه ولم يشكروه بل سفهوا فى أفكارهم
وأظلمت قلوبهم الفتية . وقد زعموا انهم حكماء فصاروا حقيقى
واستبدلوا مجد الله الذى لا يدركه الفساد بشبه صورة انسان
ذى فساد وطيور وذوات اربع وزجافات . فلذلك اسلم الله فى
شهوات قلوبهم الى النجاسة لتضحية أجسادهم فى ذواتهم الذين
ابدلوا حق الله بالباطل واثقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق ،
لذلك أسلمهم الله الى أهواء الفضيحة فغير انائهم الاستعمال
الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة وكذلك الذكر ايضا تركوا
استعمال الاثنى الطبيعى والتهبوا بعشق بعضهم بعضا ففعل
الذكران بالذكران الفحشاء ونالوا فى انفسهم الجزاء اللائق
يضالهم . وبما انهم لم يؤثروا ان يستمروا على معرفة الله

أسلمهم الله الى رأى مرذول حتى يعملوا مالا يليق بمثلين من كل
 اثم وشر وزنا وبخل وخبث مفعمين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا
 واساءة نسامين مغتابين ممقوتين من الله شتامين متكبرين مفتخرين
 مخترعين شرورا عاقين للوالدين لا فهم لهم ولا نظام ولا ود ولا
 عهد ولا رحمة » .

وجاء فى الاصحاح الثانى منها « فان كنت يا هذا تدعى
 يهوديا وتعتمد على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتشق
 بانك قائد العميان ونور الذين فى الظلام ومؤدب الجاهل ومعلم
 الاطفال فأحرى بك ان تعلم نفسك . أتسرق وانت تكرر بعدم
 السرقة . أتزنى وانت تأمر بعدم الزنا . أتنهك المقدسات وانت
 تمقت الاوثان . أتهين الله بتعدى الناموس وانت تفتخر بالناموس »
 وجاء فى الاصحاح الثالث منها عن اليهود « ضلوا كلهم
 فرزلوا وليس احد منهم يحمل الصلاح . حناجرهم قبور نتحة
 وقد غشوا بالسنتهم . وسم الاضلال تحت شفاههم . وأفواههم
 مملوءة لعنة ومرارة . وأرجلهم مسارعة الى سفك الدماء وفى
 مسالكهم خصم ومشقة . ولم يعرفوا سبيل السلام وليسست
 مخافة الله امام اعينهم ام الله لليهود فقط ؟ اليس هو للامم ايضا
 بل للامم ايضا » .

وجاء فى الرسالة الثانية من بولس الى أهل كورنثوث «الاصحاح
 الحادى عشر » : أعبرانيون هم فأنا كذلك ، أسرائيليون هم فأنا

كذلك ، أذرية ابراهيم هم فأنا كذلك أخدام المسيح هم فأنى فى ذلك
أفضل منهم أكثر فى الاتعاب وفى السجون وفى الجلد فوق القياس
وفى الموت مرارا • جلدنى اليهود خمس مرات • وضربت بالعصى
ثلاث مرات ، ورجمت مرة وانكسرت بى السفينة ثلاث مرات •
وقضيت ليلا ونهارا فى عمق البحر • وكان الحاكم الذى تحت أمر
أرتياس الملك « الحارس ملك الانباط » يحرس مدينة دمشق ليقضى
على فدليت من كوة فى السور بزنبيل حتى نجوت منه •

وجاء فى الرسالة الاولى من بولس الى أهل تسالونيكى
« الاصحاح الثانى » : فانكم أيها الاخوة اقتديتم بكنايس الله التى فى
اليهودية اذ قد أصابكم من أمتكم ما أصابهم من اليهود الذين قتلوا
الرب يسوع والانبياء واضطهدونا وهم لا يرضون الله ويقاومون
جميع الناس ويمنعوننا أن نكلم الامم لخلاصها حتى يستثموا
خطاياهم كل حين فان غضب الله قد حل عليهم الى النهاية •

- ٢٧ -

والآن نأتى الى الاحداث التى ذكر يوسيفوس أنها أدت الى
تدمير اورشليم وتشتت الامة •
وتنبه على أن هذه الاحداث فى حقيقتها حركات ثورية ضد

السلطات الرومانية تزعمها ثلاثة زعماء من اليهود واندماج فيها كثير من اليهود بل كان يندمج فيها في بعض الاحيان كل اليهود أو جلهم وكان أذاها يمتد الى غير الرومان من سكان البلاد يهود وغير يهود بالنهب والقتل لانه كان يندمج فيها فئات متنوعة منها الصالح والطالح والمخلص والمريب والمفسامر الذي لا مأرب له الا النهب ، ولم تكن مرتبطة بنظام ودولة وحكومة •

وهذا ما جعل يوسيفوس يصف زعماءها بأوصاف رديئة حتى لكانها توهم أنها قامت للنهب والسلب وسفك الدماء والاذى وحسب •

ولقد سبقها حوادث متنوعة كانت من بواعثها • فقد تكررت محاولات القياصرة لحمل اليهود على السجود لتماثيل أو وضع هذه التماثيل في هيكلهم مما كان يثير فيهم هياجاً ويجعلهم يرفضون بقوة وعناد ويتعرضون من جراء ذلك للقمع والتكيل ، وكان يتولى عليهم ولاية متعسفون يمدون أيديهم الى اليهود بالاذى بأساليب وصور متنوعة وابتزون أموالهم ويحاربون الوثنيين عليهم مما أوردنا أمثلة عديدة له في الفصل السابق الذي اقتبسناه من الجزء الثاني المجلد الثالث من تاريخ سورية للدبس •

ولقد لخص الدبس أحداث الحرب الرومانية اليهودية عن يوسيفوس • وفي تلخيصه أشياء لم تذكر في ترجمة وطبعة صادر المختصرة • وفي هذه النسخة أشياء لم يذكرها الدبس أيضا •

وسنورد الاحداث اقتباساً من نسخة يوسفوس (١) التى فى يدنا
ومن تلخيص الدبس معا فنجمع بذلك بين المصدرين فى شرح
الاحداث الرهيبة التى أدت الى تدمير الدولة اليهودية والكيان
اليهودى فى فلسطين نهائياً • وسنستعير عبارة يوسفوس نفسها فى
بعض الاوصاف لانها أوفى لتمثيل صورة الحال •

وأول ماساق يوسفوس (٢) من الاحداث قصة العازارين حنائى
الذى سماه بأحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا سبب خراب اورشليم
وهلاك الامة ووصفه بأنه أول من ابتدأ باظهار مخالفة الروم ، وأنه
كان جباراً فاتكاً داعراً حرامياً وأنه انضاف اليه جماعة من الحرامية
وأهل الشر فكانوا يمضون الى بلاد الشام فيقتلون وينهبون ويعودون
ثم صاروا يفعلون ذلك فى بلدان اليهود فاستغاث الناس بفيلكس
صاحب الروم فاحتال عليه حتى اعتقله ونفاه الى روما وقتل أصحابه
غير أنه تمكن من الافلات والعودة ثم استأنف حركته • وقد انضم
اليه كثير من اليهود بسبب سيرة فيلكس الفاشمة وظلمه وتمكنوا من
الانتصار عليه والنجائه الى الفرار الى مصر •

وفيلكس هذا هو والى السامرة والجليل الذى ألحقت اليه ولاية
اليهودية أيضاً سنة ٥٢ ب م على ما مر بيانه قبل اقتباسنا من الدبس •
ومعنى هذا أن خروج العازار كان مبكراً بالنسبة للحوادث الاخرى

(١) تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثانى ص ٣٢٧ وما بعدها •

(٢) ص ٢١٩ وما بعدها •

العديدة التي وقعت بين اليهود وولاة الرومان بعد انسحاب فيلكس
سنة ٦٠ ب م •

ويقول يوسفوس بعد ذلك أن أغريبا الملك كان في هذه الاثناء
في روما فعاد الى اورشليم فقابله الناس وشكوا اليه ظلم فيلكس
وقالوا له انا لا نطيع الرومان بعد الآن فأخذ يحذرهم من عواقب
التمرد وشدة بطش الرومان ووعدهم بتقديم شكوايهم للقبرص وقال
لهم انه اذا علم بما وقع عليهم رفعه وما زال يلح عليهم حتى لانوا •
غير أن العازار وأصحابه لم يقتنعوا ثم هاجموا جميع من جاء مع
أغريبا من الروم كما قتلوا جميع من كان في المدينة منهم دون علم
أغريبا الذي كان يقيم في المعسكر الروماني خارج المدينة • ثم دخل
الهيكل وأخرج جميع الهدايا والذخائر التي بعث بها ثيرون ومن
قبله من القياصرة وألقاها بعيدا قائلا : لا يجوز أن يكون محل قدس
الله لنجاسات الغرباء • • ولما علم أغريبا بما وقع أرسل كتية المدينة
وتضامن معها كثير من اليهود الذين تحسسبوا من بطش الرومان
ونشب صراع بين العازار وجماعته من جهة وبين الكتية والمنضمين
اليها من جهة وتمكن هؤلاء من كسر العازار وجماعته وقتل كثير
منهم في البدء ثم تحولت الرياح الى جانبهم فسيطروا على المدينة
وأحرقوا قصر الملك الذي كان فيه من الذخائر والكنوز ما لا يحصى
وفر أكثر الشيوخ والعلماء من المدينة •

وقد ذكر يوسفوس في هذا السياق انه كان بين السريان واليهود الذين يسكنون بلادهم عداوة وكان السريان في ذلك الوقت يسكنون بدمشق وحلب وقيصرية وفي مدن كثيرة غير ذلك فاحتال السريان على اليهود حتى قتلوا كل من في قيصرية ومن في دمشق فلما اتصل الخبر بأهل اورشليم وغيرهم من اليهود اجتمعوا الى دمشق وغيرها من بلاد الشام فقتلوا من بها من السريان وعادوا بغنائم كثيرة وسلب جزيل واجتاز اليهود في عودتهم بمدينة حصينة من مدن السريان يقال لها ستيلو فنزلوا عليها وحاصروها وأرسلوا الى اليهود الذين فيها يشيرون عليهم بالخروج من المدينة والانتقال منها وقالوا لهم انهم لا يأمنون عليهم من السريان فلم يقبلوا منهم بل أجابوهم بالقبيح وخرجوا وحاربوهم معاونة للسريان عليهم فانصرف اليهود عنهم . فلما كان بعد أيام خاف السريان من اليهود فاحتالوا عليهم وقتلوهم بأجمعهم وكانوا خلقا كثيرا .

وقد ذكر الدبس في تلخيصه هذا الحادث بشيء من الاختلاف عزوا الى يوسفوس ، ثم أورد بعده سياقاً طويلاً ليس وارداً في نسخة يوسفوس التي في يدنا ذكر فيه خبر مذابح كثيرة وقعت بين اليهود والسوريين في مدن الجليل والشام ومصر . وقد رأينا أن نورد ما ذكره عن هذا الحادث ثم ذلك السياق لانهما مهمان في بابهما في صدد تاريخ بني اسرائيل وعلاقتهم بسكان البلاد التي

كانوا يقيمون فيها في هذه الحقبة امتدادا لما قبلها وما كان من تاصل العداوة والاحقاد بين بني اسرائيل وهؤلاء السكان .

ومما جاء فيه أن خبر قتل الثائرين لجنود الرومان في اورشليم لما بلغ فيصرية اغتتم اليونان والسوريون فيها الفرصة فوثبوا على اليهود فقتلوا عشرين ألفا منهم بامداد فلورس فأثارت هذه المقتلة الحق والانتقام من الوثنيين فدمروا قرى ومدنا عديدة وقتلوا من وقع بيدهم فثار عليهم السوريون ووثبوا على قرى اليهود ومدنهم فنهبوا وقتلوا وأحرقوا وأمست سورية في حالة يرثى لها فلم تكن مدينة الا قام فيها الشغب والقلق والقتال .

ثم ذكر قصة المدينة التي سماها يوسيفوس في الترجمة التي تحت يدها سفيلو وسماها الدبس سيتوبولي أي بيسان . وهذا تفسير الدبس « وقال : انه لما اتصل ما فعله أهل بيسان باليهود فيها بساقى المدن تاروا على اليهود فقتل أهل عسقلون منهم ألفين وأهل عكا ألفين وذبح أهل حصور كثيرين وكذلك صنع الوثنيون في مدن عديدة . وأما أهل أنطاكية وصيدا وأباميا فأبقوا على اليهود لقلّة عديدهم ولانهم لم يروا منهم ما يخل براحتهم . وأما مملكة أغريبا وهي الجولان والجيدور وحوران فلم ينج أهلها . فقد جاء اليهود الى نائب أغريبا فاروس وطلبوا منه جنودا لحمايتهم فكان جوابه أن أرسل من قتلهم ليلا عن آخرهم ثم لم يدع جورا ولا اعتسافا الا وأقدم عليه . ولما بلغت أغريبا أخبار ظلمه عزله ولم يقتله لاتصال

نسبه بأحد اليهود المقيمين بين ظهرائهم ، فاعتنموا فرصة خروج
 أمتهم على الرومان فاجتمعوا للتشاور وانسل بينهم بعض اليهسود
 فحسبوهم جواسيس وقبضوا عليهم وأرادوا حرقهم أحياء ففسارح
 اليهود مدججين بالسلاح لانقاذ اخوانهم . وكان والى المدينة اسكندر
 طيناريوس رجلا ارتد عن مذهب اليهود وصار وثنيا فأطلق جنوده
 على اليهود كالضواري فقتلوا منهم خمسين ألفا وانهبوا بيوتهم
 وحواسنهم . ولما رأى غلوس والى سورية الهياج على اليهود من كل
 فج جمع جيشا وسار به الى عكا وانضم اليه كثيرون من سكان المدن
 المجاورة لها . وجاء اليه أغريبا ببعض جنوده فزحف الجيش الرومانى
 الى زابلون ففر أهلها الى الجبال فانهبها وحرق بيوتها التى لم تكن
 أبنية صور وصيدا وبيروت أحسن منها ونهب وأحرق القسرى
 المجاورة لها وعاد الى عكا . فشجع عوده اليهود وتعقبوا السوريين
 فقتلوا منهم ألفى رجل أكثرهم من بيروت كانوا تباطأوا لطمعهم
 بالاسلاب . ثم سار غلوس من عكا الى فيصرية وأرسل كتائب من
 جيشه الى يافا فباغتوا أهلها وقتلوه عن آخرهم ونهبوا المدينة
 وأحرقوها وكان عدد القتلى ثمانية آلاف وأربعمائة وأرسل كتيبة من
 الفرسان الى جهة السامرة فقتلوا كثيرين من الاهلين . ثم أرسل
 فريقا آخر الى الجليل ففتحت مدينة صافوريس (صفورية اليوم)
 أبوابها للجنود واقتدى بها غيرها ، غير أن المشايخين اعتزلوا فى جبل

عرمون فسار اليهم الجنود وظهروا عليهم وقتلوا أكثرهم . وعرف
 غلوس أن كثيرا من اليهود اجتمعوا في برج أفيق (المعروف بفتوحه
 على قول كندر وبالفولة على رأى كاران في مرج ابن عامر والتفسير
 للدهس) فأرسل كتية لضربهم فلم يجسروا أن يقوموا في وجهه
 الجند فذهب الرومانيون أفيق والقرى المجاورة لها وأحرقوها . ثم
 سار غلوس الى اللد فلم يجد من أهلها الا خمسين رجلا لانهم كانوا
 مضوا الى اورشليم لعيد المظال فقتلهم وأحرق مدينتهم وسار بعسكره
 نحو اورشليم وأنزل جيشه في جبة القرية منها (والسياق يفيد
 أن حركة غلوس وتكبلاته كانت ضد اليهود) ولما رأى اليهسود
 دنو جيش الرومانيين من عاصمتهم تركوا حفلات العيد ولم يرعوا
 السبت وخرجوا على جنود الرومان فكسروا طلائعهم حتى وصلوا
 الى قلب الجيش فارتد الرومانيون الى بيت أور وتربص غلوس ثلاثة
 أيام وأرسل أغريبا رسالا الى اليهود يبلغونهم من قبل غلوس أنهم اذا
 ألقوا سلاحهم وأخلصوا في الطاعة أراحهم مما يشكون منه فلم يثن
 المشاغبيون عن عزمهم بل قتلوا أحد الرسل وفر الثاني مشحنا بالجراح
 فاستاء الشعب من ذلك وأرغموهم بالحجارة والعصى على الفرار من
 المدينة . واغتتم غلوس فرصة انقسامهم وزحف عليهم وهزمهم
 وتعبهم الى اورشليم وحل في جانبها وأنذرهم بالارعواء فلم يرعوا
 فصنف جنوده للمقاتل فلم يقفوا في وجههم بل تألبوا في الهيكل فدخل
 غلوس المدينة وحل في أعلاها وحرق بعض بيوتها فعادت الحمية

اليهود وتحصنوا بالابراج واستمروا يدافعون خمسة أيام وفي اليوم السادس دنا الرومانيون من الهيكل وكان اليهود يرشقونهم بالنبل من شرفات الهيكل ، ولكنهم كانوا يتقون بتروسهم ويتقدمون وأخذوا يتقنون الحائط . غير أن غلوس رفع الحصار بسبب المطر وقلة المؤونة فحسب اليهود ذلك انكسارا وهزيمة فخرجوا وتعقبوا ساقه الجيش وقتلوا بعضهم وظل الجيش الروماني في انسحابه واليهود في تعقبهم له وقتلهم من قدروا عليه منهم حتى بلغ مقدار القتلى ستة آلاف وعادوا الى اورشليم مبتهجين بالنصر وأخذ هو يتعاضد ولم يعودوا يفكرون في مسايرة الرومان ومصالحتهم .

ويقول يوسيفوس : ان أغريبا سار الى روما وأخبر نيرون بما جرى فأرسل حملة بقيادة قائد اسمه كسينا لرد اليهود الى الطاعة . ولما وصل الى فلسطين أخذ يحرق جميع ما يمر به من مدن اليهود ويقتل أهلها الى أن انتهى الى اورشليم . وخرج اليهم العساكر الخارجى وأصحابه فاشتبكوا معهم فهزموهم فارتدوا الى المدينة وتحصنوا فيها ، وعرض كسينا عليهم الصلح فرفضوا ثم خرجوا وتمكنوا من قتل كثير من الرومان . ولما رأى كسينا شدة بأس اليهود خاف منهم ورأى أن يتعد عنهم قبل أن يستأنفوا الهجوم عليه فأشعل في الليل نيرانا كثيرة وضرب بالابواق وأثار حركة قوية ليوهم اليهود بوجوده ثم انسحب بعد نصف الليل الى قيسرية . وفي الصباح خرج العازار وجماعته فوجدهم قد انسحبوا فتبعهم وقتل

خلقت كثير منهم . • ويستمر يوسيفوس في سياقه فيقول ان كسينا
 وأغريبا عادا الى روما فأخبرا نيرون بما جرى فعظم الامر عليه •
 وكان له قائد عظيم اسمه وسباسيانوس عاد الى روما في ذلك الظرف
 بعد انتصارات أحرزها في الاندلس فأمره بالمسير الى اليهود
 واستئصالهم وتدمير بلدانهم وحصونهم ، وأرفقه بجيش عظيم • وبلغ
 اليهود الخبر فأخذوا يستعدون للمقاومة ، وقسموا البلاد ثلاث مناطق
 عسكرية واحدة في الشمال وهي منطقة الجليل ، وثانية في الجنوب
 وهي منطقة القدس ، وثالثة في شرق الاردن • وجعلوا على كل
 منطقة قائدا وطفقوا يحصنون المدن والبلاد • وكان طريق زحف
 الرومان المنطقة الشمالية • ومع أن يوسيفوس يقول : ان عدد من
 كان في المنطقة من محاربي اليهود ستون ألفا فانه قال ان القائد خاف
 وانسحب الى حصن اسمه يوزاب فتحصن به ونزل الرومان على
 الحصن وأرسل الى القائد اليهودي يدعو الى الصلح فأرسل الى
 اورشليم يستشير فجاءه الجواب بعدم المسالة وتفضيل الموت • وجبن
 القائد فاستلم القيادة يوسيفوس الذي يقول الدبس انه المؤرخ نفسه
 • مع أن النسخة التي في يدنا لا تذكر ذلك - وأخذ يشتبك مع
 الرومان ، وامتدت المصاولة خمسة أيام • وقتل من الفريقين خلق
 عظيم ، واستمات اليهود في الحرب ، وكان الرومان يقوون بمن
 كان ينضم اليهم من الامم التي أظهرت العداء لليهود في بلاد الدولة
 ونحوها على ما يذكره يوسيفوس ، بينما كان عسكر اليهود يقلون

ويضعفون • ثم انقطعوا عن الخروج وأغلقوا الابواب فحاصروهم الروم وقطعوا عنهم الماء حتى أجهدوهم فخرجوا مستميتين واشتبكوا مع الروم ثانية وكادوا يهزمونهم ، ثم انكسروا وارتدوا الى الحصن ، واستمرت الحالة على ذلك ثمانية وأربعين يوما • وتمكن الروم في النهاية من افتتاح الحصن وقتل جميع من كان فيه واستطاع القائد يوسفوس وأربعين من رجاله الإفلات والنجاة الى مغارة • وأرسل القائد الروماني من تبعهم وحاصروهم وطلب منهم الاستسلام • ومال القائد الى ذلك فأبى رجاله وفضلوا الموت وكانت بينهم وبينه محاوره يبرز عليها الخيال في صور ترجيح الموت على التسليم ثم أخذوا يقتلون بعضهم بالقرعة عدا يوسفوس الذي فضل الحياة وخسرج مستسلما للقائد الروماني • وقد أشار عليه بعض اليهود الذين معه بقتله فأبى مما فيه دلالة على أن جماعات من اليهود كانوا يقاتلون بني قومهم في صفوف الرومان • وبعد ذلك فتسح ومباسبانوس حصون اليهود ومدنهم في الجليل والسواحل وقتل جميع من قاومه وأحسن لمن استسلم وخضع حسب تعبير يوسفوس •

وكان برز في هذه الاثناء في الجليل من قرية كوشاله - لعلها أكسال اليوم وهي من قرى الشمال - شخص اسمه يوحانان وصفه يوسفوس بأنه الخارجى الثانى وأنه كان ذا عقل وافر ومعرفة بليغة وحكمة الا أنه كان رجلا شريرا يرتكب العظائم ويستحل المحارم وقد انضاف اليه جماعة من أهل الشر قوى بهنسم على ما يريد فكان

يقتل الناس ويأخذ أموالهم ويستبيح نعمهم قأيسر وكثر ماله
وانبسطت يده (١) . فلما فتح الروم مدينة كوشسالة هرب مع
أصحابه الى اورشليم . وكان قد التجأ اليها من المدن التي استولى
عليها الروم جماعات كثيرة من شرار اليهود ، فلما جاء يوحنا
انضموا اليه فقوى أمره وانبسطت يده على المدينة وأخذ ينهب أموال
أهلها ويمنحها لجماعته ، وعزل رئيس الكهان وعين مكانه جاهلا
من عوام الكهنة وطفق يقتل من يمتنع عن تنفيذ أوامره ورغباته مهما
كان فيها من مخالفة للشرع فعظم شره على الناس حتى تمنوا أن يأتي
الروم ويستولوا على المدينة ويستريحوا . وقد اجتمع رؤساء المدينة
الذين مع حناني الكاهن المعزول ، وانضاف اليهم خلق كبير وأخذوا
يشتبكون مع يوحنا وجماعته فكانت حربا أهلية ذهب ضحيتها عدد
كبير من الفريقين ثم اتخذ يوحنا وجماعته المعبد مركزا وحصنا
وأرسل الى أدوم يطلب منهم النجدة ، فجاءه عشرون ألف محارب ،
ومحاول حناني منعهم من دخول المدينة ، وأغلق دونهم الابواب .
وتظاهر الادوميون بالانبطاع العرب بالاستعداد لنصرة حناني على

(١) في تلخيص الديس ان يوسيفوس المؤرخ هو الذي ولاه اليهود على منطقة
الجليل ، وان يوحنا الخارجي خرج في عهده وكان يناوئه طمعسا في منصبه وان
الجليليين انقسموا فريقين فريقا مع هذا وفريقا مع ذلك وان رئيس مجمع اورشليم
كان متحزبا مع يوحنا ضد يوسيفوس فأرسل اليه نجدة وان أهل بيسان والجيش
وطبريا اظهروا العداء ليوسيفوس نتيجة هذا الانقسام فحاربهم ، وهذا ليس في
نسخة يوسيفوس ترجمة صادقة . وينطوي فيها صورة لما كان عليه اليهود من فوضى
بليلة في هذه الحقبة .

يوحانان ، فكاد ينخدع ويفتح لهم الابواب غير أن السوء في هذه
الآونة أرعدت وأبرقت فخاف اليهود وفروا الى بيوتهم ففسسارع
جماعة يوحانان الى الابواب ففتحوها للادوميين وصاروا واياهم يدا
واحدة على المدينة . وأخذوا يكبسون المنازل وينهبونها . وقتلوا
عددا كثيرا من عظمائها وأغنيائها وعوامها . واستمرت الحالة على
ذلك أياما ثم بعث يوحانان سرايا الى المدن التي استسلمت للروم
فتحت كثيرا منها وقتلت أهلها ونهبت أموالها . وأرسل أهل اورشليم
- لما عظم بلاؤهم - رسلا الى وسباسياتوس يشكون مما نالهم
ويسألونه انقاذهم . فامتنع عن السير أولا الى اورشليم وسار الى
مدينة اسمها أفرادا على الاردن كان يحاصرها جماعة من يوحانان
ففروا من أمامه فتبعهم وقتل بعضهم وألقى بعض آخر أنفسهم في
النهر ففرق معظمهم . ثم سار الى بلاد أدوم ففتحها ثم فتح سبسطية
ثم جمع جموعا وسار نحو اورشليم .

وكان في هذه الاثناء قد برز في اورشليم شخص اسمه شمعون
سماء يوسفوس بالخارجي الثالث وقال عنه انه كان ساقطا شريفا
ظالما سافكا للدماء فأخذ يفعل مثل يوحانان فطرده حناني الكاهن من
المدينة - ونسى يوسفوس أن حناني مغلوب على أمره معسزول من
يوحانان - فمضى الى بعض الضياع فانضاف اليه جماعة من الاشرار
واللصوص وقطاع الطريق حتى صار عددهم عشرين ألفا فخاف أهل

القدس منه فبعثوا اليه عسكرا ليحاربوه - ونسى يوسفوس أن أهل
أورشليم أعجز من يرسلوا جيشا وكانوا في أشد حالات البلاء
والمحنة من يوحانان وجماعته والادوميين الذين جاءوا لمساعدته -
فهزمهم شمعون وقتل كثيرا منهم وقوى أمره وأخذ ينهب الضياع
ويتلف الزروع فتعاطم الهم واشتدت المحن لأن يوحانان في أورشليم
يقتل الناس وينهب الاموال وشمعون في الخارج يفعل مثله • واشتد
خوف الناس على أنفسهم وأموالهم وحریمهم وكان أذى يوحانان
خاصة أشد حتى لقد أرسل أهل أورشليم يستمدون العسكون من
شمعون ليكفيهم شره • وسارع هذا الى التلبية وعاهداهم على حسن
السيرة فلما صار في المدينة نقض العهد وأخذ يفحش هو الآخر
في القتل والنهب والتدمير ويشتمك في ذات الوقت مع يوحانان
وجماعته • • •

وفي هذه الاثناء ورد الخبر لوسباسيانوس بموت نيرون وتملك
رجل ساقط فغضب هو وجيشه لذلك ونادى الجيش به فيصرا ٦٩
بم وقسم عسكره قسمين أخذ أحدهما معه واتجه نحو روما للتوطيد
سلطانه وترك النصف الثاني مع ابنه تيطس ووصاه بمحاربة اليهود •
وظلت الحالة شديدة عصية في أورشليم والاشتباكات متصلة بين
يوحانان وشمعون وتقاسم الزعيمان المدينة واحد في أعلاها وآخر
في أسفلها • وانضم فريق من الكهان والرؤساء الى واحد وفريق

آخر الى الآخر وكثر القتل في الشوارع والازقة والمعبد وكانت
 نجث القتلى تتراكم على بعضها وانتشرت رائحة الموتى وكثرت
 الامراض وكان لا يشي امرؤ الا على قتيل أو دم أو أمعاء ممزقة .
 وكان الفريقان يتراشقان بالنيران فتشيب الحرائق . وهكذا اجتمع
 على أهل المدينة آفات القتل والحريق والجوع وعلا ضجيجهم
 وبكاؤهم وكرهوا الحياة وتمنوا الموت . .

ولما فرغ تيطس من بسط سيطرته على الجليل والسامرة زحف
 الى اورشليم وحينئذ اجتمع رؤساء الخوارج واصطلحوا واتفقوا على
 وقف الحرب فيما بينهم ومحاربة الروم متضامين وخرجوا من
 اورشليم . ولكن تيطس انتصر عليهم وهزمهم فعادوا الى المدينة
 وأغلقوها ولم يلبثوا أن تنافسوا على الزعامة فانتقض العهد بينهم
 وعادوا الى ما كانوا عليه من الشر والحرب . ودخل يوحانان الى
 المعبد مع أصحابه وقد أخفوا سلاحهم فأمن اليهم الكهنة والناس
 واستقبلوهم ولكنهم لم يلبثوا أن أظهروا سلاحهم حينما صاروا في
 داخل المعبد وأخذوا يقتلون الناس والكهنة بغير رحمة ولا شفقة .

ووصل الخبر الى ألعازار وشمعون فبادروا اليهم وأخسذوا
 يشبكون معهم . وبينما كانت الملاحمة دائرة في اورشليم والمعبد
 كان تيطس يجد في فتح الثغرات في الاسوار وكانت ثلاثة واحداً
 وراء الآخر . وكان كلما تمكن من فتح ثغرة في سور اتفق اليهود

فيما بينهم على وقف الحرب والتضامن ضد الروم ، وكانوا يستميتون في الحرب ويكبدون الروم خسائر فادحة . وحاول تيطس أن يخذل بعضهم عن بعض وكان معه يوسيفوس الذي استسلم اليه في الجليل فجعل يخاطبهم ويعدهم ويمنيهم ويذكرهم بأحداث أسلافهم فقابلوه بالشتيمة والحجارة وحينئذ اغلظ لهم القول وأنذرهم بالهلاك والفناء .

وقد أورد يوسيفوس هذا في سياق طويل يبرز عليه الخيال والتهويل والمبالغة والمناقضة . ثم قال ان تيطس ترك محاربة اليهود واكتفى بحصارهم والتضييق عليهم الى أن يقهرهم الجوع وشدد عليهم الحصار حتى جهدهم الجوع فعلا واضطروهم الى فتح الابواب في النهاية . ومما ذكره أن قوما من الاشرار سعوا الى شمعون بأمشى الكاهن الاكبر وقالوا له انه يريد أن يستأنس للروم فقبض عليه وعلى أولاده وقتلهم فوق السور بعد أن أنبه الكاهن بخطاب طويل يبرز عليه الخيال هو الآخر ثم أتبعهم بعشرات من الكهان والوجوه الذين وشى بهم الواشون أو أنكروا قتل أمشى الكاهن .

ولقد طال الحصار على المدينة وفنى كل ما فيها من القوات حتى أكل سكانها الجيف ودبيب الارض ، ومنهم من أكل أولاده ، وهلك خلق كبير من الجوع واشتغل الاحياء بأنفسهم ، وتركوا المسوتى بدون دفن ، فامتألت المنازل والشوارع والازقة بالجثث وتعفنت

وخفتت الاصوات والمنساحات ، وكان الخوارج يلقون الموتى الى
الوادي الواقع في شرقي المدينة من الاسوار حتى صار منهم أكوام
عظيمة وصار الناس يخرجون الى الروم بالالوف دون أن يمنعهم
أحد ، وكان الخارجون يبلعون ما عندهم من ذهب وفضة ثم
يستخرجونه من البراز بعد وصولهم الى الروم ، وانتشر خبر ذلك
بين العرب والسريان الذين هم في عسكر الروم فأدى الى قتل كثير
من المستأمنين طمعا بما في أجوافهم من ذهب وفضة . وكان نيطس
يرقب الحالة ، ويضيق الحصار ، ويجد في هدم الاسوار ، ولقد
تمكن من هدم السور الثالث فما كان من رجال العصابات والمقاومة
على شدة ما حل فيهم من ارهاق وعناء الا أن بنوا سورا جديدا في
ليلة واحدة على ما زعم يوسيفوس وأشغلو الروم بمناوشاتهم خارجه
الى أن تم بناؤه . وعاد نيطس يخاطب زعماءهم مرغبا محذرا داعيا
الى الاستسلام فردوا عليهم ردودا شديدة فأوقف القتال ثانية لعل
الجوع يحل المشكلة . وقد ساق يوسيفوس هذا أيضا في سياق
طويل يبرز عليه الخيال والتهويل والتناقض . وقد تمكن الروم في
النهاية من خرق الاسوار ، ودخل المدينة وأخذوا يفتكون في
اليهود ويعملون في المدينة والحرم يد التدمير والسلب . وقد
أغضبهم عمل أقدم عليه بعض اليهود ، حيث أشعلوا مكانا كان فيه
جمع من الروم ، فهلكوا حرقا، فاشتدوا في الفتك والنهب والتدمير

ويقول يوسفوس : ان اليهود الذين كانوا يدافعون الروم حول المعبد لما غلبهم الامر ورأوا المعبد قد احترق قالوا ما لنا وللحياة وزجوا أنفسهم في النار واحترقوا . . وان اليهود الذين هم في أحياء المدينة الاخرى لما علموا بأن قدس الاقداس قد احترق مضوا الى جميع ما في المدينة من قصور ومنازل فأحرقوها بما فيها من ذخائر وعدد وأموال ثم أخذوا يقاتلون الروم قتال الموت حتى قتلوا عن آخرهم . . ويقول أيضا ان يوحانان وشمعون الخارجيين أرسلوا الى تيطس يطلبان منه الامان فأرسل يندد بهم ويعدد ما سيوه لامتهم وبلادهم من خراب وطلب منهم الاتيان بدون سلاح وعلى هيئة المساكين فأبوا وظلوا معتصمين في جبل صهيون ، ثم انحدروا ليلا الى المعبد ، فقتلوا قائدين للروم كان تيطس وكلهما بحفظه فسأله غضب تيطس ، وأمر بقتل من بقي في المدينة بأمان سابق منه ، فقتل خلق لا يحصى عددهم . وأرسل الادوميون الذين كانوا مع شمعون يطلبون الامان ، فعلم هذا بذلك فقتل رؤسائهم فهرب الباقون الى تيطس . وقد تمكن شمعون ويوحانان من الانحذار من الجبل والفرار غير أن تيطس أرسل من طاردهما وظفر بهما في النهاية . وهكذا دمرت اورشليم ودمر المعبد للمرة الثانية وفنى اليهود في المدينة قتلا وجوعا بأيدي بعضهم وأيدي الرومان معا .

وقد ذكر يوسفوس أن موكلًا بأحد أبواب المدينة أحصى من

أخرج ميتا من بابه فبلغ عددهم مائة وخمسة وعشرين ألفا وأن رؤساء اليهود الذين استأمنوا للروم ذكروا أنهم أحصوا الموتى الذين أخرجوا من جميع الابواب في مدة الحصار والحروب فبلغ عددهم ستمائة ألف وذلك غير من طرح في الآبار ومات في الشوارع والازقة ولم يدفنوا وأن الذين قتلهم الرومان في الحروب وغيرها والذين قتلهم الخوارج قد بلغوا ألف ألف انسان ، وأن جملة من سباه تيطس غير الذى أئمنه بلغوا تسعة وتسعين ألفا وأن معظم أصحاب الخوارج قد هلكوا في الحرب ومن بقى منهم وقع في أسر تيطس فأخذهم معه ، وكان يلقي منهم للسياج في كل منزل ينزل فيه جماعة الى أن هلكوا جميعهم .

وقد يكون في الارقام مبالغة ولكن المتبادر من السياق أن معظم يهود اورشليم — وكثيرا من اليهود كانوا تجمعوا فيها — قد قتلوا قتلا وسبيا بالاضافة الى ما فنى من يهود الجليل وغيره .

وقد ذكر يوسيفوس في خاتمة كتابه أن العازار لما رأى ما فعله شمعون ويوحنا من سفك ونهب وتدمير نزع الى خارج القدس وانزوى الى أن رحل تيطس . ثم ظهر ومضى الى قرية اسمها ماصيو فرمم سورها وحصنها وأقام فيها ، وسمع به الناس فأخذوا يفدون عليه ويتجمعون حوله . واتصل خبزه بتيطس وهو في أنطاكية فأرسل قائدا من قواده على رأس قوة فنزل على ماصيو وشدد عليها

الحصار • ورأى المحصورون أنهم لا قبل لهم بالروم فتشاوروا في طلب الأمان والاستسلام • ولكن ألعازار خطب فيهم خطبة طويلة ليقتنعهم بعدم فائدة الاستسلام ويفضل الموت الكريم على حياة الذل والسبي • وأخذ يذكرهم بأحداث التاريخ وجهاد الآباء حتى قنعوا وقضوا ليلة ليلاء ناحوا فيها وبكوا وودعوا بعضهم ثم قتلوا نساءهم وأولادهم وألقوهم في الآبار • وخرجوا بعد ذلك مستقلين فلم يزلوا يحاربون الروم إلى أن قتلوا جميعا •

وقد أورد يوسفوس هذا في سياق طويل كذلك يبرز عليه المبالغة والغلو •

وبهذا الحادث ينتهي كتاب يوسفوس •

والسياق يسوغ القول أن ثقل التدمير والابادة قد أناخ بكله على أورشليم بنوع خاص • والمستفاد من روايات الدبس في الجزء الثاني - المجلد الثالث والمجلد الرابع من كتابه تاريخ سورية أنه بقي في فلسطين شراذم من اليهود وبعد خراب أورشليم برغم جلاء كثير منهم عن فلسطين وتشتتهم في كل قطر وخاصة في الأقطار المجاورة مثل مصر وقبرص وتدمر وليبية وبين النهرين •

بعد تدمير اورشليم

- ١ -

لقد سجل التاريخ لبني اسرائيل في فلسطين وخارجها أحداثاً متنوعة بعد تدمير اورشليم رأينا أن نلم بها في هذا الفصل الذي سيكون خاتمة الكتاب *

فكما ذكره الدبس (١) من ذلك أن فسيبيان عين واليا على اليهودية اسمه بسوس وأمره أن يسير مع شرازم اليهود الباقية فيها سيرة الشدة واليقظة ، وأنه أمر بهدم هيكلهم في الاسكندرية لانه رأهم تكتلوا حوله بعد تدمير اورشليم وهيكلها تكتلا قد يجسر المتاعب من ناحيتهم *

كذلك مما ذكره (٢) أن اليهود هاجوا وماجسوا في قبرص والقيروان ومصر في عهد الامبراطور تراجان (٩٨-١١٧ م) وقتلوا كثيرا من الوثنيين واليونانيين * وأبدوا من القسوة والهمجية بما لا يكاد يصدق حيث كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دمه ويتحزمون بأمعائهم ويلتفون بجلودهم وقد شطروا كثيرين من

(١) تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثاني ٥٦٨ وما بعدها .

(٢) سني حكم القياصرة في هذه النبذة مأخوذة من القائمة الملحقه بالمجلد

الرابع - الجزء الثاني من تاريخ سورية للدبس ص ٥٥٩-٥٦٢ .

رأسهم الى أسفل وأرغموا كثيرين على مصارعة بعضهم وقتل بعضهم قاصدين بكل ذلك الى الثأر بدم آبائهم الذين هلكوا أيام نيطس (والعبارة للديس) حيث يبدو في هذا صورة فظيعة من صور انفجار الاحقاد والقسوة ضد غيرهم ولو لم يكونوا هم غرماءهم والتي تسكرت منهم نتيجة لما كان يحصل فيهم من ضربات واضطهادات .

وقد روى أن عدد الذين قتلهم اليهود في ليسيّة والقيروان (٢٢٠٠٠٠) وفي قبرص ٢٤٠٠٠٠ ، أما الاسكندرية فان أهلها تغلبوا على اليهود وقتلوا من كان منهم فيها . وقد أثنى قادة تراجان والقبرصيون في اليهود الذين في الجزيرة وطرّدوا من نجا من القتل وسنوا قانونا حرموا به الجزيرة على اليهود وكانوا يقتلون كل من أقبل عليها ولو ضالا أو مدفوعا بعاصف . وأرسل تراجان الى ليسيّة ومصر قائدا على رأس جيش كبير فأهلك من اليهود فيهما جمعا غفيرا وقائدا آخر على رأس جيش الى ما بين النهرين فأوقع فيهم ملاحم . ويظن بعض المؤرخين أن كثيرين من المسيحيين قد هلكوا في هذه الوقائع ، اما أن يكون اليهود قتلواهم لبغضهم لهم أو الوثنيون لعدم تمييزهم اياهم عن اليهود .

ولقد ذكر ادى شير مؤلف كتاب تاريخ كلدة وأشور (١) أنه

كان في ما بين النهرين جماعات كبيرة من اليهود أنسال السبي الذين
تخلفوا عن العودة وأنهم نشروا سنة ١٤٤ ب م أي في عهد تراجان
كذلك لواء العصيان فأمر القيصر واليه الذي كان اسمه لوسيا فقتل
منهم جما غفيرا لا يحصى . ومن المحتمل أن هذه الثورة امتداد لما
كان من ثورات اليهود في مصر وقبرص وليبية .

ومما ذكره الدبس (١) ان القيصر اديان ١١٧-١٣٨ ب م أمر
جنوده بتمهيد محل خرابة الهيكل ثم بنى فيه هيكلا للمشسرى
وأسكن جالية رومانية في جبل صهيون ومنع اليهود من الختان .
فهاجوا وماجوا ونسوا ما حل فيهم في عهد تراجان . وحملت زمر
منهم السلاح وظهر منهم رجل اسمه بر كوكبا أي ابن الكوكب
اعتبروه المسيح المنتظر وقالوا انه الكوكب الذي بشرق من يعقوب .
وسلمه أحد رؤسائهم صولجان السلطة باحتفاء كبير . وانضوى
اليه كثير من اليهود وأخذوا يعتدون على غير اليهود وعلى الجنود
الرومانيين في الجملة . فنهض لهم والى اليهودية روفوس وأعمل
فيهم يد القتل دون تفريق بين رجال ونساء وأطفال ، ثم أرسل
ادريان قائدا على رأس جيش كبير أخذ يضرب محلا محلا مضيقا
عليهم وقاطعا موارد رزقهم واستمر يفعل ذلك ستين حتى دمر نحو
تسعمائة قرية وهدم خمسين حصنا . وقد بلغ عدد القتلى بالسيف

منهم ٥٨٠ ألفا عدا من هلك جوعا ومرضاً وحرقا حتى استمظلم
اليهود مصابهم هذا على مصابهم في حصار تيطس وفي حملة بختنصر
وكان بركوكيا من جملة القتلى . وعذب الرومان علماء الشريعة
الذين كانوا محصورين في قلعة بتير عسنادا مبرحا حتى زهقت
أرواحهم ، وسبوا كثيرا من النساء والاولاد وباعوهم بأبخس
الاثمان في أسواق غزة وترايينا ومن لم يجدوا له شاريا أرسلوه
الى مصر . وبعثوا الى روما بكثير من الاسرى غنذوا بلحمانهم
أسود الملاعب وحرموا على اليهود دخول أورشليم الا يوما واحدا
في السنة لينوحوا على خرائب المدينة ولم يسمحوا لهم بذلك الا
بعد دفع غرامة كبيرة . فكان في هذا القمع الشديد الذي يخمن
أنه كان في سنة ١٣٢ بم الضربة النهائية لليهود في فلسطين التي لم
تقم لهم فيها قائمة بعد .

- ٢ -

وقد صرفتهم الضربة على ما يبدو الى عمل ديني حيث شرع
علمائهم في عهد اديان في كتابة التلمود ليكون لهم جامعة معنوية
اذ لم تعد لهم جامعة وطنية . وقد بدأ بكتابه علماء مدرسة جريا .

وجمعوا فيما كتبوه وسموه التلمود تقاليدهم وفتاوى علمائهم وأحكام رؤسائهم وما استطرفوه من عادات •

وهو قسمان « المثنا » ومعناه الشريعة الثانية ، و « الكومار » أى التكملة وهو تفسير أو شرح للاول • ولهم تلمودان واحد يسمى الاورشليمى ، وقد بديء فى كتابته فى القرن الثانى ثم زيد عليه الى أن تكامل فى القرن الرابع • وآخر يسمى البابلى ألفه بعض الرابين بعد هجرتهم الى العراق فى اثر ما أنزله اديان فيهم ولم يكمل الا فى القرن الخامس أو السادس • والتلمود غامض العبارة • وقصدت نعمل كتابه ذلك حتى لا يظهر المعنى الصحيح لبعض النبوات، ومفهم بمزاعم وأقاصيص شبيهة بأقاصيص القدماء من الوثنيين • واليهود يفضلون التلمود على سنة موسى ، ومن أمثالهم أن الاهتمام بالتوراة قد يكون له جزاء وقد لا يكون وأما الاهتمام بالمتنافيستحق الجزاء والمكافأة وأن الاهتمام بالكومار فضيلة ليس أعظم منها • والمثنا كتب بلغة عبرانية صحيحة • أما الكومار فقد خالط لغته ألفاظ كلدانية كثيرة • وقد طبع لأول مرة كاملا فى البندقية فى اثنى عشر مجلدا سنة ١٥٢٠ وترجم الى الفرنسية وطبع بها فى باريس سنة ١٨٣٧ (١) •

على أن اليهود لم ينضوا جميعهم الى جامعة التلمود حيث بقى فريق منهم فيهم الاحبار والعلماء ينكرونه ولا يعترفون الا بأسفان

العهد القديم ويعرفون بالقرئين • وأما الذين قبلوا التلمود وساروا عليه فقد عرفوا بالربانيين (١) •

(١) جل ما ذكرناه عن التلمود مقتبس من مقال في العبرانيين للدبس ص ٥٧٥ • وفي كتاب آداب اللغات السامية لمحمد عطية الابراشي ص ٥٧ وما بعده • ان التلمود متصان متن وشرح ويسمى الاول المشنا والثاني الجمارا • والاول بالعبرانية والثاني بالآرامية • والمشنا يشتمل على احكام دينية والجمارا تشتمل على بحوث دينية وفقهية • والمشنا يذكر المبادئ والقواعد بدون نقاش غالباً بينما تحتوي الجمارا بجداً ونقاشاً ثم تنتهي بذكر الحكم النهائي • وفي كتاب اسرائيل بنت بريطانيا البكر لمحمد الرهبي ص ٥٧ وما بعدها ان الربانيين يعتقدون ان التلمسود موحى به الى الذين كتبوه خلافاً لفراليين الذين يرون انه اجتهادي •

وفي هذا الكتاب فقرات عامة مقتبسة من التلمود ليدلل مؤلفه بها على الروح التي سيطرت على واضعيه من علماء اليهود المنتسبين الى اجيال متعاقبة • وقد رأينا ان لنقل بعضها لندلل بدورنا على ان هذه الروح ليست جديدة وعلى انها كانت وظلت تطفئ على جميع بني اسرائيل في جميع ادوار حياتهم وتوجههم في الحياة ثم على الذين دونوا اسفارهم القديمة فكان من اثرها فكرة اختصاصهم من الله وفكرة تميزهم على غيرهم واحتكارهم للرب ومعنايته وتأييده لهم في كل حال وفكرة حقهم بالاستيلاء على ما في ايدي الفرد وابادته واستعباده بل واعتبارهم ذلك واجباً دينياً مما مرت الامثلة الكثيرة والنصوص العديدة في صدره •

١ - يباح لاسرائيل بل يفرض عليه قتل من امكنهم من الجويم واغتصاب مالههم وسرقتههم (والجويم تطلق على غير اليهودي)

٢ - ان املاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهودي امتلاكه

٣ - ان الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات الشعوب •

٤ - ان اليهود احب الى الله من الملائكة • وهم من عنصر الله كالولد من عنصر ابيه ومن يصنع اليهودي كمن يصنع الله • والموت جزاء الجوى اذا ضرب اليهودي •

٥ - لولا اليهود لارتفعت البركة من الارض واحتجبت الشمس وانقطع المطر •
٦ - اليهود يفضلون الجوى كما يفضل الانسان البهيمة • والجويم كالكلاب والخنازير وبيوتهم كحظائر البهائم نجاسة • ويحرم على اليهودي ان يعطف عليهم • وكل شر يفعله اليهودي معهم هو قربي الى الله •

ولقد نشر مؤخرًا بروتوكول حكماء صهيون وفيه خطط ونيات رهيبة ضد جميع الامم وفي سبيل ضمان تحطيمها من مختلف النواحي الدينية والاجتماعية والخلقية والاقتصادية سيطرت اليهود عليها • ولقد تنصل منه اليهود ولكن الخطط والنيات التي اشتمل عليها متسقة كل الانساق مع نصوص الاسفار وتعاليم اليهود بحيث يجعل المطلع عليها قائماً أشد القناعة بصحة نسبتها لليهود •

على أن التاريخ سجل لهم أحداثاً متنوعة أخرى في عهد الرومان قبل الاسلام . فقد ذكر الدبس (١) أنهم ثاروا في مصر في عهد القيصر أنطونيوس ١٣٨-١٦١ بيم الذي خلف أدريان فأخمد الرومان ثورتهم بيسر وقسوة . وقد قال الدبس بعد أن أورد الخبر أن فلسطين كانت في عهد القيصر ساويروس ١٩٧-٢١١ كما كانت في أكثر أوقاتها مضماراً للاختلافات الدينية وساحة للهسرج والشغب والسطو مما جعله يسير سيرة شديدة ولا يفضى على أقل مخالفة . وفي زمن هذا الملك نشبت الفتنة بين اليهود والسامريين مرتين كانت تؤدي الى الاقتتال نتيجة للاحقاد القديمة المتأصلة بين الفريقين الذين يدينون بدين واحد مما ذكرنا أسبابه وبعض صورته في مناسبات سابقة .

ومما رواه المؤرخون (٢) أن قسطنطين الذي كان أول من تنصر

= وان الانسان ليندهش حينما ينعم النظر في هذه الخطط والنيات المدمرة الرهيبة التي وودت في البروتوكول حينما يقابلها مع خطط الشيوعية ونياتها المدمرة حيث يجد التطابق تاماً بينها ثم حينما يذكر ان واضعى النظريات الشيوعية وكبار منفذيها فضلاً عن صفاتهم من ماركس الى انجلز الى لينين وتروتسكى وغيرهم من آلاف اليهود الذين كانوا وظلوا في كل مكان على رأس الشيوعية المخربة وكانوا متناقضين أعجب التناقض بدون مبالاة الى درجة ان بعض كبار أثريائهم في مصر والعراق قد اندمجوا في الشيوعية وكانوا يعولون منظماتها . . . واذا تنصل اليهود من البروتوكول فلن يسعهم ان يتنصلوا من التلمود ثم لن يسعهم من اسفار العهد القديم لانهم ملزمون بالاعتراف بهما وهما بين أيدي جميع الناس . وكل ما جاء في بروتوكول حكماء صهيون من خطط ونيات رهيبة مدمرة ضد جميع الامم تتمثل في الاسفار وفي التلمود معا .

(١) المصدر السابق ص ٥٧٦ - ٥٨٩

(٢) الكافي في تاريخ مصر لشاروبيم ج ١ ص ٢٤٠-٢٧٥

حاول اكرام اليهود على التنصر وقتل كثيرين من المتنعبين وتشرده
كثيرون *

ومما ذكره الدبس (١) أن الامبراطور يوليانوس ٣٦١-٣٦٣ م
م بعد أن ارتد عن النصرانية (٢) رأى أن يغيظ النصارى فيجدد
المهيكل لأن هؤلاء كانوا يقولون بناء على التنبؤات انه سيبقى خرابا
الى الابد ، واتصل باليهود بسبيل ذلك فابتهجوا وتسارعوا من كل
فج الى اورشليم للعمل مع عمال الملك على تحقيق العزيمة ، ولكن
الحرائق كانت تنشب مرة بعد مرة فتأتى على الاخشاب والمعبدات
وتهلك كثيرا من اليهود مما اعتبره النصارى معجزة ربانية
ضد اليهود *

ومما ذكره آدى شر (٣) أن اليهود في بلاده كلداه وآشور كانوا
يغضون المسيحيين أشد بغض وكانوا يحركون ملوك فارس عليهم
ولا سيما بعد أن اعتنق قيصرية الروم النصرانية وجمعهم واياهم دين
واحد وأن الاكاسرة كانوا يضطهدون النصارى اضطهادات شديدة
نتيجة لهذا التحريض . وقد أورد المؤلف سلسلة من وقائع
الاضطهاد الذي تعرض له نصارى العراق من الاكاسرة *

(١) الجزء الثانى المجلد الرابع من تاريخ سورية ص ٩١
(٢) بعض الباحثين يقولون ان لدسائس اليهود ألرا قويا فى ارتداد هذا القيصر
وقى ما كان منه للنصارى من اضطهاد ومطاردة ، انظر كتاب اسرائيل بنت بريطانيا
البحر لحمد على الرفيى *
(٣) تاريخ كلداه وآشور ج ١ ص ٨ و ٢٨-٢٩ وما بعدها

ومما ذكره شاروبيم (١) أنه تنصر جماعات كبيرة من اليهود في مصر وفلسطين في زمن القيصر ارقاديوس ٣٩٥-٤٠٨ وطمعوا بالتوراة وقالوا بوقوع تحريف فيها * وأن اليهود في الاسكندرية قاموا بمظاهرة دينية بمناسبة عيد الفصح في عهد القيصر مرقانوس ٤٥٠-٤٥٧ وصلبوا جسما على مثال المسيح فثار عليهم النصارى واشتبكوا معهم وبعث القيصر جيشا خاصا فنكل بهم تنكيلا شديدا * ومما ذكره الدبس (٢) أن جوستنيان القيصر ٦٢٧-٥٦٧ ب م أصدر منشورا عام ٥٣٠ ب م أمر الوثنيين وأولى البدع فيه بالتنصر فرفض السامريون في منطقة نابلس وثاروا وملكوا عليهم شخصا اسمه يوليانوس ووثبوا على مدينة بيسان فأحرقوا كنائسها واستحوذوا على نابلس وقتلوا كثيرين من أهلها مع أسقفها وكهنتها وخرّبوا القرى المجاورة لها فجمع قائد الجيش جنوده وزحف بهم على يوليانوس وجيشه فهزمهم وتعقبهم حتى قتل كثيرا منهم وقبض على يوليانوس نفسه وقطع رأسه وأرسله مع تاجه الى قيصر وكان عدد الذين قتلهم من السامريين عشرين ألفا * وقد عين القيصر واليسا بجديدا لانه شعر بتهاون الوالى القديم فتنبع هذا آثار السامريين في الجبال وقتل كثيرين منهم *

ويظهر أن كل هذا لم يشف صدر النصارى فأرسل بطركهم

(١) الكافي ج ١

(٢) الجزء الثانى - المجلد الرابع تاريخ سورية ص ٤٤١

فى القدس الى القسطنطينية ناسكا شهيرا اسمه القديس سابا فطلب من القيصر بأن لا يسمح للسامريين بناء مجسم مع ولا نيل شئ من المناصب وأن يبنى الكنائس التى أحرقوها ، فأجابه القيصر الى مسؤوله .

ومما ذكره المؤلف نفسه (١) أن اليهود فى انطاكية جاهدوا بالعصيان فى عهد القيصر فسوقا ٦٠٢-٦١١ ب م ووثبوا على المسيحيين وقتلوا بطركهم ودخلوا منازل بعض الاعيان فحرقوها وقتلوا أهلها فأخذت فوقا الحمية فأمر بتعميد اليهود ولو بالاكراه - تنصيرهم - وأرسل أحد عماله الى اورشليم حيث كان كثر عددهم فيها فجمع اليهود وأنذرهم فأبوا فعمدهم مكرهين فهاجوا وشغبوا واشتبكوا مع النصارى والجنود فى اورشليم واسكندرية وانطاكية بمعارك شديدة فبطش فوقا بهم قتلا وتشريدا .

وفى عهد القيصر هرقل ٦١١-٦٤١ ب م ثاروا فى صور وأرسلوا رسلا الى بنى ملتهم فى قبرص ودمشق وأورشليم يحرضونهم على الثورة بمناسبة غزو الفرس لبلاد الشام . ولقد استولى الفرس على هذه البلاد سنة ٦١٥ ب م وسبوا كثيرا من نصاراها فبادر اليهود الى شراء عدد كبير من السبى يتراوح عدده بين ٨٠ و ٩٠ ألفا وذبحوهم على ما ذكره الدبس (٢) حيث يتمثل

(١) المصدر السابق ص ٥٤١ - ٥٥٢

(٢) المصدر السابق نفسه

فى هذا الحادث عملية انتقامية بالغة القسوة والحق لم يندر أمثالها
فى تاريخهم •

وقد ذكر أدى شير زيادة على ذلك أنهم أشعلوا النار فى جميع
كنائس النصارى فى أورشليم ومن جملتها كنيسة القيامة التى فيها
قبر المسيح • فلما انتصر هرقل واسترد البلاد شكوا النصارى اليه
ما فعله اليهود فأوقع فيهم وطرد من كان فى أورشليم منهم وحرم
عليهم سكناها • وهذا ما يفسر لنا ما كان من شرط النصارى على
ال خليفة عمر بن الخطاب من عدم اسكان اليهود فى أورشليم حينما
سلموه المدينة استمرارا على ما كان من خطر ذلك عليهم فأجابهم
ال خليفة الى طلبهم وسجله فى عهد الامان الذى كتبه لهم على ما ذكرته
كتب التاريخ الاسلامى القديمة (١) •

- ٣ -

وما ذكره المؤرخون (٢) أنه كان فى تدمير جالية كبيرة من اليهود
نزحت اليها بعد تدمير أورشليم فى أواخر القرن الميلادى الاول •
ولقد لقيت هذه الجالية فى تدمير حرية وترحيبا وأثرت ثراء طائلا
من جراء ابتسام الحظ لتدمير وغدوها مركز نشاط اقتصادى كبير

(١) تاريخ كلداء وأشار ج ٢ ص ٣١٠ •

(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٠٥ مثلا •

بعد سقوط دولة الانباط في القرن الثاني • ومع ذلك فقد سجلت كتب التاريخ أن اليهود كانوا يجحدون فضل ملوك تدمر وخاصة نجمهم الاعم الزباء ويتمنون هلاكها ، وأن كثيرا منهم كانوا يحاربونها مع الفرس تارة ومن الرومان أخرى •

ولقد جلا جماعات كبيرة من بني اسرائيل الى الحجاز في نفس الظروف • واستقر فريق كبير منهم في يثرب - المدينة المنورة - وفريق آخر في القرى الواقعة في طريق يثرب الشام مثل خيبر ووادي القرى وقدك وتيماء • واشتغلوا بالزراعة والتجارة والصناعة والربا وأثروا ونموا • وقد تعلموا العربية واشتركوا في حياة العرب وتقاليدهم وصار لهم فيهم أنصار وحلفاء • وكانوا ينشرون عن أنفسهم علما واسعا في الأديان والشرائع وأخبار الأمم وسنن الكون والدين السماوي الذي يدينون به والكتب المقدسة التي بين أيديهم وكانوا يزعمون بذلك على العرب ويستفتحون ويفخرون • وقد أثر كل هذا بالعرب تأثيرا غير يسير فكان لهم بسببه بينهم مكانة دينية واجتماعية وعلمية واقتصادية ممتازة وصاروا مرجعا في مشاكلهم ومسائلهم ومعارفهم • ولقد روى الرواة العرب خبر غزو أبي جيلة ملك غسان أو تبع الأصغر ملك حمير ليثرب وتنكيله باليهود تنكيلا شديدا ذلوا من بعده • وذلك في سياق خبر عجيب مفاده أنه كان في يثرب ملك يهودي اسمه الفيطون وكان عاتيا فظا استن سسنة

اقتضاى عرائس الاوس والخزرج قبل عرسائهن فوثب عليه رجل
من الاوس أو الخزرج اسمه مالك بن العجلان فقتله وفر الى ملك
تيسان في رواية. وملك حمير في رواية مستنجدا محرضا فجاء الملك
المستجبد به ونكل باليهود • والخبر عجيب منكر وقد وصفه بعض
الباحثين بالخرافي (١) • ونحن نميل الى ذلك ولكننا لا نرى ما يمنع
أن يكون بعض زعماء الاوس أو الخزرج قد ذهب الى أحد ملكي
العرب فحرضه على اليهود لمناسبة من المناسبات • ولعلمهم بطروا بعد
أن نموا وأثروا وقوا • ولقد روت الروايات أن الملك عين مالك
ابن عجلان نفسه حاكما أو ملكا على يثرب وأنه بدوره قتل عددا
كثيرا من رؤساء اليهود وأشرافهم • وبرغم ذلك فإن اليهود ظلوا
محتفظين على ما يظهر بمركزهم الاقتصادي والاجتماعي والادبي
في يثرب استغلالا لما كان يقع بين الاوس والخزرج من نزاع وما
كانوا عليه من ثروة وبراعة صناعية وتجارية وما كان في أيديهم
من سلاح وما كان لهم من حصون وآطام وما كانوا عليه من ثقافة
دينية ومدنية لان القرآن ذكر بأسلوبه ما كانوا عليه من مركز في
كل ذلك حينما بعث النبي عليه السلام •

ولقد ذكرت الروايات العربية وأيديها المدونات اليونانية
والرومانية والحيشية القديمة أن ملكا من ملوك حمير اسمه تيسان

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب لإسرائيل ولنفسون ص ١٥ وما بعدها.

أسعد أبو كرب مر في إحدى غزواته يشرب فجاء حبران من أحرار اليهود فأعجب بهما واتبع دينهما ، وأخذهما معه إلى اليمن ودعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأجابوه . وهكذا انتشرت اليهودية في اليمن ، ويخمن أن ذلك كان في القرن الخامس بعد الميلاد . ولقد كان المبشرون النصارى قد طرّقوا اليمن أيضا عن طريق الحبشة بعد أن انتشرت النصرانية فيها بتأييد وتشجيع الامبراطور الرومانى قسطنطين الكبير فاستطاعوا هم الآخرون أن ينشروها في ربوع اليمن . ويخمن أن ذلك كان في القرن الرابع . فلما انتشرت اليهودية وغدت دين ملوك حمير أخذ رجال الديانتين يتنافسون ويتكابدون نتيجة للعداء الذى كان مشتدا بين اليهود والنصارى في مختلف أنحاء بلاد الشام ومصر وقد كسب اليهود الجولة الاولى على النصارى في أوائل القرن السادس في عهد الملك الحميرى ذى نواس حيث اشتد اضطهادهم على يد هذا الملك حتى روى أنه أمر بحفر أخدود طويل وتأجيج النيران فيه والقاء الذين يصرون على نصرانيتهم ولا يعتنقون اليهودية . ولقد أشارت إلى هذا الاضطهاد رسالة وجهها مارشمعون أمقف بيت أرشام إلى رئيس دير جبلة وأورد نصها يوحنا الاقسى في تاريخه الكنسى حيث وصف ما سمعه من شهود عيان من أهل اليمن من تعذيب نصارى نجران سنة ٥٢٤ ب م وحيث قال ان ملك حمير وجه إلى ملك الحيرة رسولا يحرضه على أن يفعل في نصارى بلاده ما فعله هو في نصارى نجران .

وقد جر هذا الاضطهاد على اليمن غزو الاحباش الذين اتخذوه ذريعة انتصارا لبنى دينهم فى الثلث الاول من القرن السادس قبل الميلاد ومحرضين أو مؤيدين من قبل الروم ، فتمكنوا من نسف الدولة الحميرية وبسط سلطانهم على بلادها نحو سبعين سنة ، وخلال ذلك كال النصارى لليهود بكيالهم حتى أفنواهم أو كادوا . .

- ٤ -

ولما بعث النبى محمد عليه السلام وقفوا من رسالته وهو فى مكة موقف التأيد والتصديق (١) . لانهم رأوه يشهد بهم ويصدق بتوراتهم ويحترم أنبياءهم ويستشهد بهم (٢) ، مؤملين على ما يبدو أن يقوى به من مركزهم بين العرب . ولكنهم لم يلبثوا أن بدلوا موقفهم حينما هاجر الى يثرب ورأوا العرب فيها ينصرفون عنهم اليه ويلتفون حوله ، ويغدو قائدهم ومرشدهم وقاضيههم ، ثم رأوا أنه يدعوهم لينضوا اليه خلافا لما أملوه من انضوائه اليهم لكونهم

(١) اقرا مثلا آيات سورة الاحقاف ١٠ والاعراف ١٥٧ والرعد ٣٦ والاسراء ١٥٧ والقصص ٥٢ .

(٢) اقرا مثلا آيات سورة الانعام ١٠ و ١١٤ والرعد ٤٣ .

أصحاب الهدى الأول • وبالتالي حينما رأوا في حركته ونجاحه خطرا على مركزهم وكيانهم • فأخذوا يناوئونه بمختلف الأساليب من تحد وتعجيز ودس وتحريض وتشكيك وخداع وتأمر مع مرضى القلوب الذين عرفوا بالمنافقين والذين صاروا لهم شياطين وألقوا معهم جبهة واحدة ضده • ولم يبقوا في حدود الجسد والمراء والدس بل تجاوزوه الى التأمر مع أعداء المسلمين والتهديد بالقوة واستعمالها ، مما جعل النبي يئس منهم وينكل بهم فريقا بعد فريق فيجلى من رأى جلاءه كافيا ويقتل ويسبى من رأى قتله وسببه واجبا ويصادر أملاكهم وسلاحهم ، ويخضع بذلك شوكتهم ، وكانت وصيته الأخيرة اخراجهم بالمرّة من الحجاز فنفذ الخليفة عسر بن الخطاب الوصية وطهر البلاد المقدسة منهم نهائيا (١) •

ولقد احتوى القرآن الكريم فصولا عديدة أشار فيها الى معظم ما ذكرناه ، ووصفت فيها بالاضافة الى ذلك أخلاقهم مع ربطها بين أخلاقه وأخلاق آبائهم من قبل ربطا محكما ونعتها جميعهم بنعت بنى اسرائيل حيث نعتهم بالكفر والجحود والحجاج والدجاج والانانية وقسوة القلب والزهو والتبجح والترفع عن الغير واعتبارهم أنفسهم فوق الناس وعدم الاندماج الصادق والولاء الثابت مع أحد والتضليل

(١) هذه النبذة مقتبسة من رسالة القرآن واليهود وكتايبه من النبي وبنيته قبل البعثة وسيرة الرسول للمؤلف ومن تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٢ ص ١٧٢ وما بعدها • وج ٤ ص ١٧٨ وما بعدها •

والدس والتدليس والتآمر والشره الشديد الى ما فى أيدي الغير
والحسد الشديد لهم ولو تمتعوا أنفسهم بأوفر النعم ومحاوله
الاستيلاء على كل شيء والتأثير فى كل أحد واللعب على كل جبل
وفوق كل مسرح واستحلالهم لما فى أيدي الغير وعدم اعتبارهم
أنفسهم مسؤولين عن شيء أمامه وضمنهم بأى شيء عن الغير اذا ملكوا
وقدروا وعدم مبادلتهم الغير فى ود وبر وولاء ومحبة ، واندماجهم
فى كل موقف مهما دنؤ وفجر وكان فيه كفر وفسق وخيانة وغدر
وبغى فى سبيل النكاية بمن يناوئونه ، وتقضهم لمبادئ دينهم فى سبيل
مكائده وتحطيمه ، وعدم تقيدهم بأى عهد ووعد وميثاق وحسب
وعدل وواجب وأمانة . وتشجيعهم لكل حاقد وحاسد وفاسد
ودساس ومتآمر فى سبيل التهديم وشفاء لداء الحسد والحقد
المتأصل فيهم . وجبنهم وهلعهم عند أى شدة وتجاه أى صعوبة
وجحودهم لاي فضل ونعمة من الله أو الغير وتذمرهم من الله
لأثفه المصاعب وكذبهم عليه وتحريفهم أوامره ووصاياه ونقضها
والانحراف عنها مما كان ديدنهم وجبيلتهم فى مختلف حقبة
التاريخية ومما نعتهم به وقررتهم عليهم أسفارهم وأنبياءهم مما تقدم
عليه الامثلة التى لا تكاد تحصى (١) .

(١) اقرأ آيات سورة البقرة ٢٠-١٤١ وسورة آل عمران ٦٥-١٢١ و ٢٨٠-١٨٩ والنساء ٤٤-٥٧ و ١٥٠-١٦٢ والمائدة ٤١-٧١ والاعراف ١٦١-١٧١ والانفال ٥٥-٦١ والاحزاب ٢٦-٢٧ ومحمد ٢٦ والحشر ٢-١٧ والصف ٥ والجمعة ٨-٥

ومن العجيب المعجز أن المرء ليراهم في أخلاقهم اليوم على اختلاف منازلهم وبيئاتهم صورة طبق الاصل لما وصفهم به القرآن والاسفار قبله من صفات وأخلاق ، لم تزدهم الايام فيها الا رسوخا مما هو مصداق ما قرره القرآن من الجيلة الراسخة المتوارثة من الآباء للابناء ومما لمسها فيهم البشر جميعا في كل زمان ومكان منذ انهدام كياناتهم نهائيا في اورشليم في القرن الاول والثاني بعد الميلاد وتشبثهم في كل قطر فلا تراهم الا والعيون مزورة منهم والسخط فائر عليهم والنفوس متبرمة بهم والناس مستثقلون ظلهم والحذر رائد الجميع منهم وشرهم ومكرهم بالغ الاثر فيهم والجميع راغب في التخلص منهم بأي وسيلة . وكفى باجماع البشر على اختلاف الزمان والمكان والاجناس قوة ودليلا على تأصل الجيلة الفاسدة التي يصدرون عنها في أعمالهم وتصرفاتهم .

- ٥ -

ونختتم كلامنا وكتابنا باستطراد مهم الى الحركة اليهودية القومية الحديثة المسماة بالصهيونية . فالصهيونيون يزعمون أن اليهود المعاصرين هم أنسال بنى اسرائيل القدماء ويحاولون أن يربطوا بين حركتهم وتاريخ بنى اسرائيل في فلسطين ، ثم يغلو غلوا كبيرا

فى هذا التاريخ ويملاؤنه بالمفاخر والامجاد السياسية والعسكرية والعمرائية والثقافية • ويجعلون ذلك مستمدا لحركتهم ومبررا لما يهدفون اليه من اقامة دولة يهودية فى فلسطين وما جاورها على اعتبار أنهم أنسال بنى اسرائيل وأنهم يعودون الى هذه البقاع التى كانت مواطن آبائهم والتى كان لهم فيها تلك الامجاد والمفاخر •

وكل هذا لا يستند الى أى سند ومنطق وتاريخ صادق • فالتأمل فى الفصول السابقة المستقاة من كتب اليهود القديمة التى لها عندهم القداسة والتأمل فى هذه الكتب نفسها يستبين بوضوح وجزم صحة جميع ما نبهنا عليه فى مقدمة الكتاب •

أما دعوى الصهيونيين بصلة اليهود المعاصرين بنى اسرائيل القدماء من حيث الجنس فهى دعوى زائفة علميا وتاريخيا من حيث أساسها • لان معظم الفئة القليلة المستضعفة منهم التى بقيت فى فلسطين بعد ضربة الرومان القاصمة فى القرنين الاول والثانى بعد الميلاد واعتنقوا المسيحية واندمجوا فى السكان الآخرين ثم اندمجوا فى الاسلام والعروبة التى كانت طابع الاسلام • ومعظم الذين نشتوا فى أنحاء سورية ومصر وشمال أفريقية واستطاعوا أن ينجوا من المذابح فى عهد الرومان اعتنقوا الاسلام كذلك واندمجوا فى الاسلام والعروبة • والذين بقوا على يهوديتهم بين الاقوام الاخرى فى آسيا وأفريقية وأوروبا اختلطت دماؤهم بدماء هذه الاقوام •

ولم يعد في الامكان علميا التسليم بأن الدم الذي يجري فيهم هو دم اسرائيلي أو دم اسرائيلي فقط . وهذا فضلا عن أنه من الثابت أن كتلا كبيرة من أصل آري في آسيا وأوروبا اتخذت اليهودية دينا . منهم من فعل ذلك قبل الميلاد المسيحي ومنهم من فعله بعده في مختلف الحقب (١) بحيث يصح أن يقال ان أكثر اليهود هم من أنسال هذه الكتل ، وان الدم الاسرائيلي العربي الذي كان في الجدود الاولين قد باد أو كاد . وان قصارى ما في الامر أن الدين اليهودي هو الطابع المخصص للكتل التي تدين بهذا الدين والتي تمت بدمائها الى مختلف الاجناس شأن الاديان الاخرى التي يجتمع فيها كتل مختلفة الاصول والاجناس ، وان أسفار العهد القديم التي

(١) ذكرنا في مناسبة سابقة اعتناق الشعوب التي أرسلها اسرحدون فلسطين من بلاد العراق للموسوية واعتناق كثير من سكان العراق لليهودية واندماج بعض هؤلاء في بني اسرائيل . وقدوم بعضهم معهم الى فلسطين حين العودة من بابل (انظر ما اقتبسناه من سفر استير وهزرا) ولقد ذكرت الموسوعة اليهودية في مجلدها السادس خبر اعتناق قبائل الخزر للدين اليهودي وانتشارها بعد ذلك في الحساء روسية وهجرتها منها الى أوروبا الوسطى في مختلف الظروف .

ولا شك في أن اعتناق اليهودية بعد تشرد اليهود من جماعات آرية ليس قاصرا على الخزر وكل ما في الامر ان الخزر اكبر الكتل المتهودة . وهم الذين يطلق عليهم اسم طوائف الاستكناز . ولقد ذكر البلاذري في كتابه فتوح البلدان ص ٢٠٨ نص كتاب امان كتبه القائد العربي حبيب بن مسلمة لاهل وسيل في بلاد الارمن والخزر حينما استولى عليها جاء فيه انه اعطى الامان لاهل وسيل نصاراها ومجوسها ويهودها اي انه كان في مناطق ارمينية والخزر يهود حين كتابة الكتاب في عهد عثمان ابن عفان ٢٥-٣٥ هـ .

والمتبادر أن اليهود لم يكونوا في مدينة واحدة فقط ، وان من المحتمل ان يكون يهود الخزر اترا من اترا نشاط اليهود او الاحتكاك بهم منذ الف وثلاثمائة سنة .

ظل اليهود يتدارسونها مع التلمود ويعتبرونها مرجعهم الديني والتشريعي والتاريخي ظلت تؤثر فيهم وتطبعهم بطابع العجيلة الشاذة التي تميز بها بنو اسرائيل .

وليس من شأن هذا وحده ولم يكن من شأنه في وقت من الاوقات أن يسبغ على هؤلاء صفة قومية متميزة . ولا سيما انهم مختلفو اللغات أيضا مع اختلاف أصولهم وأجناسهم . ومحاولة احياء اللغة العبرانية القديمة التي حفظتها الكتب والاسفار الدينية وظلت في نطاقها وحسب هي عملية اصطلاحية ومتصلة بفكرة النزوع الى احياء قومية لها لغة خاصة مما أوحى به حالة اليهود الاجتماعية والسياسية حيث رأى بعض رجالهم في القرن الفائت ألا خلاص لبنى ملتهم من تلك الحالة الا بايجاد مكان يجتمعون فيه ويحيون كأمة . فتفتقت في ذهنهم فكرة العودة الى فلسطين واحياء اللغة العبرانية لتكون لغة العائدين لانهم رأوا في تاريخ اليهود القديم ما يمكن أن يكون سندا لفكرتهم وباعثا على اعتناقها من قبل اليهود فكانت الحركة الصهيونية التي اقتبس اسمها من أحد تلال مدينة القدس عاصمة سليمان وداود وملوك دولة يهوذا من ذريتهم ، ومكان مبعدهم البائد ، والتي ترمى الى حشد اليهود في فلسطين واقامة دولة وكيان قومي لهم فيها بقوة الدافع الديني والذكريات التاريخية مهما كان في ذلك من بعد عن الحقائق ومناقضة للعلم والتساريخ

والمنطق السليم، من حيث أن اليهود اليوم ليسوا جماعة قومية تتكلم لغة واحدة وتمت إلى بني إسرائيل القدماء بأسباب صحيحة، وأنهم ليسوا إلا جماعات تدين باليهودية وتضم مختلف الاجناس والالوان واللغات ، ومن حيث انقباد أى صلة بين اليهود اليوم وبين فلسطين من الوجهة القومية ، ومرور ألفى عام على خروج بني اسرائيل منها واشغالها سكانا وسلطانا من قبل العرب الصرحاء منذ ألف وثلاثمائة سنة ، ومن قبل انسال السكان القدماء والرومان واليونان قبل ذلك بسبعمائة سنة .

وبقاء اليهود فى كل مكان وجدوا فيه كتلا منطوية على نفسها فى مساكنها ومعايشها وأخلاقها وعاداتها معرضة للاحتقاد والاضطهاد والاحتقار وخاصة فى القرن السابق وما قبله ليس من شأنه أن يعرض مسحة القومية المتميزة التى يريد الصهيونيون نسبة أنفسهم اليها ، وإنما هو متصل بوجودهم بين الكثرة الدينية الأخرى التى يقوم العداء الدينى والاجتماعى والاقتصادى بينها وبينهم ونتيجة من نتائجها ومظهرا من مظاهر حياة الاقلية الدينية والمذهبية وسط الكثرة الدينية والمذهبية الأخرى وما تفرضه هذه الحياة وامتدادها فى القرون الوسطى .

وحتى لو صحت نسبة بعضهم إلى بني إسرائيل العبرانيين القدماء الذين هم من الارومات العربية غير الصريحة فليس هذا

مخولا لهم أى حق ولا مبررا لهم أى دعوى . فقد شذوا عن
العروبة ، وغدوا وصمة عار في جبينها بل في جبين الانسانية بما
سجلوه في أسفارهم ، وبما طبقوه فعلا حينما طرأوا على شرق
الاردن وفلسطين قبل ثلاثة آلاف عام من خطط رهيبة مدمرة
ينكرها أى معنى من معانى العدل والمنطق والانسانية والخلق
والشرف وبما سجلوه لانفسهم في تلك الاسفار وطبقوه من
مميزات لا تتفق مع ربوبية الله عز وجل لجميع العالمين ولا مع
حكيمته وعدله . وبما اقترفوه من انحرافات خطيرة دينية وخلقية
فاقوا بها جميع الامم ثم بما كان منهم في فلسطين في أيامنا هذه
في حق العرب من أفعال غاية في الظلم والقسوة والبربرية متسقة
مع ما كان منهم قبل ثلاثة آلاف عام في حق العرب غير الصرحاء
في شرق الاردن وفلسطين فربطوا حاضر اخلاقهم وسيرتهم
بغابرها ربطا محكما .

على أن الهدف الصهيوني لم يتحقق في مئذاه ومداه القومي
والديني والتاريخي برغم ما بذله الصهيوينيون منذ ثمانين سنة الى
اليوم من جهود جبارة ودعاية قوية عجيبة وحكوه من مؤامرات
واسعة وتوسلوا اليه من وسائل متنوعة ، وحتى برغم ما وصلوا اليه
من نتائج ايجابية قد تبدو عظيمة وهي التي تتمثل في حشد عدد كبير
من اليهود في القسم الذي ساعدهم طواغيت الاستعمار الانكليزي

والاميركى على اغتصابه من فلسطين ، وفيما أنشأوه من منشآت ومشاريع زراعية وصناعية وتجارية وثقافية وعمرانية ، بفضل ما حصلوا من مساعدات هائلة ، وفيما حصلوا عليه كذلك من اعترافات دولية بكيانهم ووجودهم •

فاليهود الذين حشدوا الى الآن في فلسطين لا يمثلون أكثر من ١٢ في المائة من مجموع يهود العالم • وتسعون في المائة من المحشودين لم يأتوا بدافع صهيوني أى بدافع قومى ودينى وتاريخى ووطية خاطر وانما أتوا بدافع الفقر والبطالة والخوف من الاضطهاد والاغراء بالحياة الآمنة الرضية • ولم يأتى من اليهود الذين هم في حالة مدية حسنة وطمأنينة وأمن ممن يعيشون في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية الا يقل جدا برغم ما يبذل من جهود ودعايات واغراءات وخداع وما يرسل من آن لآخر من هتافات مريرة • لان ذلك الهدف غير متسق مع طبائع الاشياء وبراهن التاريخ والوقائع في شىء •

وكل الدلائل تدل على أن الحركة الصهيونية الآن في حالة جمود أو تراجع من ناحية هدفها القومى والدينى والتاريخى والتأثر به • لانه هدف لا يسنده شىء من الحق والمنطق وحقائق التاريخ والاجتماع بل ويتناقض مع كل ذلك • واذا كانت هذه الحركة

مستمرة مع ذلك على عملها ودعاياتها واغراءاتها فان مرد ذلك الى كونها قد غدت منظمة موظفين تضم عشرات الالوف الذين يرتزقون منها في فلسطين وسائر أنحاء العالم وتحملهم حاجتهم الى الارتزاق منها - ومنهم من يحصل على رزق عظيم يشبه رزق الملوك - على الاستمرار على حركتهم لانها تقوم فيما تقوم عليه على جباية الاعانات والمساعدات التي صارت أرقامها بعد قيام دولتهم لمسح مئات الملايين ، ثم الى الدول الاستعمارية التي رأّت وما تزال ترى في هذه الحركة وسيلة الى تحقيق ما ربتها في الشرق العربي فتغسّدق عليها المساعدات وتؤيدها بمختلف الوسائل والمواقف + بل ان المأرب الاستعماري يأتي لعامل الأقوى في استمرار الحركة لانه هو الذي يسمح للمنظمة الصهيونية بالقيام بنشاطها العظيم المختلف الاشكال والحصول على نتائج عجيبة منه قد يكون من جملتها تأثير رجال المنظمة الشديد بالرشوة والاغراء على مختلف وسائل وأجهزة الدولة ورجالها البارزين واخفات الاصوات المناوئة ونشاط الشخصيات والهيئات المعادية اليهودية وغير اليهودية بالترغيب والترهيب +

ولا ريب في أن طبيعة اليهودي الماكرة المحتالة الشرهة الدساسة الحاقدة الميئة لكل شر ورغبة تدمير وتحطيم ضد غير اليهود والتي تكونت في اليهود خلال الاجيال الطويلة ونتيجة للحياة التي

عاشوها والتلقيحات التي تلقوها من أسفارهم وتلمودهم من جملة ما ينبغي أن يذكر من الاسباب أيضا .

وقد تتجسح هذه الحركة في ظل الدولة المسخ التي أقامتها في فلسطين وفي ظل طواغيت الاستعمار الذين كان لهم الفضل الأقوى في قيامها وحياتها في تنشئة جيل يهودي مؤمن بالقومية اليهودية والامجاد اليهودية والصلات بين يهود اليوم ويهود الدهر الغابر وما وتاريخا على ما في ذلك من زيف خداع ، ثم في احياء اللغة العبرانية القديمة وجعلها لغة قومية عامة في فلسطين . غير أن هذا لن يزيل الجمود الذي ألم بها .

ومن شأن ضيق رقعة الدولة اليهودية المصطنعة وضعف امكانياتها الذاتية ، وتوقف حياتها كلية على المساعدات والصدقات الخارجية ، واحداق العرب الذين يعدون تسعين مليونا والذين يقوون يوما بعد يوم اقتصاديا وعسكريا وثقافيا ووعيا أشد احداق ، وحصارهم لها أقوى حصار ، وشعورهم بخطرها على كيانهم وبلادهم أعظم شعور ، ومشاركة المسلمين لهم وهم يعدون اربعمائة مليون في كل ذلك أن يساعد على استمرار ذلك الجمود ثم على خنق الدولة المسخ وانهارها أو سحقها عاجلا أو آجلا .

ومن الجدير بالذكر أن في أوروبا وأمريكا كثيرا من اليهود

لا ينضوون الى الحركة الصهيونية لانهم يرونها غير صحيحة الاساس ولا منطقية الاهداف ، ويرونها فضلا عن ذلك ضارة بمصلحة اليهود في الدول الاخرى وهم أكثرية اليهود الساحقة أشد ضرر ومنهم من يناوئها • ومن شأن هذا أن يساعد على استمرار ذلك الجمود •

وتمنى الحركة الصهيونية نفسها بمصالحة العرب وترى ذلك منفذها ومنقذها الاوحد • ولكن العرب الذين يرون ذلك من ناحيتهم مصدر الخطر الاعظم على كيانهم وجميع بلادهم عاجلا وآجلا فضلا عما يشعرون به من شديد الحقد والجرح القومى الشديد والعار الذى لحق بهم من نجاح قيام دولة المسخ لاسباب متنوعة داخلية وخارجية يعتبرون ذلك خيانة عظمى ، ولن يجروا أحد منهم أن ينسب به فضلا عن عجزه على السير فيه وتحقيقه •

ولقد تغيرت والحمد لله حال العرب بعد وحدة سورية ومصر المباركة ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وغدوها أعظم وأقوى دولة فى الشرق الاوسط ، ومناطق أمل العرب وعدتهم فى استرداد وطنهم السليب بقيادة البطل العربى الملهم جمال عبد الناصر •

ومهما ظل طواغيت الاستعمار وحماة هذه الجرثومة الخيشية البغاة يمدونها بأسباب البقاء من المساعدات المادية والتأييدات السياسية فلن يدوم هذا الى الايد وسيأتى يوم لا يد لهم فيه من الاختيارين

العرب واليهود وستملى مصلحتهم في النهاية اختيار العرب مهما
 ماروا وكابروا • ولئن اعتزوا بقوتهم فالله أقوى منهم وقد دمر
 وأرغم من هم أعظم وأشد • وإن لنا في قول الله عز وجل في موقف
 مسائل أعظم الأمل والإيمان :

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب (١) من ديارهم
 لأول الحشر ما ظننتهم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من
 الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب
 يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى
 الأبصار • »

« سورة الحشر »

تم

(١) يعني اليهود لأنها تزلت في قلوب النكيل بهم واجلائهم •

مجموعـة
اخترنا لك

تصدر

نصف شهرية باللغات العالمية
يشارك في تحريرها وإعدادها
لجنة "اخترنا لك"

المراسلات : الدار القومية للطباعة والنشر

٣٠ شارع منصور - ص ٢٣٩٨ ب

